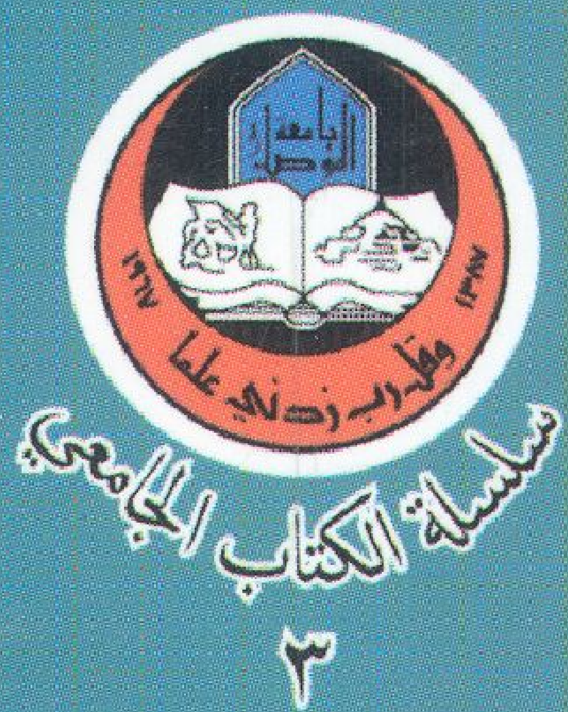


وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل

المصطلح اللغوي في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور
محيي الدين توفيق ابراهيم

دار ابن الأثير
للطباعة والنشر في جامعة الموصل

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل
دار ابن الأثير للطباعة والنشر



سلسلة الكتاب الجامعي
(٣)

المصطلح اللغوي
في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور
محيي الدين توفيق ابراهيم
جامعة الموصل

١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م

دار ابن الأثير
للطباعة والنشر في جامعة الموصل

الموضوع : ثقافة عامة

العنوان : المصطلح اللغوي
في القرآن الكريم

تأليف : محيي الدين توفيق ابراهيم

عدد الصفحات : ٢٨٨

قياس الصفحة : ٢٤×١٧سم

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

الرقم الدولي :

التصميم والتنضيد الطباعي : دار ابن الاثير للطباعة والنشر في جامعة الموصل

ح حقوق الطبع والنشر
محفوظة لدى دار ابن الأثير للطباعة والنشر
في جامعة الموصل ٢٠٠٧

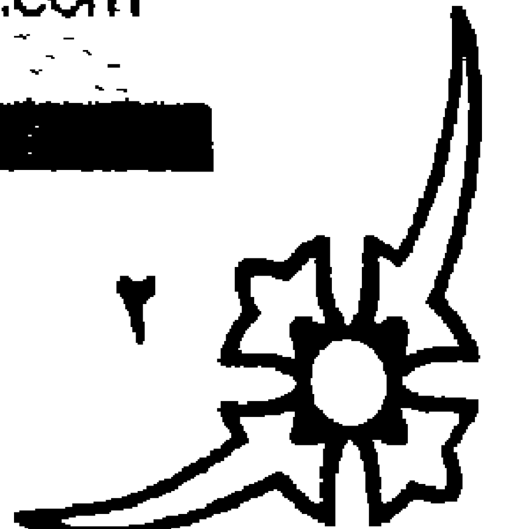
سلسلة الكتاب الجامعي

٣ المصطلح اللغوي
في القرآن الكريم

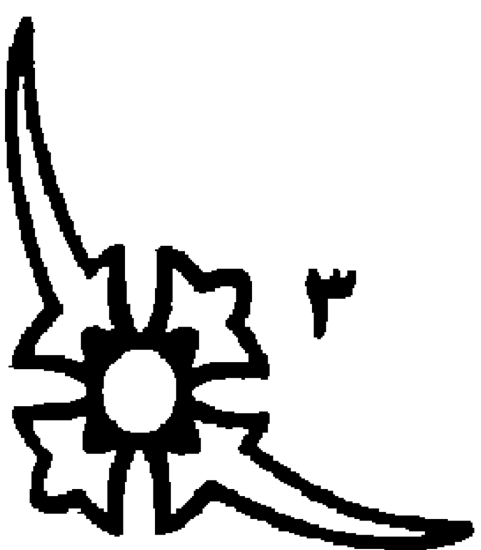
لايجوز تصوير او نقل او اعادة طباعة مادة الكتاب
وبأية اشكال كانت من دون موافقة الناشر

نشر وطبع وتوزيع
دار ابن الاثير للطباعة والنشر
في جامعة الموصل

الموصل- جمهورية العراق
بدالة ذات ستة خطوط ٧٦٣٢٣١
الادارة : ٧٧٢٧٨٦، ٧٧٢٧٨٨
فاكس: ٧٧٢٧٨٦
Email:daribnalathser@Yahoo.com



المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في بحثنا الذي نشرناه في مجلة المجمع العلمي العراقي،[1] قلنا "المقصود بالمصطلح اللغوي أن تجتمع لفظتان فأكثر في تركيب إسنادي أو غير إسنادي، فينشأ عن هذا التركيب معنى جديد لا تدل عليه معاني الالفاظ الداخلة فيه كل على حدة". وقد رأينا أن هذا المعنى الجديد المولّد عن تركيب الألفاظ يسلك سبلاً مختلفة في اللغة قبل أن يصل الى معناه الكلي المجرد.

فمما لا شك فيه أن للألفاظ مدلولات أولية، وهي في أول نشأتها أقرب ما تكون الى الأصل المادي المحسوس، ثم تأخذ طريقها في التطور والانتقال في التجريد حتى تصل الى المعاني الكلية المجردة. فالختم في اللغة الطبع، والخاتم هو الطابع. يقال منه ختمت الكتاب إذا طبعته، وكل شيء ختمته فقد سددته وربطته، والختم أيضاً التغطية وختم البذر تغطيته.[2] ومن هنا جاء استعمال القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[3] بمعنى أنه منعها من الوعي والاستيعاب، والقلوب عند القدماء أوعية العلم، فإذا ختم عليها فقد سُدّت وامتنع أن يدخلها شيء.

وواضح أن هذا المعنى الجديد المتأتي من إضافة الختم الى القلوب قائم على أساس تشبيه القلوب بتلك الأوعية، وهذا ما يسميه البلاغيون بالاستعارة. فالمصطلح ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ مصطلح إسنادي.

وأما غير الإسنادي فقد يتكون من مضاف ومضاف إليه، أو من جار ومجرور. ومثاله قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾،[4] فمعنى (بين يديها) قبلها وهي على هذا الأساس ظرف

---

(١) المجلد ٣٧ الجزء الرابع سنة ١٩٨٦.

(٢) ينظر المصطلح رقم (١).

(٣) سورة البقرة/ ٧.

(٤) سورة البقرة/ ٦٦.

زمان، وقد يستعمل هذا المصطلح ظرف مكان. ولم يستعمل في القرآن الكريم الظرف المكاني (أمام) إلا في قوله تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾،[١] وكل ما جاء بهذا المعنى معبّر عنه بالظرف (بين) مضافاً الى اليدين.[٢]

ومثال الجار والمجرور قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾[٣] أي كنتم مشرفين على الوقوع فيها قبل أيمانكم، والشفا حرف كل شيء وحدّه.[٤] على أن أكثر ما ورد من المصطلح اللغوي في القرآن الكريم من النوع الإسنادي، وأكثر الإسنادي فعلي. إلا أنه ورد منه ما هو إسمي كقوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [٥] أي أن قلوبهم قاصرة عن إدراك الحق لما فيها من شك ونفاق.[٦]

ولابد من تأكيد الفرق بين المصطلح اللغوي والمثل من حيث أن المثل يحكي قصة تتلخص فيه، فضلاً عن كونه جامداً لا تتصرف ألفاظه، كقولهم "الصيف ضيّعتِ اللبن"، فإنه يحتفظ بصيغة الخطاب للمفردة المؤنثة سواء أكان المخاطب به رجلاً أم امرأة، وسواء أكان مفرداً أم مثنى أم جمعاً.[٧]

والمصطلح (idiom) معروف في علم الدلالة الحديث، وهو أحد الاشياء التي تجعل من الصعب التفريق بين علم اللغة الوصفي أو التزامني (Diachronic)، وبين علم اللغة التعاقبي أو التاريخي (Synchronic) كما

---

(١) سورة القيامة/ ٥.

(٢) ينظر مثلاً الآيات ٩٧ من سورة البقرة، ٣ آل عمران، ٥٧ الأعراف. والمصطلح ١٣.

(٣) سورة آل عمران/ ١٠٣.

(٤) ينظر المصطلح رقم ٥٣.

(٥) سورة البقرة/ ١٠.

(٦) ينظر المصطلح رقم ٣.

(٧) ينظر صفحة ٥ من بحثنا المصطلح اللغوي في القرآن الكريم.

يقول (هوكيت).[1] ذلك لأن معناه يتكون عبر مراحل متعددة من تاريخ اللغة. ويقول (بالمر) إننا "لا نستطيع في أية لغة أن نتنبأ ما إذا كان معنى سيعَبّر عنه بكلمة مفردة أو بمجموعة كلمات".[2] يعني أن مفردة ما في لغة ما قد يؤدّى معناها أيضاً في هذه اللغة بعدّة كلمات. فالفعل (يموت) مثلاً يؤدّى في الانكليزية بعبارة (Kick the bucket) والمعنى الحرفي لهذه العبارة (يركل السطل). غير أن هذا المعنى مؤدّى في الانكليزية أيضاً بمفردة واحدة هي (die)، ويمكن القول أيضاً أن هذه الظاهرة موجودة في العربية كما في غيرها، فإلى جانب الفعل (مات) يوجد المصطلحان (قضى نحبه) و (لقي حتفه).

ويقول (هوكيت) أيضاً: "في أية لغة حية تنشأ مصطلحات جديدة باستمرار بعضها يستعمل مرة أو مرتين ثم يُنسى، وهناك مصطلحات أخرى تنشأ لتبقى مدة طويلة".[3]

واللغة العربية وإن كان تدوينها قد تم منذ زمن بعيد، فإننا لا نزال نجد مصطلحات تنشأ كل يوم، ولا سيّما في اللهجات العربية الحديثة. ومن حسن الحظ أن كثيراً من هذه المصطلحات قد دوّنت قديماً وحديثاً في كتب الأمثال، لأن الذين تصدّوا لهذا النوع من التأليف لم يفرّق أغلبهم بين الأمثال والمصطلحات اللغوية والأقوال السائرة والحِكم.

---

(١) Hockett: A Course in Modern Linguistics 303.

(٢) علم الدلالة بالمر ٩١.

(٣) Hockett: A Course in Modern Linguistics 303.



أثر القراءات في تغيير معنى المصطلح

من المصطلحات اللغوية في القرآن الكريم ما يتغير معناه باختلاف القراءات، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [1] فقد قرئت بسكون اللام وضمها،[2] فالقراءة الأولى (غُلْف) بسكون اللام جمع أغلف أي مغلّفة مغشّاة مغطّاة فلا يدخلها العلم. والقراءة الثانية (غُلُف) بضمتين جمع غلاف أي إنها أوعية للعلم بزعمهم مستغنية بما فيها.[3]

إلا أن هذا النوع من المصطلحات الذي يتغير معناه بتغير القراءات قليل وأغلبه مما لا تؤثر في معناه اختلاف هذه القراءات، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ قرئت (طيرهم).[4]

على أن كتب التفسير التي تناولت تبيان معاني المصطلحات ضمن ما بيّنته من معانٍ للتراكيب والألفاظ القرآنية، قد اختزنت لنا ثروة كبيرة يستطيع الباحث أن يفيد منها فائدة كبيرة في دراسته لتاريخ اللغة العربية. ولولا هذه الثروة اللغوية التي نجدها في كتب التفسير وغريب القرآن ومعاجم ألفاظه ومفرداته، لما استطعنا أن نفهم كثيراً من تلك المصطلحات ولظلّت مبهمة مجهولة الأصل، كما نجهل أصول مصطلحات لغوية وتراكيب معنوية وجدناها في كتب اللغة والأدب ولا نعلم شيئاً عن تاريخها وتطورها. فهذه الكتب تحفظ لنا قول العرب (بعين ما أرينّك)،[5] فمعناه كما تثبته هذه الكتب (أسرع) أي إن دلالته إنشائية وتركيبه خبري. ونحن لا نستطيع أن نفهم العلاقة بين هذا التركيب من حيث ألفاظه وبين معناه.

---

(١) سورة البقرة/ ٨٨.

(٢) رُوي عن أبي عمرو بضمتين، ينظر الكشاف ١/ ٢٩٥.

(٣) ينظر ص ٥٠ من هذا البحث.

(٤) سورة الأعراف/ ١٣١، وهي قراءة الحسن. المحتسب ١/ ٢٥٧.

(٥) ينظر المستقصى ١/ ٢٢١ وتزيد بعض الكتب لفظة (هاهنا) الى آخر المصطلح. ينظر شرح ابن عقيل ٢/ ٣٠٩.

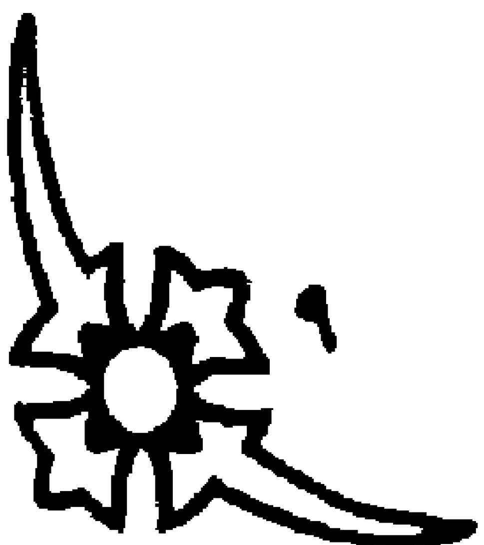
غير أن الأمر يختلف فيما يخص المصطلحات والتراكيب القرآنية، لأن كتب التفسير قد حفظت لنا ما يجعلنا نفهم تلك العلاقة مهما تباعدت المسافة بين التركيب ومعناه فهذه الكتب هي التي جعلتنا نفهم قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّا﴾[1] حين ذكرت أن (الظهري) هو الجمل الذي يُتخذ احتياطاً ويكون في آخر القافلة للجوء اليه عند الحاجة[2] وهي التي عرّفتنا المراد بقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾، [3] حين ذكرت أن العروة لها معنيان، أحدهما عروة الكوز التي يمسك بها. والآخر هو أصناف من النباتات والأعشاب تمتد جذورها في الأرض فتصمد في السنين المجدبة لتلجأ اليها الماشية حين لا تجد كلأ تقتات به. ومثل هذا كثير في هذه الكتب، والمعجمات العربية مدينة في كثير من موادها وثروتها اللغوية لكتب التفسير وغريب القرآن ومفرداته.

---

(١) سورة هود/ ٩٢.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٦٥.

(٣) سورة البقرة/ ٢٥٦.



خطتنـــا

كنا أشرنا في بحثنا الآنف الذكر الى أننا سنعمد الى تجريد تلك التراكيب القرآنية، التي سميناها المصطلح اللغوي وفرّقنا بينها وبين الامثال والاقوال السائرة. وهاهنا نحن نبرّ بوعدنا بمشيئة الله وعونه. وكان في نيتنا أن نرتب هذه المصطلحات ترتيباً معجمياً بحسب ألفاظها، غير أننا وجدنا أن ذلك سيوقع القارىء والمتوخي لمعرفة معاني المصطلحات في لبس وإرباك، فكثير من المصطلحات لا يُستغنى بأحد ألفاظه عن سائرها، ولذلك آثرنا ترتيب هذه المصطلحات حسبما وردت في القرآن الكريم مبتدئين بالأول فالذي يليه، وأدرجنا في هامش كل مصطلح الآيات التي ورد فيها مرتبة حسب السور، وللقارىء أن يستعين بفهرس الألفاظ للوصول إلى بغيته.

وفي شرح معاني هذه المصطلحات ومدلولاتها وأصول ألفاظها استعنّا بنوعين من الكتب. الأول: كتب التفسير ولا سيّما التي تعنى بالجانب اللغوي وهو مدار بحثنا، وقد اعتمدنا في هذا الصدد على كتابي ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن) و (تفسير غريب القرآن)، وتفسير الطبري المسمّى (جامع البيان في تفسير القرآن)، وتفسير الزمخشري الذي أسماه (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، وتفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن).

وقد اجتزأنا بهذه الكتب الخمسة لأننا نحسب أنها تُغني في رفد ما نحن بحاجة اليه، وإلاّ فإن كتب التفسير كثيرة ولكل ميزته، وربما استفدنا من كتب التفسير الأخرى مشيرين اليه في موضعه.

والنوع الآخر من الكتب هو المعجمات، وقد اجتزأنا بالموسوعتين المعجميتين المعروفتين (لسان العرب) لابن منظور، و (تاج العروس) للزبيدي، لاعتقادنا أنهما يغنيان عن غيرهما من كتب اللغة ومعجماتها. وقد ألحقنا بهذين النوعين من الكتب ما أفدناه من كتاب الشريف الرضي



المعتبر المسمّى (تلخيص البيان في مجازات القرآن) لما أودعه فيه من كنوز معرفته ببلاغة القرآن الكريم وعنايته بمجازه، و (المفردات) للراغب لما وجدنا فيه من عناية بالمعاني التركيبية التي هي مدار بحثنا.

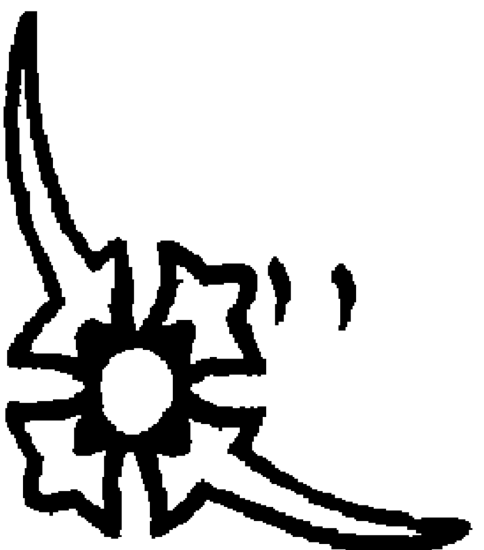
وقد يسأل سائل عن خلوّ هوامش هذا البحث من الاشارة الى بعض الكتب التي عنيت بالمجاز، كأساس البلاغة للزمخشري، ومن الكتب التي تناولت غريب القرآن. والجواب أننا آثرنا حصر مصادرنا في تلك الموسوعات التفسيرية واللغوية التي ذكرناها آنفا. وحسبنا أن نعلم أن تلك الكتب وهي كثيرة إمّا أن تكون قد أخذت مادتها من المصادر التي أشرنا اليها، أو إن هذه المصادر قد استوعبتها استيعابا كاملاً فيما استوعبته من كتب اللغة وغيرها.

وحين تناولنا المصطلح آثرنا أن نبيّن معناه العام أولا موضحين أصول دلالة ألفاظه اللغوية كي يسهل على القارىء الإلمام بالعلاقة بين المعنى الجديد المجمل للمصطلح وأصول ألفاظه، مبينين - ما أمكننا ذلك - الأسلوب الذي سلكه التطور المعنوي من مجاز مرسل أو استعارة أو كناية.

وقد آثرنا أن ندع ما اقتطفناه من هذه الكتب يوضح المعنى، وهو أفضل في رأينا من أن نعود الى صياغتها صياغة جديدة، فيتوهم القارىء أنها من عندنا ومن بنات أفكارنا، ونحن حريصون على هذا الأسلوب لاعتقادنا ان الأمانة العلمية توجبه.

وبعد. فإننا نضع بين يدي القرّاء هذه المجموعة من المصطلحات اللغوية القرآنية آملين أن نكون قد وفّينا بنزر يسير مما يجب علينا إزاء هذا الكتاب العظيم الذي تعجز أن تلمّ بجميع مكنوناته العقول، أو أن تحيط بعلمه مهما أودع الله فيها من مقدرة، ومهما وهب أصحابها من عبقرية.

والله نسأل أن يزيدنا من علمه، ويكلأنا بشآبيب رحمته إنه نعم المولى ونعم النصير.



تمهيد
المصطلح اللغوي(*)

المصطلح لغة مشتق من الصلح، ومادة (صلح) كما ينص المعجميون لها معنى واحد وهو نقيض الفساد، جاء في اللسان: "الصلاح ضد الفساد صلح يصلَح ويصلُح صلاحاً، وفيه أيضاً: "وربما كنوا بالصالح عن الشيء الذي هو الى الكثرة كقول يعقوب مغرت في الأرض مغرة من مطر وهي مطرة صالحة، وكقول بعض النحويين كأنه ابن جنّي أبدلت الياء من الواو إبدالاً صالحاً وهذا الشيء يصلح لك أي هو من بابتك".[1] وينقل مصطفى الشهابي عن (مستدرك التاج) أن الإصلاح هو: "اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص".[2] وهذا الاتفاق والتواطؤ أو التصالح إن تم بين جماعة المحدّثين تفتّق عن مصطلح في الحديث، وإن قام بين جماعة الفقهاء على مسائل في الفقه نتج عنه مصطلح في الفقه، وإن كان بين جماعة من النحاة صنعوا مصطلحاً نحوياً.[3]

وواضح أن هذا المعنى في الاصطلاح مأخوذ من قولهم: "هذا الشيء يصلح لك أي هو من بابتك" الذي أشرنا إليه آنفاً، وإذا كان يشترط في الاصطلاحات العلمية والفنية أن تكون باتفاق من العلماء أي بعمل إرادي مقصود، فإن المصطلح اللغوي ليس كذلك، فهو كغيره من ألفاظ اللغة وأساليبها ليس عملاً إرادياً مقصوداً، بل هو شيء يخضع لقوانين التطور الاجتماعية، وتؤثر فيه عوامل مختلفة أهمها البيئة والثقافة.

فللألفاظ دلالات أصلية تتطور بتطور الزمن باتجاه التجريد والانتقال من المادي الى المعنوي بعد أن تمر بمراحل مختلفة بحسب الحاجة ونتيجة لكثرة الاستعمال فما من شك في أن لفظة (سبب) التي تعني في الأصل (الحبل) لم تصل في معناها المجرد الذي يدل على التأثير والعلّة

(*) هذا بحث نشرناه في مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الرابع المجلد السابع والثلاثين عام ١٩٨٦، ننشره هنا ليكون تمهيداً لهذا الكتاب.

(١) لسان العرب مادة صلح.

(٢) كتاب المصطلحات العلمية ص ٥. (٣) المصطلح النحوي ص ٢٢.

إلاّ بعد أن مرّت بمراحل في الاستعمال كثيرة فبعد أن كانت تدل على الحبل مطلقاً، أصبحت في مرحلة من مراحل التطور دالة على الحبل الذي يربط أحد طرفيه بسقف أو نحوه ليتسلق به، ولا يسمى الحبل سبباً حتى يُصعد به ويُنحدر به، ولذلك قالوا في السبب: "كل شيء يتوصل به الى غيره".[1] وما حدث للسبب أعني انتقال معناه من الدلالة المادية البحتة، الى المعنى الكلي المجرد هو الذي يحدث لألفاظ اللغة عموماً. فالتطور المنطقي أن تكون الدلالة المادية سابقة للدلالة المعنوية، وهذا الأمر ينسجم كل الانسجام مع تطور الانسان وعقله وإدراكه عبر آلاف السنين.

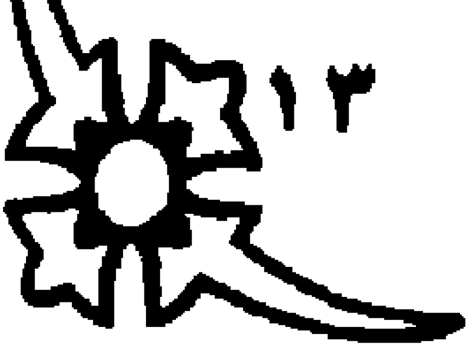
الفرق بين المصطلح والمثل والقول السائر:

ليس المصطلح اللغوي هو التركيب الوحيد الذي يعطي معنى لا تدل عليه حقيقة ألفاظه، بل هناك أنواع أخرى من التراكيب تتكثّف فيها معان زاخرة وتتلخص فيها تجارب أجيال وقرون، من ذلك (المَثَل). ولكن المثل كما هو معروف لدى اللغويين قول يحكي قصة واقعة ويلخص معانيها وتجاربها. ولذلك حرص مؤلفو الأمثال على إيراد تلك القصص فضلاً عن شرحهم لألفاظها وبيان مضاربها.[2] وليس المصطلح كذلك، فلا علاقة له بالقصص والحكايات، وإنما هو تطور في المعاني يطرأ على الألفاظ فيحولّها الى معان جديدة بينها وبين المعاني القديمة أو الأصلية قرينة أو علاقة. وفرق آخر بين المثل والمصطلح هو أن المثل يبقى محتفظاً بنصّه وبألفاظه لا يتغيّر فيها شيء وإن اختلف المخاطب وتغيّر المضروب له. قال الزمخشري: "والأمثال يتكلم بها كما هي، فليس لك أن تطرح شيئاً من علامات التأنيث في (أطرّي فإنك ناعلة) ولا في (رمتني بدائها وانسلّت) وإن كان المضروب له مذكراً، ولا أن تبدل اسم المخاطب من عقيل وعمرو في (أشئت عقيل الى عقلك) و (هذه بتلك فهل جزيتك

---

(١) لسان العرب مادة سبب.

(٢) ينظر المستقصى للزمخشري المقدمة ص (د).



ياعمرو)،[١] ولا يشترط في المصطلح اللغوي ذلك فقد يتغير بتغير الخطاب. تقول (ضاقت ذرعاً) و (ضق ذرعاً) و (يضيق ذرعاً) و (ضيقي ذرعاً) الى غير ذلك. وإن كان بعض المصطلحات يلزم حالة واحدة لا يحول عنها ولا يتطرق الى ألفاظه التغير، كقولهم (بعين ما أرينّك)[٢] وهذا النوع من المصطلح يكون في حالة الجمود كما سنبين فيما بعد.

ومن ذلك أيضاً القول السائر، كقولهم (لا آتيك ما حنّت النيب) أو (لا يضر الحوار ما وطئته أمه).[٣] وهذا يختلف اختلافاً بيّناً عن المصطلح لأنه ليس فيه انتقال من معنى أصلي الى معنى جديد متأت من تركيب الألفاظ أو إسنادها، وهو يختلف عن المثل لأن المثل كما قلنا يحكي قصة وتلزم ألفاظه حالة واحدة مهما تغيّر الخطاب.

المصطلح الاسنادي وغير الاسنادي

والمقصود بالمصطلح اللغوي أن تجتمع لفظتان فأكثر في تركيب إسنادي فينشأ عن هذا التركيب معنى جديد لا تدل عليه معاني الألفاظ الداخلة فيه كل على حدة. غير أن هذا المعنى الجديد لم ينشأ اعتباطاً، بل تربطه بمعاني الألفاظ روابط مختلفة سنتحدث عنها في هذا البحث.

فقولهم (ضاق ذرعاً) تركيب إسنادي أسند فيه الفعل الى الفاعل فنشأ عن هذا التركيب معنى جديد لا يُفهم من معنى اللفظتين. فالضيق ضد السعة، والذرع هو مدّ الذراع، وأصل هذا المعنى مأخوذ مما يحدث للجمل حين يثقل حمله، فيضيق ذرعه فكلما زاد حمله ضاقت المسافة بين ذراعيه. وهكذا خلص معنى هذا التركيب الى الدلالة على قلة الطاقة

---

(١) مقدمة المستقصى ص (هـ) وينظر في معاني هذه الأمثال ١/٢٢١، ٢/١٠٣، ١/١٧٥، ٢/٣٨٨.

(٢) مجمع الأمثال: ١/١٠٠ الميداني ومعناه أسرع.

(٣) مجمع الأمثال ٢/ ٢١٩، ٢٢٠.

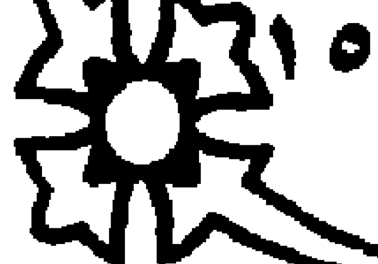
عموماً، واستعمل للجمل وغير الجمل، وقد استعمل في القرآن الكريم في موضعين وهو قوله تعالى: ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾.[١]

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾[٢] وللمفسرين فيه قولان: الأول بمعنى وضح وتبيّن وانكشف.[٣] والثاني ثبت واستقر،[٤] وأصل المعنى الأول من "حصحصت التراب وغيره إذا حركته وفحصته يميناً وشمالاً".[٥] وأصل المعنى الثاني من قولهم "حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة".[٦] ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾[٧] حكاية عن امرأة ابراهيم، قال المفسرون إن المعنى هنا هو التعجب، أي إنها تعجبت عندما بشرت بغلام.[٨] وأصل الصك لغة الضرب الشديد بالشيء العريض، وقيل هو الضرب عامة بأي شيء كان،[٩] وقد أوضح المفسرون أيضاً أن امرأة ابراهيم ضربت جبهتها بجميع أصابعها.[١٠] وقيل لطمت وجهها.[١١] ولكن هذا الضرب لم يحدث إلاّ عند التعجب وهو عادة معروفة لدى النساء قديماً وحديثاً.

وعلى هذا يكون معنى التعجب قد فُهم من العلاقة بين الفعلين، وهذا النوع من العلاقة بين الفعل والمعنى معروف في كثير من المصطلحات

---

(١) سورة هود/ ٧٧، وسورة العنكبوت/ ٣٢.
(٢) سورة يوسف/ ٥١.
(٣) التفسير لابن قتيبة ٢١٨، وتفسير الطبري ١٢/ ١٤٠.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٢٦.
(٥) اللسان مادة حصحص.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٢٦، وينظر التاج مادة حصحص.
(٧) سورة الذاريات/ ٢٩.
(٨) تفسير الطبري ٢٦/ ١٣٩، والكشاف ٤/ ١٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧.
(٩) اللسان مادة صكك.
(١٠) التفسير لابن قتيبة ٤٢١، وتفسير الطبري ٢٦/ ١٢٩.
(١١) الكشاف ٤/ ١٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧.



والتعابير، ومثله قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾.[2] وقوله تعالى: ﴿مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾،[3] والأخذ بالناصية أو الإمساك بها معناه الإذلال والقهر.[4]

ومن ذلك ما لا يكون تركيباً إسنادياً، بل شبه جملة. من ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[5] فعن يد جار ومجرور اختلف في معناه، فقيل: "أعطاه عن يد وعن ظهر يد إذا أعطاه مبتدئاً غير مكافيء".[6] وقيل قهراً أو نقداً غير نسيئة.[7] وهذه المعاني كلها اصطلاحية خرجت عن المعنى الذي يؤديه الجار والمجرور، ومما جاء جاراً ومجروراً أيضاً: (من خلاف) في قوله تعالى: ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ [8] أي أن تقطع اليد اليمنى من كل منهم والرجل اليسرى.[9] "والخلاف بالكسر المخالفة والخلاف أيضا المضادة وقد خالفه مخالفة وخلافاً،[10] ويجيء ظرفاً ومنه قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.[11]

---

(١) سورة الرحمن/ ٤١.

(٢) سورة العلق/ ١٥.

(٣) سورة هود/ ٥٦.

(٤) التأويل لابن قتيبة ١٨١، وينظر اللسان مادة نصا.

(٥) سورة التوبة/ ٢٩.

(٦) التفسير لابن قتيبة ١٨٤.

(٧) تفسير الطبري، ١٠/ ٧٧، وتفسير الكشاف ٢/ ١٨٤.

(٨) سورة المائدة/ ٣٣.

(٩) التأويل لابن قتيبة ٣٩٩، وتفسير الطبري ٦/ ١٣٧، وتفسير القرطبي ٦/ ١٥١، ٧/ ٢٦١.

(١٠) التاج مادة خلف.

(١١) سورة سبأ/ ٤٦.

وقد ورد في القرآن كثيرا،[١] ومعنى بين يدي الشيء أمامه أو قبله.[٢] وما جاء بمعنى (أمامه) قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾،[٣] ويأتي بمعنى قبله، كقوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ﴾،[٤] أي لما قبله.

طرق الانتقال من المعاني الحقيقية الى المعاني الاصطلاحية:

أثبت البلاغيون أساليب في البيان يلجأ اليها في التعبير عن كوامن النفس وخفايا الشعور، لا تستطيع الألفاظ أن تؤديها إذا استعملت بمعانيها الحقيقية، فينقلونها الى معان مجازية ترتبط بالمعاني الأصلية بروابط ظاهرة أو خفية، ومن تلك الأساليب: المجاز والاستعارة والكناية، ولكل من هذه الأنواع الثلاثة علاقات وفروع زخرت بها كتب البلاغة. ولكن البلاغيين تحدثوا عن ذلك باعتباره وسيلة في التعبير الجميل يصل به صاحبه الى المعنى المراد بألفاظ منتقاة يقصد إليها قصداً. والذي أريد أن أستخلصه من هذا أن استعمال المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من أساليب البلاغة الراقية عمل إرادي من صنع المتكلم وإدراكه، ولكن المجاز والاستعارة والكناية وغير ذلك تتخذ طريقاً آخر في أساليب التعبير التي تحدثنا عنها آنفاً، وأعني بها المثل والمصطلح اللغوي والقول السائر، ففي هذه الأنواع يأتي المجاز والاستعارة والكناية لغرض الانتقال بالتركيب الى معان أخرى لا تؤديها ألفاظه فرادى، وعلى هذا يكون المجاز والاستعارة والكناية مأتياً بها على غير قصد، وإنما تتطور في ذلك تطوراً يأخذ زمناً قد يقصر ويطول، فإذا أراد العربي أن يعبر عن أن

---

(١) ينظر المعجم المفهرس ٧٧.
(٢) اللسان مادة يدي.
(٣) سورة الأعراف/ ١٧.
(٤) سورة المائدة/ ٤٦، وينظر التفسير لابن قتيبة ٣٦١.



شيئاً ما أخذ بأكمله لا ينقص منه شيء قال أخذه برمته، وأصله البعير يشد في عنقه حبل فيقال أعطاه البعير برمته.[1]

وواضح أن هذا يدخل فيما يسميه البلاغيون الاستعارة المكنية، فقد شبه الشيء المأخوذ بأكمله بالبعير الذي يؤخذ كاملاً لا ينقص منه شيء حتى الرمّة التي يقاد بها فحذف المشبه والمشبه به وأُتي بأحد لوازم المشبه به أو ما يشتمل عليه وهو الرمة. وقد نجد مثل هذا في كثير من التعبيرات الاصطلاحية، وعلى ذلك يمكن تقسيمها من هذه الناحية الى الأقسام الثلاثة الآتية:

الأول: ما انتقل فيه المعنى الأصلي الى المعنى الجديد انتقالاً مجازياً، وأعني بالانتقال المجازي هنا ما كان أساسه مجازاً مرسلاً على حد البلاغيين لهذا النوع من المجاز، والبلاغيون يثبتون للمجاز علاقات كثيرة تربط المعنى الجديد بالمعنى الحقيقي وتضبطه، وقد وجدنا طائفة من هذه العلاقات في كثير من المصطلحات اللغوية القرآنية، وحسبنا أن نشير الى طائفة منها مستشهدين بالمصطلح القرآني فهو هدفنا في هذا البحث.

١- من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ،[2] وتفسيره أن الله "جامعهم فحلّ بهم عقوبته"،[3] وقيل "عالم بهم".[4]

وعلى هذا تأتي الإحاطة بالشيء في القرآن الكريم بمعنيين. أحدهما: الجمع وإنزال العقوبة، ومعنى ذلك الإهلاك والغلبة، وعلى هذا المعنى فسر قوله تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾[5] أي دنوا من الهلاك،[6]

---

(١) اللسان مادة رمم.

(٢) سورة البقرة/ ١٩.

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٢٢.

(٤) تفسير القرطبي ١/ ٢٢١.

(٥) سورة يونس/ ٢٢.

(٦) التأويل لابن قتيبة ١٦٧، والتفسير له ١٩٥، ٢٦٨.

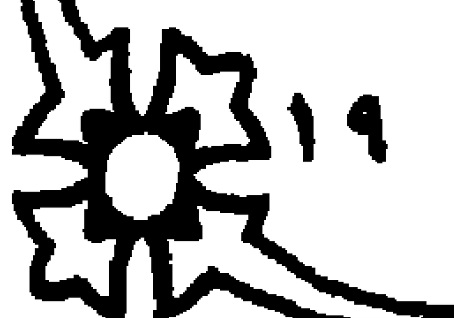
وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾.[1] وقد حمل ابن قتيبة قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ ﴾[2] على هذا المعنى، فقال في تفسيره: "أي تشرفوا على الهلكة وتغلبوا".[3]

والثاني: هو العلم بالشيء من جميع جوانبه كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾،[4] وقال تعالى: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ ﴾،[5] ومثله في آية الكرسي: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٍ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ﴾ والمعنيان متأتيان من المعنى الحقيقي للاحاطة، فهي في الأصل الإحداق. من ذلك قولهم: "أحاطت به الخيل وحاطت أحدقت، واحتاطت بفلان أحاطت إذا أحدقت به".[6] وفي كل ذلك انتقل معنى الاحاطة إلى المجاز. قال الزمخشري "وإحاطة الله بالكافرين مجاز، والمعنى أنهم لايفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط حقيقة".[7]

٢- ومما سبيله المجاز أيضاً، قوله تعالى﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾[8] والقطع هنا على المجاز لا على الحقيقة، لأن المقصود قطع صلة الرحم،[9] ومثل هذا قوله تعالى﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾[10] قال الطبري: "وإنما

---

(١) سورة الكهف/ ٤٢.
(٢) سورة يوسف/ ٦٦.
(٣) التفسير ٢١٩.
(٤) سورة الطلاق/ ١٢.
(٥) سورة النمل/ ٢٢.
(٦) اللسان مادة حوط.
(٧) الكشاف ١/ ٢١٨، وينظر التاج مادة حوط.
(٨) سورة البقرة/ ٢٧.
(٩) تفسير الطبري ١/ ١٤٤، والكشاف ١/ ٢٦٩.
(١٠) سورة محمد صلى الله عليه وسلم/ ٢٢.



عنى بالرحم أهل الرحم الذين جمعتهم وإياه رحم والـــدة واحـــدة".[١]
والعلاقة هنا كما يسميها البلاغيون (المحلية).

٣- ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ .[٢] قال الطبـــري: "وأما قوله من أسلم وجهه لله فإنه يعني بإسلام الوجه التذلل لطاعتـــه والإذعان لأمره.[٣] وعلى هذا يكون المقصود بالوجه سائر الجـــوارح التي ينقاد بها الإنسان وقد خصّه بالذكر لأنه أشرفها، والعرب تخبـــر بالوجه عن جملة الشيء.[٤]

ويُلحظ أن الإسلام مأخوذ من هذا المعنى. وإنما سمي المسلم مـــسلماً بخضوع جوارحه لطاعة ربه.[٥] فذكر الوجه وإرادة سائر الجوارح مجاز علاقته الجزئية.

٤- ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٦]
والمراد بغلظة القلب الشدة والقساوة،[٧] والقاسي القلب غير ذي الرحمة ولا الرأفة،[٨] أو هو تجهّم الوجه وقلّة الانفعال فـــي الرغائـــب وقلّـــة الإشفاق والرحمة. "وهو من المجاز كالعهد الغليظ وأغـــلاظ اليمـــين، وأمر غليظ وماء غليظ".[٩]

---

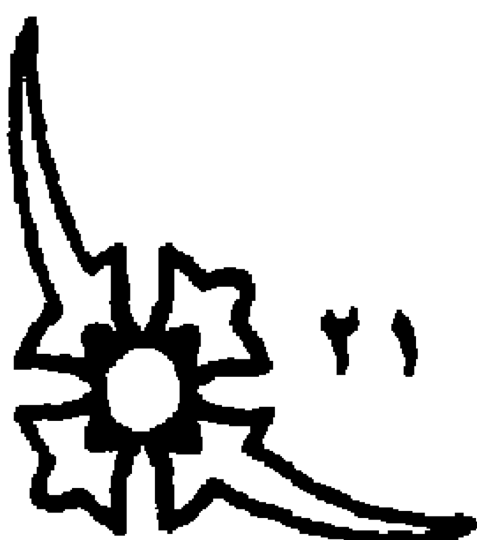
(١) تفسير الطبري ١/ ١٤٤.
(٢) سورة البقرة/ ١١٢.
(٣) تفسير الطبري ١/ ٣٩٣.
(٤) تفسير القرطبي ٢/ ٧٥.
(٥) تفسير الطبري ١/ ٣٩٣.
(٦) سورة آل عمران/ ١٥٩.
(٧) اللسان مادة غلظ.
(٨) تفسير الطبري ٤/ ٩٩.
(٩) التاج مادة غلظ.

٥- ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [١] ومعنى أخلد ركن ومال،[٢] ومعنى أخلد إلى الأرض ركن إلى الدنيا وسكن،[٣] وآثر شهواتها ولذتها على الآخرة،[٤] وقيل مال إلى السفالة.[٥] وعلى هذا يكون الإخلاد إلى الأرض مذموماً، لأن المقصود بها متاعها ولذتها وشهواتها.[٦] والأرض موضع ذلك كله، وليس المقصود السكن فيها لأن ذلك غير مذموم في حقيقته لأن حياة الإنسان ومعاشه لاتتم بدونه، ففيها رزقه ومحياه ومماته.

٦- ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾.[٧] اختلف في تفسير قوله تعالى ﴿عَن يَدٍ﴾ فإمّا أن يراد بها يد المعطي، وإمّا أن يراد بها يد الآخذ، فإذا أريد بها يد المعطي فمعناه حتى يعطوها عن يد أي يد مؤاتية غير ممتنعة، أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقداً غير نسيئة لا مبعوثاً على يد أحد، ولكن عن يد المعطي إلى يد الآخذ. والعرب تقول لكل معط قاهراً له شيئاً طائعاً له أو كارهاً أعطاه عن يده وعن يد، وذلك نظير قولهم كلمته فماً لفم ولقيته كفة لكفة، وكذلك أعطيته عن يد ليد. وقال ابن عباس يدفعها بنفسه غير مستنيب فيها أحداً. وأمّا على إرادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن

---

(١) سورة الأعراف/ ١٧٦.
(٢) اللسان مادة خلد.
(٣) التفسير لابن قتيبة ١٧٤.
(٤) تفسير الطبري ٩/ ٨٥.
(٥) الكشاف ٢/ ١٣٠.
(٦) تفسير الطبري ٩/ ٨٥.
(٧) سورة التوبة/ ٢٩.



إنعام عليهم، لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم.[١]

والمعنى في كل ذلك على المجاز، لأن اليد هي أداة الإعطاء، والأخذ يتم دونما وساطة أو إنابة فيكون ذلك نقداً وإن تم ذلك دون رضا من المعطي دلّ على القهر، وإن كان الآخذ جالساً والمعطي واقفاً دلّ على الذل والصغار، وإن كان ذلك يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ في الآية نفسها عند القرطبي.[٢]

ونجتزىء بهذه الأمثلة، فالمصطلحات القرآنية التي جاءت على سبيل المجاز كثيرة في القرآن الكريم. وحسبنا أن نشير إلى طائفة يسيرة منها فضلاً عمّا شرحناه آنفاً. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾،[٣] وقوله تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾،[٤] وقوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾.[٥]

والثاني ماانتقل فيه المعنى عن طريق الاستعارة. والاستعارة كما يعرّفها البلاغيون " هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه مايخص المشبه به".[٦] وللاستعارة أنواع معروفة يذكرها البلاغيون منها التصريحية والمكنية وغيرها.

ولسنا بصدد أن نستفيض في ذلك فليس هذا موضعه، ولكننا نريد أن نستعيد في الذاكرة مايفيد فهم الأسلوب القرآني في مصطلحاته وتعابيره.

---

(١) التفسير لابن قتيبة ١٨٤، وتفسير الطبري. ١/ ٧٧، والكشاف ٢/ ١٨٤، وتفسير القرطبي ٨/ ١١٥، وينظر اللسان مادة يدي، والتاج ١/ ٤١٨، ٤١٩.

(٢) تفسير القرطبي ٨/ ١١٥.

(٣) سورة هود/ ٢٣، وأصله من الخبت المطمئن من الأرض. اللسان مادة خبت.

(٤) سورة الإسراء/ ٥.

(٥) سورة ص/ ٣٣.

(٦) مفتاح العلوم للسكاكي ١٧٤.

وقد اتخذ الأسلوب القرآني هذا السبيل في نقل معاني الألفاظ من معانيها الحقيقية إلى معانٍ جديدة تربطهما علاقة التشبيه على حد البلاغيين.

١- من ذلك قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾،[١] الختم لغة هو التغطية والإخفاء وختم البذر تغطيته، والختم والطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لايدخله شيء، كما قال جلّ وعلا: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾.[٢] قال الطبري: "فإن قال لنا قائل وكيف يختم على القلوب وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف، قيل: فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم، وظروف لما جُعل فيها من المعارف بالأمور، فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع التي بها تدرك المسموعات ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف،[٣] فالقلوب والسمع في هذه الآية الكريمة شبهها بوعاء يختم فلا يدخله شيء.

٢- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾.[٤] العروة لغة هي المقبض كعروة الدلو والكوز ونحوه.[٥] أو هي في النبات ماله أصل باق في الأرض كالنصي والعرفج وأجناس الخلّة والحمض،[٦] والاستعارة متحققة على المعنيين. فعلى الأول يكون الإيمان الذي يتمسك به المؤمن كعروة الدلو أو الكوز ونحوهما ممّا له مقبض فلا يمكن الإمساك والتشبث إلاّ بالإمساك بتلك العروة والتشبث بها،[٧] قال

---

(١) سورة البقرة/ ٧.

(٢) اللسان مادة ختم.

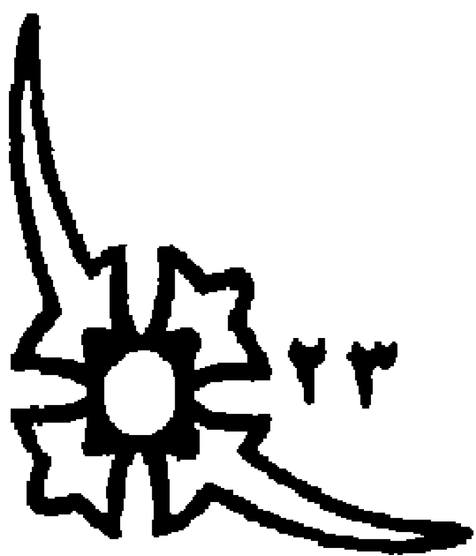
(٣) تفسير الطبري ١/ ٨٦-٨٧.

(٤) سورة البقرة/ ٢٥٦.

(٥) اللسان مادة عرا.

(٦) تاج العروس مادة عرا.

(٧) تفسير الطبري ٣/ ٨٤.



الزمخشري: "وهذا تمثيل للمعلوم والنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصور السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به".[١] وهذا هو حاصل المعنى الثاني للعروة وهو كل ماله أصل في الأرض من النبات فإذا أمحل الناس عصمت العروة الماشية.[٢]

٣- ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.[٣] أصل القرض في اللغة القطع،[٤] ثم استعير لكل مايتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه،[٥] قال أبو اسحق الزجاج: "تقول العرب لك عندي قرض حسن وقرض سيىء وأصل القرض ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه".[٦]

وقال القرطبي: "واستدعاء القرض في هذه الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه والله هو الغني الحميد، لكنه تعالى شبه عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو به ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء.[٧]

٤- ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٨] "الحرج الضيق وحرج صدره يحرج حرجاً ضاق فلم ينشرح لخير فهو حَرَج وحَرِج".[٩] وقال الطبري هو أشد الضيق،[١٠] ومن الضيق

---

(١) الكشاف ١/ ٣٨٧.
(٢) التاج مادة عرا.
(٣) سورة المائدة/ ١٢.
(٤) التاج مادة قرض.
(٥) اللسان مادة قرض.
(٦) التاج مادة قرض.
(٧) التفسير لابن قتيبة ٣/ ٢٤٠.
(٨) سورة الأنعام/ ١٢٥.
(٩) اللسان مادة حرج.
(١٠) تفسير الطبري ٨/ ٢١.

الشك[١] قال الفراء: "والحرج فيما فسر ابن عباس الموضع الكثير الشجر الذي لاتصل إليه الراعية. قال فكذلك صدر الكافر لاتصل إليه الحكمة".[٢] فشبه صدر الشاك بالحرج لأنه يضيق فلا يدخل إليه الإيمان، كما إن الحرجة تضيق بالأشجار والنبات فلا يجد الداخل إليها سبيلاً.

٥- ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾ .[٣] قال الفراء: "رميتم بأمر الله وراء ظهوركم كما تقول تعظمون أمر رهطي وتتركون أن تعظموا الله وتخافوه".[٤]

وقال ابن قتيبة: "لم تلتفتوا إلى ما جئتكم به عنه، تقول العرب جعلتني ظهريا وجعلت حاجتي منك بظهر إذا أعرضت عنه وعن حاجته"[٥]. وقال ثعلب "نبذتم ذكر الله وراء ظهوركم".[٦] وقال الطبري: "واستخففتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه ولا تعظمونه حق عظمته، يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل نبذ حاجته وراء ظهره أي تركها لا يلتفت إليها، وإذا قضاها قيل جعلها أمامه ونصب عينيه، ويقال ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهرية أي خلف ظهرك.[٧] والظهري عند ابن زيد الفضل، وأصله عنده أن يخرج الجمّال معه إبلا ظهارية لايجعل عليها شيئاً احتياطاً ليستعملها إذا احتاج إليها، فيقول إنما

---

(١) التأويل لابن قتيبة ٤٨٤، والتفسير له ١٦٥.
(٢) معاني القرآن ١/ ٣٥٣، وينظر التأويل ٤٨٤، وتفسير الطبري ٨/ ٢١١، واللسان مادة حرج.
(٣) سورة هود/ ٩٢.
(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٦.
(٥) التفسير ٢٠٩.
(٦) اللسان مادة ظهر.
(٧) تفسير الطبري ١٢/ ٦٤.

ربكم عندكم مثل هذا إن احتجتم إليه وان لم تحتاجوا إليه فليس بشيء.[١] ولذلك كان الاستظهار بمعنى الاحتياط.[٢]

ونجتزىء بهذه الآيات التي تجري على سبيل الاستعارة فهي كثيرة، ونشير كذلك إلى طائفة أخرى منها، قوله تعالى: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ ،[٣] وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ ،[٤] وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ ﴾ ،[٥] وقوله تعالى: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ .[٦]

والثالث: ماانتقل فيه المعنى من طريق الكناية، وقد عرّفها السكاكي بأنها: "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر مايلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك".[٧]

ومن أمثلتها المشهورة عند البلاغيين قولهم (طويل النجاد) كناية عن طول القامة، و (نؤوم الضحى) كناية عن المرأة المرفهة المخدومة. والكناية سواء كانت عن الصفة أو الموصوف تشيع في المصطلحات القرآنية، ولا غرابة في ذلك، فالقرآن أبلغ أسلوب خوطب به العربي وأبين ماسمعته العرب، وقديماً قال العلماء إن القرآن نزل بلغة العرب وأساليبهم في التخاطب والبيان.

ونحن نورد طائفة من المصطلحات التي اتخذت سبيل الكناية:

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٦٥.
(٢) التاج مادة ظهر.
(٣) سورة طه/ ٢٧.
(٤) سورة محمد صلى الله عليه وسلم/ ٢٤.
(٥) سورة الذاريات/ ٥٩.
(٦) سورة الملك/ ١٥.
(٧) مفتاح العلوم ١٨٩.

١- قوله تعالى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾[١] وهي كناية عن الصمود في وجه الأعداء والصبر على مقارعتهم والانتصار عليهم، قال الطبري: "يعني وقوّ قلوبنا على جهادهم لتثبت أقدامنا فلا ننهزم عنهم"،[٢] وقال القرطبي: "وخصوا الأقدام بالثبات دون غيرها من الجوارح لأن الاعتماد عليها".[٣]

٢- قوله تعالى: ﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾،[٤] قال الطبري: "كناية عن انهزامهم لأن المنهزم يحوّل ظهره إلى جهة الطالب هرباً إلى ملجأ وموئل يئل إليه منه خوفاً على نفسه والطالب في أثره فدبر المطلوب حينئذ يكون محاذي وجه الطالب الهازمة".[٥]

٣- قوله تعالى: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾،[٦] هو كناية عن الهروب وأصل النكوص الرجوع ولا يقال ذلك إلاّ في الرجوع عن الخير خاصة.[٧] قال القرطبي: "وليس هاهنا قهقرى بل هو فرار".[٨]

٤- قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾،[٩] اختلف المفسرون في معناه، فقال بعضهم معنى ذلك فعضوا على أصابعهم تغيّظاً عليهم في دعائهم إياهم ما دعوهم إليه، وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم لمّا سمعوا كتاب الله عجبوا منه، ووضعوا أيديهم على أفواههم، وقال

---

(١) سورة البقرة/ ٢٥٠.
(٢) تفسير الطبري ٢/ ٣٩٦.
(٣) تفسير القرطبي ٤/ ٢٣١.
(٤) سورة آل عمران/ ١١١.
(٥) تفسير الطبري ٤/ ٣١.
(٦) سورة الأنفال/ ٤٨.
(٧) اللسان مادة نكص.
(٨) تفسير القرطبي ٩/ ٢٧.
(٩) سورة إبراهيم/ ٩.

آخرون هذا مَثَل، وإنما أريد أنهم كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا،[١] واختار أكثر المفسرين المعنى الأول وهو اختيار الطبري،[٢] والزمخشري،[٣] والقرطبي.[٤] وعلى هذا فهو كناية عن الغيظ والحنق.

٥- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾[٥] أصل البسط النشر،[٦] وهو ضد القبض، ومعنى الآية:"ولا تبسطها بالعطية كل البسط فتبقى لاشيء عندك ولا تجد إذا سئلت شيئاً تعطيه سائلك"،[٧] وقد ضرب مثلاً لذهاب المال، فإن قبض الكف يحبس مافيها.[٨] وبسط اليد هنا كناية عن التبذير.

ومما سبيله الكناية أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[٩] كناية عن الاختيال. وقوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾[١٠] كناية عن الاستهزاء.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾[١١] كناية عن الأسف والتندم. وقوله تعالى:﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾[١٢] كناية عن التكبر. وقوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾[١٣] كناية عن شدة الخوف.

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ١٢٦، ١٢٧.
(٢) المصدر السابق ١٣/ ١٢٧.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٦٩.
(٤) تفسير القرطبي ٩/ ٣٤٥.
(٥) سورة الإسراء/ ٢٩.
(٦) التاج مادة بسط.
(٧) تفسير الطبري ١٥/ ٥٦.
(٨) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٥٠.
(٩) سورة الإسراء/ ٣٧.
(١٠) سورة الإسراء/ ٥١.
(١١) سورة الكهف/ ٤٢.
(١٢) سورة الحج/ ٩.
(١٣) سورة الأحزاب/ ١٩.

المصطلحات اللغوية الجامدة والمتنقلة:

يقول علماء اللّغة إن اللفظة كائن حي يولد وينشأ ويترعرع ويمر بكافة أطوار الحياة حتى يشيخ ثم يموت، وربما صدق هذا القول على اللّغة نفسها. وقد تحدث علماء اللّغة عن نشأة اللّغات وتطورها وتفرعها إلى شعب وفروع عبر تاريخ الإنسان المديد. غير أن اللّغة تنمو من حيث ثروتها اللّغوية ومعاني ألفاظها وانتقالها من المادي المحسوس إلى المجرد، فالمعنوي المعقول والكلي المدرك، وليست كل ألفاظ اللغة تخضع لهذا التدرج، أو تسير في هذا المسار إلى نهايته، فمنها مايبقى مادياً بحتاً لايغادر هذا المعنى أبداً، ومنها ماينتقل إلى مراحل أخرى ثم يتوقف عندها لايغادر إلى مايليها، ومنها مايصل في تطور معناه إلى أعلى درجات سلّم الرقيّ. وقد يحدث هذا في بعض الألفاظ بسرعة لاتستطيع المعجمات اللحاق به، وقد يكون ذلك بطيئاً جداً وقد يكون الأمر بين هذا وذاك.

غير أن السؤال الملح الذي تبتغي الإجابة عليه، كيف يحدث هذا التطور أو هذا النمو؟ وكيف ينتقل المعنى من مرحلة إلى مرحلة؟ ولماذا يتوقف بعض الألفاظ في تطوره على حين يستمر بعضها في الرقيّ كما أسلفنا؟ تحدث علماء اللّغة المحدثون كثيراً عن وسائل نمو اللّغة وخصوصاً اللّغة العربية. وقد أسهبوا في ذلك إسهاباً لا يخلو من ملل في بعض الأحيان. تحدثوا عن الاشتقاق وأنواعه الصغير والكبير والأكبر والكبّار، واختلفوا كما اختلف القدماء في هذه الأسماء ومسمّياتها، كما تحدثوا عن التعريب والنحت والتركيب وغير ذلك مما نقرأه في كتب اللّغة الحديثة. والحقيقة أن هذه الوسائل التي يسردونها في كتبهم لنمو اللّغة وارتقائها، إذا استثنينا الاشتقاق الصرفي والتعريب، لم تعد من وسائل نمو اللّغة العربية في يومنا هذا، فإذا كان الاشتقاق الكبير طريقة من طرائق نمو اللّغة العربية، فقد انقضى هذا الأمر ولم يعد ممكناً بعد أن دُوِّنت اللّغة، قد يكون صحيحاً أن معاني القطع المتنوعة في نحو (قطّ وقطع وقطف وقطم) وغير ذلك متحقق في الثنائي (ق.ط) وأن الزيادة في

المعنى أو الاختلاف في درجة القطع أو نوعه متأتٍ من الحرف الثالث أو مدلول عليه به، قد يكون ذلك صحيحاً، ولكن هل يمكن أن يتم هذا اليوم؟ وما يقال عن الاشتقاق الكبير يقال عن الاشتقاق الأكبر أو الكبّار إذا استثنينا بعض أنواع النحت أو التركيب الذي يستعمل في بعض أنواع المصطلحات العلمية المنقولة عن اللّغات الأوربية.

لابد إذن من البحث عن الطريق الذي تسلكه الألفاظ في تطورها واكتسابها لمعانٍ جديدة تنتقل بها عبر مسارها الذي أشرنا إليه من المادي البحت إلى الكلي المدرك، لنأخذ بعض الألفاظ التي تطورت معانيها وما زالت معروفة لدينا بالطريقة التي سلكتها في تطورها وارتقائها، فلفظة (حرج) تعني في يومنا هذا المانع النفسي الذي يحول بين المرء وبين الإقدام على عمل شيء، فيقال ليس في ذلك حرج أي لا مانع يحول دونه. وسبق أن أشرنا إلى أن أصل الحرج في اللّغة الموضع الكثير الشجر الذي لا يصل إليه الراعية، أو هو جمع حرجة وهي مجتمع شجر، والحرج غياض من شجر السلم ملتفة لايقدر أحد أن ينفذ فيها أو غير ذلك من الشجر كالسدر والزيتون.[1] والحرج على هذا مكان يصعب السير فيه لشدة ضيقه، ولذلك استعير للدلالة على الضيق مطلقاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾.[2]

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[3] ثم انتقل هذا المعنى إلى معنى جديد هو المنع عموماً، كقوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾،[4] ثم تحول المعنى للدلالة على الإثم،

---

(١) اللسان مادة حرج.
(٢) سورة الأعراف/ ٢.
(٣) سورة الأنعام/ ١٢٥.
(٤) سورة المائدة/ ٦.

كقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾[١] ومنه المتحرّج الذي يلقي الإثم عن نفسه، ثم إلى التحريم كما في قوله تعالى: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ﴾.[٢] ولم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم إلاّ على أصلها (حرج) بفتح الحاء والراء، إلاّ قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾فقد قرئت بفتح الراء وكسرها.[٣] وقراءة الكسر تنقل اللفظة من الاسمية إلى الوصفية وهو أول ماشتق من هذا الاسم.

غير أن الاستعمال أدّى إلى ظهور مشتقات أخر تحمل المعاني الجديدة التي حملتها اللفظة في استعمالها القرآني بعد أن استعيرت استعارة حقيقية كما يسميها البلاغيون.

فمما اشتق من هذه اللفظة حرج يحرج حرجاً و (الحارج) وهو الآثم.[٤] وقالوا تحرّج فهو متحرّج وهو الكافّ عن الإثم، ثم جاء التحريج بمعنى التضييق من قولهم حرّج عليه الأمر تحريجاً، من ذلك ماورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام في قتل الحيّات فليحرّج عليها، وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث اليتامى تحرجوا أن يأكلوا معهم أي ضيقوا على أنفسهم، وأحرجت فلاناً أي صيّرته إلى الحرج أو إلى مضيق.

فقد تبيّن لنا المسار الذي اتخذته هذه اللفظة في الانتقال من معناها المادي الأول وهو الدلالة على الموضع الذي تجتمع فيه الأشجار اجتماعاً كثيفاً إلى معانٍ حسيّة أخرى كالتضييق في المكان عموماً ثم إلى المنع فالإثم فالتحريم. وهذا كله لم يأت جملة واحدة، إذ لابد أن يكون بين هذا الاستعمال وذاك زمن طال أو قصر تنتقل بعده إلى المعنى الجديد، وقد

---

(١) سورة النور/ ٦١.

(٢) سورة الأحزاب/ ٣٧.

(٣) التأويل لابن قتيبة ٤٨٤.

(٤) قال ابن سيده: أراه على النسب لأنه لافعل له، اللسان مادة حرج.

قلنا إن هذه اللفظة استعملت في القرآن بصيغة واحدة وهي صيغتها الأصلية. ونلحظ هنا أنها لم تستعمل مفردة بل دلّت على معناها في جمل كاملة مما يصلح أن نطلق عليه (المصطلح)، ولكنها بعد ذلك تخلصت من هذا القيد في الاستعمال، ولم يعد معناها الجديد المستعار من المعنى الأصلي يلمح فيه المعنى المجازي، بل استقر في الذهن أنه هو المعنى الحقيقي، ومن هنا أصبحت اللفظة قابلة للاستعمال على حدة، واشتق منها الفعل والوصف والمصدر، فقالوا حرج حرجاً وتحرّج تحرّجاً وأحرج إحراجاً فهو محرج، ومن هذه الصيغ مالا تجده في المعجم غير أن هناك مصطلحات لغوية أخرى لم تتحول ولم تتبدل، بل بقيت على وضعها محتفظة بنظامها مشيرة إلى معناها المجازي إشارة واضحة بيّنة لا لبس فيها، فهي لم تستقر بعد في الذهن فتصبح حقيقة بعد أن كانت مجازاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (١) وللمفسرين في هذا قولان، فهو إمّا بمعنى أنهم جبناء لا قوة في قلوبهم ولا جرأة، وإمّا بمعنى حمقى لا عقول لهم فقلوبهم خالية ليس فيها شيء من الخير ولا تعقل شيئاً،(٢) وقد احتفظ هذا التركيب بصيغته، فلم يؤخذ منه فعل أو مصدر دال على معناه.

وعلى هذا يمكن تقسيم المصطلحات اللغوية القرآنية بحسب تصرفها وانتقالها إلى الأقسام الآتية:

أولها: المصطلحات المتصرفة التي تحوّل معناها الذي كان في الأصل مجازاً إلى الاستقرار والثبات في الاستعمال فأصبح حقيقة لايكاد يذكر القارىء أصلها المجازي إلاّ بعد طول إمعان وتدبر.

وقد انتقلت أيضاً من الصيغة التركيبية إلى الصيغة الافرادية فأخذ منها المصدر والفعل والصفة وتدرج معناها المجازي من المعنى المادي البحت

---

(١) سورة إبراهيم/ ٤٢.

(٢) ينظر في تفسير هذه الآية تفسير الطبري ١٣/ ١٥٨، والكشاف ٢/ ٣٨٢، واللسان والتاج مادة هوا.

إلى أعلى درجات المعاني الكلية المعقولة كما رأينا في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾. ومثله قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾[1] فالغائط في أصله اللغوي المطمئن من الأرض، ولكنه انتقل إلى معنى جديد يدل على الحدث نفسه، واشتق منه المصدر والفعل والصفة، ومثله قوله تعالى: ﴿ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ ﴾[2] بمعنى الغلبة أو الإطلاع، وقوله تعالى: [3]، أي يتشاءموا وهو من الطيرة، وكانت العرب تتيمن بالسانح وهو الذي يأتي من ناحية اليمين، وتتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من ناحية الشمال،[4] وقد اشتق من هذا التطير والطيرة وغير ذلك من الأفعال والمصادر.

والقسم الثاني: المصطلحات التي بقيت محتفظة بمعناها وصيغتها التركيبية لم تتغير كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[5] أي لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به.[6] فالجار والمجرور (على عيني) دل على الرعاية والرقابة والشمول بالنظر، وبقي ملازماً لهذا المعنى لم يتحول إلى غيره لا في القرآن ولا في غير القرآن. وملثه قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾،[7] وقوله تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾،[8] أي اجتث أصلهم فلم يبق منهم أحد.

---

(١) سورة النساء/ ٤٣.
(٢) سورة الكهف/ ٢٠.
(٣) سورة الأعراف/ ١٣١.
(٤) تفسير القرطبي ٧/ ٢٦٥.
(٥) سورة طه/ ٣٩.
(٦) الكشاف ٢/ ٥٣٦.
(٧) سورة البقرة/ ١٠.
(٨) سورة الأنعام/ ٤٥.

والقسم الثالث: مصطلح يتخذ سبيلاً وسطاً بين هذا وذاك، إذ بـدأ أول مراحل الانتقال ولكنه مازال في خطواته الأولى لم يرتق في تدرج معانيه الى أعلى درجات السلم كما هي حال القسم الأول، ولـم يبـق جامـداً لايتزحزح عن موضعه وتركيبه كما هي حال القسم الثاني. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[1] وقد مرّ بنا أن معناه الدلالة على عـدم القدرة والاحتمال،[2] ولم يغادر هذا المصطلح صورته التركيبية هـذه إلا في موضع آخر حذف منه التمييز (ذرعاً) واستعمل المصدر (ضيق) بدل الفعل (ضاق) وذلك قوله تعـالى: ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[3] ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾،[4] ومعناه يمنع أيديهم أن تمتد إليكم بالأذى، وقد استعمل الكف بهذا المعنى في القرآن أيضاً فـي قولـه تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾،[5] ومثله قوله تعالى: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾[6] أي حتى تبرد فرحاً وارتياحاً، ولا تسخن حزنـاً، وقد جاء في القرآن على هذا المعنى المصدر في قوله تعالى: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾،[7] وفعل الأمر ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾.[8]

---

(١) سورة هود/ ٧٧.
(٢) ينظر ص ١٤.
(٣) سورة النمل/ ٧٠، والضيق هنا ليس كالضيق في قوله تعـالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ سورة الأنعام/ ١٢٥، ولا كما فـي قولـه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ سورة التوبـة/ ١١٨، وإن تقاربت المعاني.
(٤) سورة النساء/ ٩١.
(٥) سورة المائدة/ ١١٤.
(٦) سورة طه/ ٤٠.
(٧) سورة القصص/ ٩.
(٨) سورة مريم/ ٢٦.

١- ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[١]

أصل الخَتم الطبع والخاتم هو الطابع، يقال منه ختمت الكتاب إذا طبعته[٢] وكل شيء ختمته فقد سددته وربطته[٣]، والختم أيضاً التغطية وختْم البذر تغطيته.[٤] والقلب عند القدماء وعاء للعلم وظرف للمعرفة، والختم عليه نظير تغطية الوعاء وربط الظرف فلا يدخلهما شيء مما يستوعبانه. وهذا المعنى محمول على الاستعارة لأن القلوب هنا مشبهة بالأوعية والظروف أو أي شيء آخر يُسَدّ ويُختَم فلا يدخل فيه شيء، وهذا شبيه قوله تعالى: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[٥]. وقد أكّد الشريف الرضي أن هذا المعنى استعارة "لأن الختم الحقيقي لا يتأتّى في القلوب وإنما المعنى أنه تعالى وسم قلوبهم بسمة تفرق بها الملائكة بين الكافر والمؤمن والمصرّ والمقلع، فيذمّون العاصي لمعصيته ويمدحون الطائع لطاعته".[٦] وقال الزمخشري: "لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه، وهما الاستعارة والتمثيل".[٧] وعند القرطبي أن الختم يكون محسوساً ومعنى، فالختم على القلوب عدم الوعي عن الحق- سبحانه- مفهوم مخاطباته والفكر في آياته. وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تلي عليهم أو دُعوا إلى

---

(١) سورة البقرة/ ٧، الأنعام/ ٤٦، الشورى/ ٢٤، الجاثية/ ٢٣ تلخيص البيان في مجازات القرآن ٣.
(٢) تفسير الطبري/ ٨٦.
(٣) تفسير غريب القرآن ٤.
(٤) اللسان مادة ختم.
(٥) سورة محمد صلى الله عليه وسلم/ ٢٤، وينظر ص ٢٣ من هذا الكتاب.
(٦) تلخيص البيان في مجازات القرآن ٣.
(٧) الكشاف ١/ ١٥٥.

وحدانيته. وهذا مافهمه من أقوال ابن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم.[1]

٢- ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ (٢)

الغشاوة الغطاء، ومنه غاشية السرج لأنها غطاء له،[3] تقول: غشّيت الشيء تغشية إذا غطّيته، وقد غشّى الله على بصره وأغشى[4]. والمعنى أن هؤلاء الكفار لا يبصرون "سبيل الهدى فيعتموا قبح ماهم عليه من الضلالة والردى"[5]، كمن غطّيت أعينهم بأغشية فهم لا يبصرون. وعند الزمخشري أن التنكير في (غشاوة) لأن المراد "أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله"[6].

والعبارة محمولة على غير حقيقتها من أحد وجهين، فإما أن يكون الله سبحانه وتعالى قد شبّه ضلالهم وعدولهم عن سبيل الحق بفعل من يغشّي بصره غطاء، فلما لم ينتفعوا بأبصارهم وصفها سبحانه "بالتغشّي وأجراهم مجرى الخوابط الغواشي"[7]. وإما أن يكون سبحانه كنّى بالأبصار عن البصائر، لأن البصائر تهدي إلى طريق النجاة، كما أن الأبصار تهدي إلى مواقع الخطوات.[8]

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ١٨٦.
(٢) سورة البقرة/ ٧، يس/ ٩، الجاثية/ ٢٣.
(٣) التفسير لابن قتيبة ٤٠.
(٤) اللسان مادة غشا.
(٥) تفسير الطبري ١/ ٨٩.
(٦) الكشاف ١/ ١٢٦.
(٧) تلخيص البيان ٤.
(٨) ينظر المصدر السابق، نفس الموضع.

٣- ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ (١)

أصل المرض النقص، وبدن مريض ناقص القوة، ويقال مرّض فلان في حاجتي إذا نقصت حركته فيها، أو هو الفتور، فهو في الأبدان فتور الأعضاء وفي العين فتور النظر[٢].

وأول إنتقالة مجازية في معنى المرض قولهم فلان يمرّض في حاجتي إذا نقصت حركته فيها، ثم قولهم فلان يمرّض في الوعد وفي القول إذا كان لا يصححه ولا يؤكده[٣]. ثم أطلق المرض على أي نوع من النقص والقصور أو الفتور، فالقلب المريض قاصر عن إدراك الحق لأن فيه شكا ونفاقا.

وقد عدّه الطبري كناية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم[٤]، وقال الشريف الرضي: "المرض في الأجسام حقيقة وفي القلوب استعارة لأنه فساد في القلوب، كما أنه فساد في الجسوم وان اختلفت جهتا الفساد في الموضعين، وقد قيل أيضاً إنما سمي مافي قلوبهم من اعتقاد الكفر مرضا لخروجهم عن صحة الدين، كما أن المرض يخرج الأجسام عن حال صحتها وينقلها عن سلامة تركيبها وبنيتها[٥]. وقال الزمخشري: "انه استعير لبعض أمراض القلب كسوء الاعتقاد والغلّ والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها. ذلك لأن القلب عند القدماء وعاء الإدراك، قيل فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور".[٦]

---

(١) سورة البقرة/ ١٠، والمائدة/ ٥٢، والأنفال/ ٤٩، والتوبة/ ١٢٥، والحج/ ٥٣، والنور/ ٥٠، والأحزاب/ ١٢، ٣٢، ٦٠، ومحمد صلى الله عليه وسلم/ ٢٠، ٢٩، والمدثر/ ٣١.

(٢) اللسان مادة مرض.

(٣) التفسير: لابن قتيبة ٤١.

(٤) تفسير الطبري ١/ ٩٤.

(٥) تلخيص البيان ٤، ٥.

(٦) الكشاف ١/ ١٧٦.



٤- ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [١]

ذهب في اللغة ضد جاء، وهو لازم لا يتعدّى إلاّ بحرف جر. فإذا كان الجار هو الباء فيكون المعنى مصاحبة الذاهب مع ما ذهب به. وعليه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾.[٢]

إلا أن المصاحبة في قوله تعالى: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ محالة، لأن معناها لا يستقيم، فالله سبحانه وتعالى لم يذهب بالنور مصاحبا إياه، والمقصود هو أن الله أزال نورهم، ولذلك قال: ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾.. وفي هذا استعارة لأن النور لايذهب به على الحقيقة بل يكفأ فيتحول إلى ظلمة. والأصل أن يذهب بالأشياء التي تمسكها اليد، فإذا ذهب بشيء ذي كتلة وحجم فقد أزيل من موضعه، وهكذا أصبح الذهاب بالشيء يعني إزالته. "وذهب وأذهب لغتان من الذهاب وهو زوال الشيء".[٣] قال ابن قتيبة: "أراد مثل المنافقين كمثل قوم كانوا في ظلمة فأوقدوا ناراً فلما أضاءت النار ماحولهم أطفأها الله وتركهم في ظلمات لايبصرون. فالظلمة الأولى التي كانوا فيها الكفر، واستيقادهم النار قولهم لا اله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، فلما أضاءت لهم ما حولهم واهتدوا وآمنوا خلوا إلى شياطينهم فنافقوا وقالوا: إنما نحن مستهزئون فسلبهم نور الإيمان وتركهم في ظلمات الكفر لايبصرون".[٤] وقال بعض اللغويين: "إن عدّى الذهاب بالباء فمعناه الإذهاب، أو بعلى فمعناه النسيان، أو بعن فالترك، أو بالى فالتوجّه".[٥]

---

(١) سورة البقرة/١٧،٢٠- النساء/١٩- يوسف/١٥- الإسراء/٨٦- طه/٦٣- المؤمنون/ ١٨، ٩١- النور/ ٤٣- الزخرف/ ٤١.
(٢) سورة يوسف/ ١٥.
(٣) تفسير القرطبي ١/ ٢١٣.
(٤) التأويل ٣٦٢.
(٥) التاج مادة ذهب.

٥-﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (١)

أصل الحوط حفظ الشيء وتعهده، يقال: حاطه يحوطه حوطا وحيطة وحياطة(٢)، فإذا دخلت الهمزة تحول المعنى إلى الإحداق بالشيء، يقال أحاطت به الخيل إذا أحدقت، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾.(٣) فالاحاطة هنا على حقيقتها وهي الاستدارة كما يحيط الحائط بالمنزل والسوار بالمعصم، وقد انتقل هذا المعنى إلى معنى مجازي، فأصبح يدل على الغلبة والهلاك وهو كثير في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾،(٤) وقوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾.(٥) وقال ابن قتيبة: "وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بقوم أو بلد فحاصره فقد دنا أهله من الهلكة".(٦) ومعنى مجازي آخر يخرج عن هذا وهو بلوغ أقصى الشيء وفهمه من جميع نواحيه، فكل من بلغ أقصى الشيء وأحصى علمه فقد أحاط به علما. واستعملت الاحاطة في القرآن الكريم بهذا المعنى، وقد فسّر به قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ

---

(١) سورة البقرة/ ١٩، ٨١، ٢٥٥- آل عمران/ ١٢٠- النساء/ ١٠٨، ١٢٦- الأنفال/ ٤٧- الأنفال/ ٤٧- يونس/ ٢٢، ٣٩- هود/ ٩٢- يوسف/ ٦٦- الإسراء/ ٦٠- الكهف/ ٤٢، ٦٨، ٩١- طه/ ١١٠- النمل/ ٢٢، ٨٤- فصلت/ ٥٤- الفتح/ ٢١- الطلاق/ ١٢- الجن/ ٢٨.
(٢) اللسان مادة حوط.
(٣) سورة الكهف/ ٢٩. ذكر الشريف الرضي أن في هذه الآية استعارة وهو يقصد تشبيه النار بتمديد الأخبية والأطناب. تلخيص البيان ٢٨، إلاّ أن السرادق لغة هو كل ما أحاط بالبناء.
(٤) سورة يونس/ ٢٢.
(٥) الكهف ٤٢، وينظر أيضا سورة البقرة/ ٨١، يوسف/ ٦٦، الإسراء/ ٦٠.
(٦) التأويل ١٦٧.

بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾،[1] كما فسر بمعنى جامعهم ومهلكهم.[2] وقد يشفع هذا المعنى بلفظ العلم أو بما في معناه كما في الآية السابقة، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾.[3]

٦- ﴿ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾[4]

معنى ضرب المثل اعتماده وصنعه،[5] أو اعتبار الشيء بغيره.[6] وقد يأتي بمعنى التبيين والوصف، وجعل ابنُ قتيبة منه قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ أي لاتصفوه بصفات غيره ولا تشبهوه.[7] وأصل الضرب إيقاع شيء على شيء،[8] ومنه قوله تعالى: ﴿ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ﴾.[9] وأمّا المثل ففيه معنى التشبيه والتمثيل لأنه مأخوذ من المثل وهو الشبيه، وليس من الضروري أن يكون معنى ضرب الأمثال أن يؤتى بالأمثال المعروفة في اللغة يتمثّل بها تشبيها للحال المضروب لها بالحال التي قيل فيها المثل أصلا، ولكن هذا هو الغالب. وقد يقال تمثّل

---

(١) سورة الطلاق/ ١٢.

(٢) تفسير القرطبي ١/ ٢٢.

(٣) سورة الكهف/ ٦٨، ٩١، وينظر سورة البقرة/ ٢٥٥- آل عمران/ ١٢٠- النساء/ ١٠٨، ١٢٦- الأنفال/ ٤٧- يونس/ ٣٩- هود/ ٩٢- طه/ ١١٠- النمل/ ٤٢، ٨٤- فصلت/ ٥٤- الفتح/ ٢١- الطلاق/ ١٢- الجن/ ٢٨.

(٤) سورة البقرة/ ٢٦- الرعد/ ١٧- إبراهيم/ ٢٤، ٢٥، ٤٥- النحل/ ٧٤، ٧٥- الإسراء/ ٤٨- الكهف/ ٣٢، ٤٥ الحج/ ٧٣- النور/ ٣٥- الفرقان/ ٩، ٣٩- العنكبوت/ ٤٣- الروم/ ٢٨، ٥٨- يس/ ١٣، ٧٨- الزمر/ ٢٧، ٢٩- الزخرف/ ١٧، ٥٧- محمد (صلى الله عليه وسلم)/ ٣- الحشر/ ٢١- التحريم/ ١٠، ١١.

(٥) الكشاف ١/ ٢٠٤.

(٦) اللسان مادة ضرب.

(٧) التأويل ٤٩٧.

(٨) المفردات مادة ضرب، وينظر التاج مادة ضرب.

(٩) سورة النور/ ٣١.

المثل، وقد اختلف في أصل ضرب الأمثال، فقيل هو من الضريب وهو المثيل وضريب الشيء مثله وشكله، وقد يأتي الضرب بمعنى المثال فيقال عندي من هذا الضرب الكثير.[1] وعلى هذا يكون المعنى في قوله تعالى: ﴿ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ أن يمثل ويأتي بمثل، وقيل هو من ضرب الدرهم والدينار وغيرهما أي صوغها، لأن صياغتها لاتكون إلاّ بضرب المطارق، ومثله ضرب الخاتم وضرب اللبن أي قطعه.[2]

٧- ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾[3]

القطع إبانة الشيء من بعضه فصلا[4] وهو ضد الوصل. والمعنى المقصود في هذه الآية مجازي، فهو إمّا أن يكون قطع الرحم[5] وهو مذموم ومنهي عنه ووصلها واجب، والمراد به قطع صلة أهل الرحم من الأقربين. وإمّا أن يكون المراد به قطع مابين الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض.[6]

٨- ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[7]

التوبة في الأصل الرجوع عن الذنب والعودة إلى الله والإنابة إليه.[8] ومعنى تاب الله عليه عاد عليه بالمغفرة، أو أرجعه إلى مايحب ويرضى عمّا يكره ويسخط من معصيته[9] ورجع عليه بالرحمة والقبول، أو وفقه

(١) اللسان مادة ضرب.
(٢) ينظر الكشاف ١/ ٢٠٤، والتاج مادة ضرب.
(٣) سورة البقرة/٢٧- الأنعام/٥٤- الرعد/٢٥- محمد (صلى الله عليه وسلم)/٢٢.
(٤) التاج مادة قطع.
(٥) تفسير الطبري ١/ ١٤٤.
(٦) الكشاف ١/ ٢٦٠.
(٧) سورة البقرة/ ٣٧، ٥٤، ٢٨، ١٦٠، ١٨٧- آل عمران/ ١٢٨- النساء/ ١٧، ٢٦، ٢٧- المائدة/ ٣٩، ٧١- التوبة/ ١٥، ٢٧، ١٠٢، ١٠٦، ١١٧- طه/١٢٢- الأحزاب ٢٤، ٧٣- المجادلة/ ١٣- المزمل/ ٢٠.
(٨) اللسان مادة توب.
(٩) المصدر السابق ، نفس الموضع.

للتوبة،[١] وقيل قبلت منه التوبة.[٢] وقال الراغب: "والتائب يقال لباذل التوبة، ولقابل التوبة، فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده".[٣]

٩- ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ ﴾ [٤]

مادة (ل.ب.س) أصل صحيح واحد يدل على مخالطة ومداخلة. من ذلك لبست الثوب ألبسه وهو الأصل،[٥] هذا مايقرره المعجميون، غير أن ظاهر كلامهم يدل على أن فيه أصلاً آخر وهو التغطية، قال الراغب:"وأصل اللبس ستر الشيء، ويقال ذلك في المعاني يقال لبست عليه أمره، ولبسنا عليهم مايلبسون"،[٦] وربما كان هو الأصل، ومنه اللباس للثوب وغيره. ولبس الهودج والكعبة ما عليهما من لباس بكسر اللام[٧] ويقال الحرّة الأرض التي ألبستها حجارة سود،[٨] وعند أبي عمرو لايكون معنى التغطية إلاّ بزيادة الهمزة، "يقال للشيء إذا غطّاه كله ألبسه ولا يكون لبسه كقولهم ألبسنا الليل، وألبس السماء السحاب ولا يكون لبسنا الليل ولا لبس السماء السحاب، ويقال هذه أرض ألبستها حجارة سود أي غطّتها".[٩]

واستعمل اللبس بمعنى الخلط استعمالاً مجازياً واستعير للأمر إذا اختلط، فيقال لبس عليه الأمر يلبس من باب (ضرب) لبسا، ومنه قوله

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ١٤٩.
(٢) الكشاف ١/ ٢٧٤.
(٣) المفردات مادة توب.
(٤) سورة البقرة/ ٤٢- آل عمران/ ٧١- الأنعام/ ٨٢.
(٥) مقاييس اللغة ٥/ ٢٣٠.
(٦) المفردات: لبس.
(٧) مقاييس اللغة ٥/ ٢٣٠.
(٨) اللسان، مادة لبس.
(٩) المصدر السابق.

تعالى: ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾.[1] وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ فقد ذهب الطبري إلى أن معناه لاتخلطوا الحق بالباطل،[2] وصرّح الشريف الرضي بأنها استعارة والمراد بها ولا تخلطوا الحق بالباطل فتعمى مسالكه وتشكل معارفه.[3] والباء عندئذ صلة عند الزمخشري والمعنى "ولا تكتبوا في التوراة ماليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لايميز بين حقها وباطلكم".[4] وقد تكون الباء كما يقول الزمخشري أيضاً للاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم فيكون المعنى "ولا تجعلوا الحق ملتبسا تشبيها بباطلكم الذي تكتبونه".[5] وعلى هذا المعنى قول الخنساء:

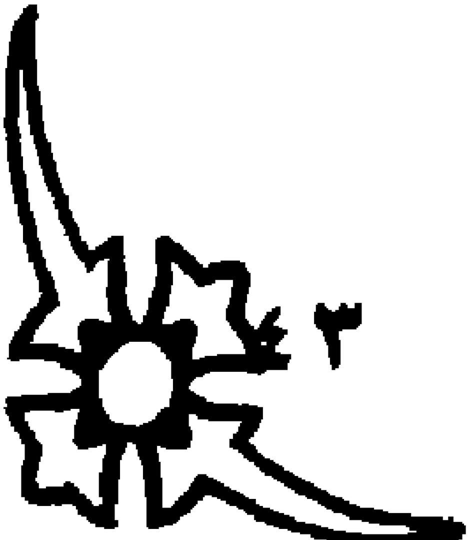
ترى الجليس يقول الحق تحسبه   مرشدا وهيهات فانظر مابه التبسا
صدّق مقالته واحذر عداوته   والبس عليه أمورا مثل ما لبسا

وقول العجّاج:

لمّا لبسن الحق بالتجنّي   عنين واستبدلن زيدا منّي[6]

---

(١) سورة الأنعام/ ٩، تاج العروس مادة لبس.
(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٠١.
(٣) تلخيص البيان ٧.
(٤) الكشاف ١/ ٢٧٦.
(٥) المصدر السابق ١/ ٢٧٧.
(٦) تفسير القرطبي ١/ ٣٤١، ٣٤٢.



١٠- ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾(١)

السوم البيع أو الرعي وهو أيضاً المرّ السريع،(٢) وفي كتاب العين "والسوم أن تجشّم إنسانا مشقة وخطّة من الشر تسومه سوما كسَوم العالّة، والعالّة بعد الناهلة، فتحمل على شرب الماء ثانية بعد النهَل فيكره ويداوم عليه لكي يشرب".(٣) وعلى هذا فسر قوله تعالى في الآية، ومنه قولهم سمته خسفا أي جشّمته إياه.(٤) وهو عند أبي عبيدة وابن قتيبة الايلاء أي يولونكم سوء العذاب،(٥) وهو عند الزمخشري من سام السلعة إذا طلبها،(٦) ومثله قول الراغب: "أصله الذهاب في ابتغاء الشيء".(٧)

والأصح من هذه الأقوال عندي أنه من سوم الماشية وهو إكراهها على الشرب ثانية وإدامتها على ذلك كي تتعوّد عليه، لأن معنى قوله تعالى: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي يكرهونكم عليه ويجشمونكم إياه. وهذه استعارة لطيفة، لأن العذاب يطلب لهم طلبا أو يكلفون به ويتجشمونه كما تُطلب السلعة، أو يتجشّم الإنسان المشقة، أو كما تُكره السائمة كي تَعلّ بعد النهَل.

---

(١) سورة البقرة/ ٤٩- الأعراف/ ١٤١، ١٦٧- إبراهيم/ ٦.
(٢) ينظر اللسان مادة سوم.
(٣) ٧/ ٣٢٠.
(٤) ينظر اللسان مادة سوم.
(٥) ينظر التفسير ١٧٤، وينظر التاج مادة سوم.
(٦) ينظر الكشاف ٢/ ١١١.
(٧) المفردات مادة سوم.

١١- ﴿ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾[1]

الأخذ خلاف العطاء وهو أيضا التناول.[2] واتخذ عند اللغويين والصرفيين (افتعل) من أخذ، حصل فيه إعلال وإبدال سهلت الهمزة الثانية ثم انقلبت تاء أدغمت في تاء الافتعال.[3] وعند أبي علي أن اتخذ فعل قائم بذاته فلا إعلال ولا إبدال وتخذ الشيء تَخَذا وتَخْذا واتخذه عمله.[4] وسواء كان الاتخاذ من الأخذ أو التخذ فإنه في هذه الآية ونحوها قد خرج عن حقيقته، لأن المعنى هنا أنكم- والخطاب لبني إسرائيل- جعلتم العجل إلها لكم.[5] ومثله قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾،[6] ومعناه يتبع هواه ويدع

---

(١) سورة البقرة/ ٥١، ٥٤، ٦٧، ٨٠، ٩٢، ١١٦، ١٢٥، ١٦٥- آل عمران/ ٢٨، ٦٤، ٨٠، ١١٨، ١٤٠- النساء/ ٢٥، ٨٩، ١١٨، ١١٩، ١٢٥، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٣- المائدة/ ٥، ٥١، ٥٧، ٥٨، ٨١، ١١٦- الأنعام/ ١٤، ٧٠، ٧٤- الأعراف/ ٣٠، ٥١، ٧٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٢- التوبة/ ١٦، ٢٣، ٣١، ٩٨، ٩٩، ١٠٧- يونس/ ٦٨- هود/ ٩٢- يوسف/ ٢١- الرعد/ ١٦- النحل/ ٥١، ٦٧، ٦٨، ٩٢، ٩٤- الإسراء/ ٢، ٤٠، ٧٣، ١١١- الكهف/ ٤، ١٥، ٢١، ٥٠، ٥١، ٥٦، ٦١، ٦٣، ٧٧، ٨٦، ١٠٢، ١٠٦- مريم/ ١٧، ٣٥، ٧٨، ٨١، ٨٧، ٨٨، ٩٢- الأنبياء/ ١٧، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٣٦- المؤمنون/ ٢٦، ٩١، ١١٠- الفرقان/ ٢، ٣، ١٨، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٤١، ٤٣، ٥٧- الشعراء/ ٢٩، ١٢٩- القصص/ ٩- العنكبوت/ ٢٥، ٤١- لقمان/ ٦- فاطر/ ٦- يس/ ٢٣، ٧٤- ص/ ٦٣- الزمر/ ٣، ٤، ٤٣- الشورى/ ٦، ٩- الزخرف/ ١٦، ٣٢- الجاثية/ ٩، ١٠، ٢٣، ٣٥- الأحقاف/ ٢٨- المجادلة/ ١٦- الممتحنة/ ١- المنافقون/ ٢- الجن/ ٣- المزمل/ ٩، ١٩- الإنسان/ ٢٩- النبأ/ ٣٩.

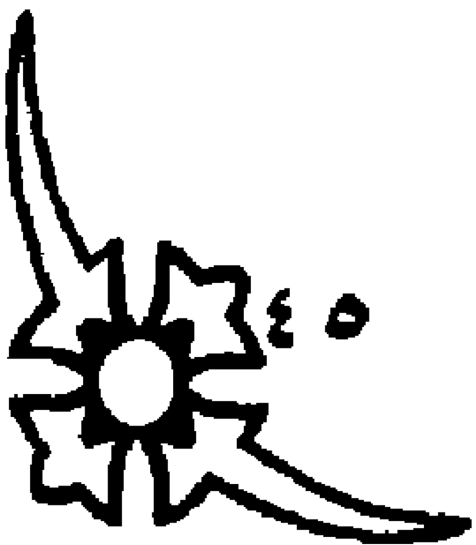
(٢) اللسان مادة أخذ.

(٣) تفسير القرطبي ١/ ٣٩٦.

(٤) اللسان مادة تخذ.

(٥) تفسير الطبري ١/ ٢٢٢، وتفسير القرطبي ١/ ٣٩٦.

(٦) سورة الفرقان/ ٤٣.



الحق فهو له كالإلـــه،[١] وقولـــه تعـــالى: ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا ﴾[٢] أي تسخرون منهم إذا كانت السين مكسورة، أو تسخرونهم إذا كانت الــسين مضمومة.[٣] وقولــه تعــالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً ﴾،[٤] أي اســتتروا بالحلف كلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على شيء مــنهم يوجــب معاقبتهم حلفوا كاذبين".[٥] وقولـــه تعـــالى: ﴿ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ ﴾،[٦] أي نتبناه.[٧]

١٢-﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾[٨]

المعنى أنهم احتملوا غضب الله أو رجعوا به، أو انقلبــوا وانــصرفوا يحملونه،[٩] وأصل البواء اللزوم. وفي الحديث: فقد باء بــه أحــدهما أي التزمه،[١٠] وقيل معناه في الأصل الرجوع، فيقال باء كفّي أي صار لــه كفّي مباءة أي مرجعا.

قال الأخفش وباؤوا بغضب من الله رجعوا به أي صــار علــيهم.[١١] وقال الأصمعي: "باء بإثمه، فهو يبوء به بوءا إذا أقرّ به، وفي الحــديث

(١) التفسير لابن قتيبة ٣١٣.
(٢) سورة المؤمنون/ ١١٠، قراءة نافع وحمزة والكسائي بضم السين وقرأ الباقون بالكسر. الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ١٣١.
(٣) التفسير لابن قتيبة ٣٨١.
(٤) سورة المجادلة/ ١٦.
(٥) التفسير لابن قتيبة ٤٦٧.
(٦) سورة يوسف/ ٢١.
(٧) التفسير لابن قتيبة ٢١٤.
(٨) سورة البقرة/٦١، ٩٠- آل عمران/ ١١٢، ١٦٢- المائدة/ ٢٩- الأنفال/١٦.
(٩) التفسير لابن قتيبة ١٤٢، ١٧٨، واللسان مادة بوأ، وتفسير الطبري ١/ ٣٣٠، وتفسير القرطبي ١/ ٤٣٠.
(١٠) اللسان مادة بوأ.
(١١) معاني القرآن ١/ ٩٩.

(أبوء بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي أي التزم وأرجع وأقرّ).[1] وفي حديث آخر بوء للأمير بذنبك أي اعترف به. وباء بدم فلان وبحقّه: أقرّ وذا يكون أبدا بما عليه لا له. قال لبيد:

أنكـرت باطلهـا وبؤت بحقهـا عنـدي ولم تفخر عليّ كرامها[2]

١٣- ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾[3]

معنى مابين يديها في الآية ماقبلها، وهذا المصطلح (بين يدي) بلفظ المثنى، أو بين أيديهم بلفظ الجمع، له دلالتان. الأولى: بمعنى (قبل) الزمانية، والثانية بمعنى الظرف المكاني (قدام) أو (أمام). أما المعنى الأول، أي أن تكون بمعنى (قبل) الزمانية، فعليه المعنى في الآية كما قلنا، أي جعلناها نكالا لما قبلها وما خلفها، وقد اختلف في مايعود إليه الضمير في (يديها) فقيل هو للأمة التي مسخت لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها.[4] وقيل إن الضمير يعود إلى المسخة قاله الفراء، أي إن المسخة التي مسخوها جعلت نكالا لما تقدم من ذنوبهم وما

---

(١) اللسان مادة بوأ.

(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٣) سورة البقرة/ ٦٦، ٩٧، ٢٥٥- آل عمران/ ٣، ٥٠- المائدة/ ٤٦، ٤٨- الأنعام/ ٩٢- الأعراف/ ١٧، ٥٧- يونس/ ٣٧- يوسف/ ١١- الرعد/ ١١- مريم/ ٦٤- طه/ ١١٠- الأنبياء/ ٢٨- الحج/ ٧٦- الفرقان/ ٤٨- النمل/ ٦٣- سبأ/ ٩، ١٢، ٣١، ٤٦- يس/ ٩، ٤٥- فاطر/ ٣١- فصلت/ ١٤، ٢٥، ٤٢- الأحقاف/ ٢١، ٣٠- الحجرات/ ١- المجادلة/ ١٢، ١٣- الصف/ ٦- التحريم/ ٨- الجن/ ٢٧.

(٤) الكشاف ١/ ٢١٩.

يتأخر.[١] وهو قول الزمخشري أيضا، وذكر كذلك أن قوله بين يديها يحتمل الظرفية المكانية كما سنذكر.

وللزجّاج في توجيه معنى الآية قول آخر مقارب، وعنده أن المعنى لما سلف من ذنوبها.[٢]

وبهذا المعنى فسر ابن قتيبة المصطلح (بين يديه) في قوله تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي لما قبله، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، قال: "يقال فلان يقدّم بين يدي الإمام وبين يدي أبيه أي يعجّل بالأمر والنهي دونه".[٣] وأمّا المعنى الثاني، وهو الظرفية المكانية (أمام) أو (قدّام)، فقد وجّه به آية سورة البقرة الآنفة الذكر، قال الزمخشري: "أو أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والأمم".[٤] وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ "ما محمد إلاّ نذير لكم ينذركم على كفركم بالله، عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها".[٥] وهذا المعنى واضح في قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ ، والحقيقة أنه لم يستعمل في القرآن الظرفان المكانيان (أمام) أو (قدّام)، إلا مرة واحدة استعمل فيها الظرف (أمام) وهي قوله تعالى: ﴿ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ في سورة القيامة. وإذا أريد معناهما استعمل المصطلح الذي نحن في صدده.

وعندنا أن معنى (الأمامية) أو (القبلية) في هذا المصطلح متأتّية من أن كل مايقع بين يدي الإنسان فهو أمامه وبعكسه الخلف، ولذلك ورد في القرآن الكريم هذان المصطلحان متلازمين. ويقول الشريف الرضي في

---

(١) الكشاف ١/٢١٩.

(٢) ينظر معاني القرآن ١/ ٤٣، واللسان مادة يدي.

(٣) التفسير ٣٦١، ٤١٥.

(٤) الكشاف ١/ ٢١٩.

(٥) تفسير الطبري ٢٢/ ٧١.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: "وهذه استعارة، والمراد أنه عليه السلام بعث ليقدم الإنذار أمام وقوع العقاب إزاحة للعلة وقطعا للمعذرة".[1]

١٤- ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]

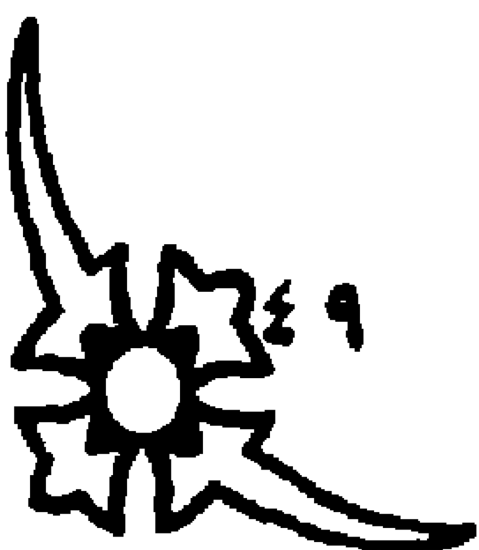
يقال في اللغة: "قال على الله شيأ أو تقوله عليه بمعنى افتراه وابتدعه كذبا وقال عليه مالم يكن قاله.[3] ويدخل فيه كل مايضاف إلى الله تعالى مما لايجوز عليه، كالقول هذا حرام وهذا حلال بدون علم،[4] كما قالت اليهود في البحائر والسوائب والوصائل والحوامي.[5]

١٥- ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[6]

التظاهر في هذه الآية وغيرها بمعنى التعاون، وظاهر بعضهم بعضا أعانه، والمظاهرة المعاونة. وفي حديث عليّ عليه السلام أنه بارز يوم بدر وظاهر أي نصر وأعان.[7] وأصل المظاهرة والتظاهر بهذا المعنى من الظهر. "فكأن التظاهر أن يجعل كل واحد من الرجلين أو من القوم الآخر له ظهرا يتقوّى به ويستند إليه"[8] والظهير بهذا المعنى أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.[9]

---

(١) تلخيص البيان ١٩٥.
(٢) سورة البقرة/ ٨٠، ١٦٩- آل عمران/ ٧٥، ٧٨- النساء/ ١٧١- الأنعام/ ٩٣- الأعراف/ ٢٨، ٣٣، ١٦٩- يونس/ ٦٨- الحاقة/ ٤٤.
(٣) ينظر اللسان مادة قول.
(٤) الكشاف ١/ ٢٥٠.
(٥) تفسير الطبري ٢/ ٤٦.
(٦) سورة البقرة/ ٨٥- التوبة/ ٤- الإسراء/ ٨٨- الفرقان/ ٥٥- الأحزاب/ ٢٦- سبأ/ ٢٢- القصص/ ١٧، ٤٨، ٨٦.
(٧) اللسان مادة ظهر.
(٨) التفسير لابن قتيبة ٥٧، وينظر تفسير الطبري ١/ ٣١٤.
(٩) سورة التحريم/ ٤.



١٦- ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾[١]

قرئت بضم الغين وسكون اللام وقرئت بضمهما،[٢] فالأول جمع أغلف"كأنها في غلاف لا تفهم عنك ولا تعقل شيئاً مما تقول".[٣] أو هي معصوب عليها.[٤] والثاني جمع غلاف.[٥]

والمعنى على القراءة الأولى أن قلوبهم مغلّفة أي مغشّاة ومغطّاة لاتعي شيئاً ولا تفقه شيئاً، وهي كقوله تعالى حكاية عنهم [٦].

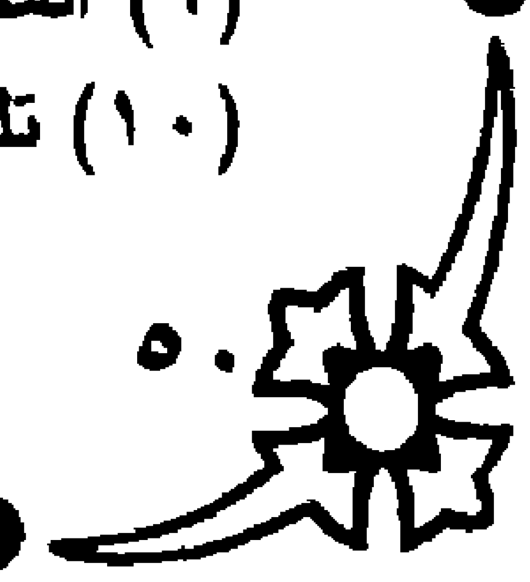
وهذا المعنى مستعار عند ابن قتيبة من قولهم "غلّفت السيف إذا جعلته في غلاف، فهو سيف أغلف"[٧] وعند الزمخشري مستعار من الأغلف الذي لم يختن، أو أن اللام سكنت تخفيفاً فهي جمع غلاف.[٨] وأيّا كان المستعار منه فإن المعنى المتحصل واحد.

وأمّا المعنى على القراءة الثانية، فهو أنهم يزعمون أن قلوبهم أوعية للعلم فهم مستغنون بما عندهم عن غيره،[٩] والمعنى على التأويلين مستعار عند الشريف الرضي.[١٠]

والحاصل أن معنى هذا المصطلح أنهم لا يعون ولا يعقلون ولا يفقهون مايسمعون، أو إنهم قد بلغوا من العلم بحيث يستغنون به- في زعمهم- عن العلم الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة البقرة/ ٨٨- النساء/ ١٥٥.
(٢) قال الزمخشري (١/ ٢٢٦) ورُوي عن أبي عمرو قلوبنا غلف بضمتين.
(٣) التفسير لابن قتيبة ٥٧.
(٤) تفسير الطبري ١/ ٣٢٢.
(٥) اللسان مادة غلف، وينظر الكشاف ١/ ٢٢٦.
(٦) سورة فصلت/ ٥.
(٧) التفسير لابن قتيبة ٥٧.
(٨) الكشاف ١/ ٢٢٦.
(٩) المصدر السابق، نفس الموضع.
(١٠) تلخيص البيان ٨.



١٧- ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [(١)]

أكثر المفسرين في معنى هذه الآية على أنهم أشربوا حب العجل فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مكانه،[(٢)] وهو ما اختاره الطبري، ولكنه يذكر معنى آخر لمفسرين آخرين، وهو أنهم سقوا ماء سحالة العجل.[(٣)]

وأصل معنى الاشراب المخالطة، وفي اللسان: "كل لون خالط لونا آخر فقد أشربه، والاشراب لون قد أشرب من لون، يقال أشرب الأبيض حمرة أي علاه ذلك، وفيه شربة من حمرة أي إشراب ورجل مشرب حمرة، وإنه لمسقي الدم مثله، وفيه شربة من الحمرة إذا كان مشربا حمرة، وفي صفته صلى الله عليه وسلم أبيض مشرب حمرة. الإشراب خلط لون بلون كأن أحد اللونين سقي اللون الآخر، وأشرب فلان حب فلانة أي خالط قلبه، وأشرب قلبه محبة هذا أي حلّ محل الشراب".[(٤)]

فأصل معنى الاشراب إذن مخالطة لون بلون حتى يغلب عليه، والمعنى في الآية أن حبّ العجل قد خالط قلوبهم حتى أصبح هو الغالب عليها، فلا ينازعه فيها منازع، وقد ورد هذا المعنى، أي غلبة الحب على مافي القلب وغلبته عليه في حديث الافك، لقد سمعتموه وأُشرِبته قلوبكم أي سقيته كما يسقى العطشان الماء، ومثله حديث أبي بكر رضي الله عنه: وأُشْرِب قلبه الإشفاق.[(٥)]

فسبيل هذا المعنى في انتقاله من مخالطة لون بلونٍ وغلبته عليه إلى غلبة حب شيء على القلب سبيل الاستعارة، وليس سبيل المجاز المرسل

---

(١) سورة البقرة/ ٩٣.
(٢) التفسير لابن قتيبة ٥٨، والتأويل له ٢١٠.
(٣) تفسير الطبري ١/ ٣٣٥.
(٤) مادة شرب.
(٥) اللسان مادة شرب.



كما قالوا مفترضين أن المعنى أُشربوا في قلوبهم حب العجل، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كما قال الشاعر:

وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب

أي كخلالة أبي مرحب.(١)

وسبيل الاستعارة أقوى وأبلغ لما فيها من إقامة المشبه به حتى يصبح كأنه هو، ولأن المراد بها وصف قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنها تشربت حبه فمازجها ممازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ.(٢)

١٨- ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾(٣)

أصل النبذ طرح مالا يعتدّ به، وغالب النبذ الذي في القرآن على هذا الوجه،(٤) والنبذ الإلقاء ومنه نبذ الكتاب وراء ظهره،(٥) ونبذ الشيء وراء الظهر مصطلح ويسميه الطبري والزمخشري مثلا يراد به 'الإعراض عنه والصدّ والانصراف.(٦) والعرب تقول واجه إرادته إذا أقبل عليها بقضائها، وإذا تركها ولم يلتفت إليها قالوا جعلها بظهر، قال الفرزدق:

تميم بن قيس لاتكونن حاجتي بظهر فلا يعيا عليّ جوابها(٧)

وفي هذا استعارة كما يقول الشريف الرضي، لأنهم "غفلوا عن ذكره وتشاغلوا عن فهمه، يعني الكتاب المنزل عليهم فكان كالشيء الملقى خلف ظهر الإنسان لايراه فيذكره ولا يلتفت إليه فينظره".(٨)

---

(١) اللسان مادة شرب.

(٢) تلخيص البيان ٩.

(٣) سورة البقرة/ ١٠١- آل عمران/ ١٨٧- الأنعام/ ٩٤.

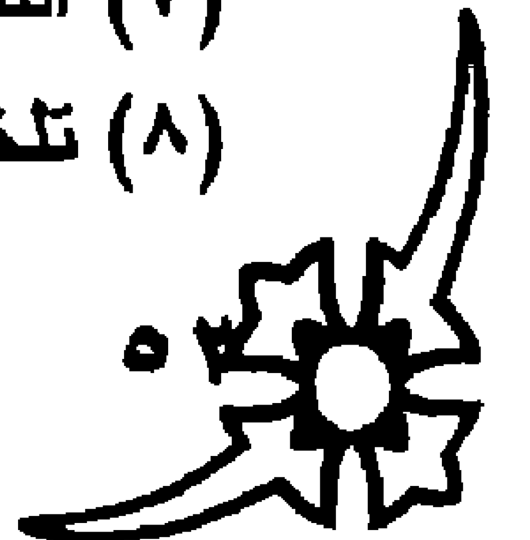
(٤) التاج مادة نبذ.

(٥) اللسان مادة نبذ.

(٦) تفسير الطبري ١/ ٣٥٢، والكشاف ١/ ٣٠٠.

(٧) اللسان مادة ظهر.

(٨) تلخيص البيان ٢٣.



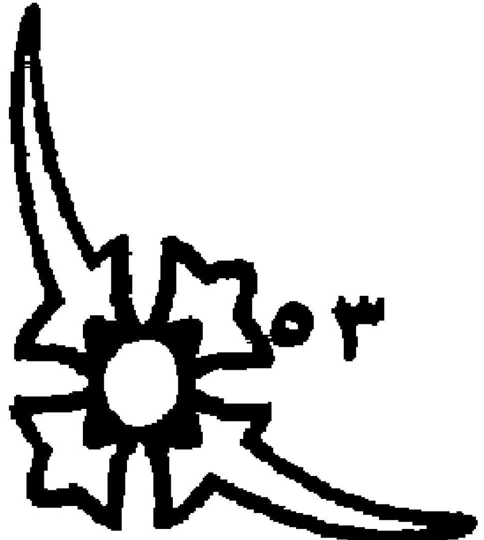
١٩- ﴿ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ ﴾[١]

راعنا من المراعاة وهي المناظرة والمراقبة، يقال راعيت فلانا مراعاة ورعاء إذا راقبته وتأملت فعله، وراعيت الأمر نظرت الام يصير،[٢] وقيل هي من المراعاة بمعنى المكافأة،[٣] وقيل هي على صيغة فاعل من الرعونة.[٤] ونقل عن ثعلب أنها كلمة يتسابّ بها اليهود وهي في لسانهم راعنا أو راعونا،[٥] وقال الزمخشري هي راعينا.[٦]

فأصل (راعنا) أنها بمعنى انظرنا وارقبنا أو انتظرنا كما يقول ابن قتيبة،[٧] غير أن اليهود كانوا يسبّون بها الرسول صلى الله عليه وسلم في سرّهم فانتهزوا هذه الفرصة ليظهروا بها مسبّتهم،[٨] يدل على ذلك أنها في السريانية أو العبرانية راعينا أو راعونا.[٩] ولاشك أنهم كانوا يشبعون الحركة فتصبح ياءً لتشبه الكلمة راعينا التي هي في لسانهم، أو يسكنون العين أو يختلسون حركتها فتصبح (رعْنا) ليميلوا بها إلى الرعونة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ وهذا نوع من التورية ولا شك.

---

(١) سورة البقرة/ ١٠٤، والنساء/ ٤٦.
(٢) اللسان مادة رعى.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق، قرئت بالتنوين.
(٥) اللسان مادتي رعن ورعى.
(٦) الكشاف ١/ ٥٣٠.
(٧) التأويل ٣٧٥.
(٨) تفسير الطبري ٥/ ٧٦.
(٩) قرئت راعونا.



٢٠-﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾[١]

أصل الاسلام الانقياد، وأسلمت وجهي لله معناه انقدت إليه بلساني وعقدي،[٢] أو هو الاستسلام لأنه من استسلمت لأمره وهو الخضوع لأمره، وإنما سمي المسلم مسلما بخضوع جوارحه لطاعة ربه،[٣] والمعنى عند الشريف الرضي أنه أقبل على عبادة الله تعالى سبحانه وجعل توجهه إليه بجملته لا بوجهه دون غيره،[٤] والوجه عند الشريف الرضي استعارة وحقه أن يكون مجازا مرسلا كما بيّن معناه هو وكما حدّه البلاغيون.

وهذا المصطلح من المصطلحات التي انتقلت من أصولها اللغوية إلى معان متطورة، ومن ألفاظ عديدة إلى لفظة واحدة تتلخص فيها كل المعاني التي احتواها هذا المصطلح. فقد كان بدءاً إسنادياً يتكون من الفعل (أسلم) والمفعول به (وجه) والجار والمجرور ولفظ الجلالة ، أو رب العالمين أو غيرهما من أسماء الله الحسنى، كما في الآية التي نحن بصددها ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ وغيرها من الآيات، ثم استعمل هذا المصطلح أيضا محذوفاً منه المفعول به (وجه)، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥]،ثم استعمل الفعل (أسلم) مجرداً من المفعول به والجار والمجرور للدلالة على نفسه كما في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ ﴾.[٦]

---

(١) سورة البقرة /١١٢، ١٣١- آل عمران / ٢٠- النساء/ ١٢٥- لقمان /٢٢.

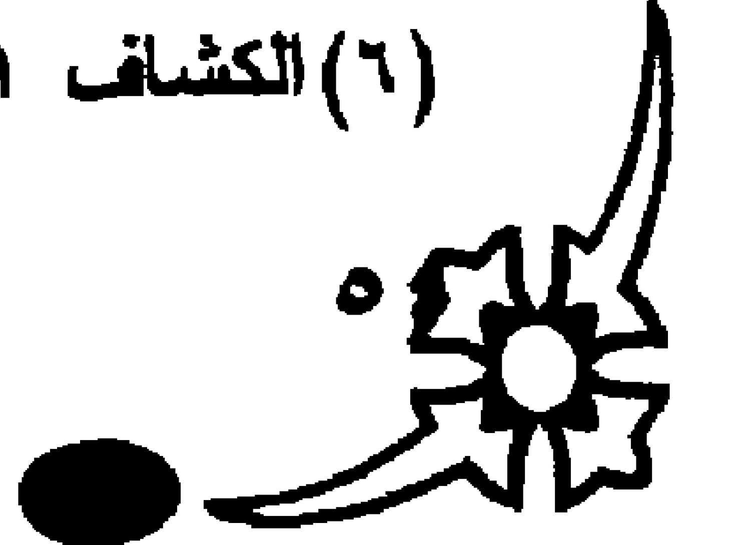
(٢) التأويل لابن قتيبة ٤٧٩.

(٣) تفسيرالطبري ٣٩٣/١.

(٤) تلخيص البيان ١٠ .

(٥) تفسير الطبري ٣٩٤/١ .

(٦) الكشاف ٣٠٥/١.

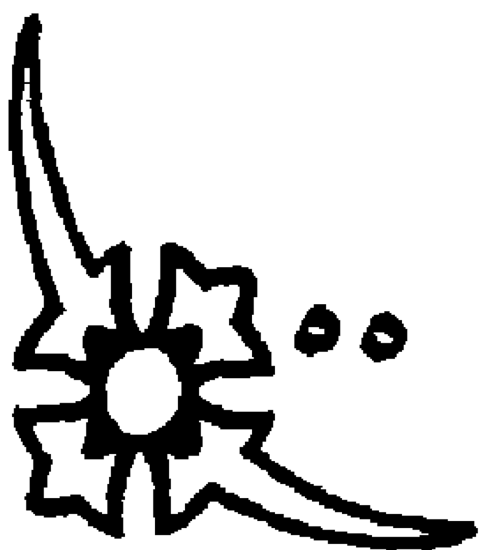


ثم بعد ذلك استعمل اسم الفاعل معلقا به الجار والمجرور (له) كقوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ ،[1] ثم مجردا منه كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ،[2] ثم استعمل المصدر (الاسلام) دالاً على المعاني التي اشرنا إليها، واسما للدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والانبياء من قبله . وأول مايرد في القرآن هو في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [3] وقد وردت لفظة الاسلام في القرآن الكريم محلاة بالألف واللام،[4] أو مضافة إلى الضمير[5] في ثمانية مواضع جميعها تدل على الدين الحنيف، ولم تستعمل متعلقا بها الجار والمجرور أو المفعول به (وجه).

٢١- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾[6]

معنى على شيء على صواب ، أي أنهم ليسوا في دينهم على صواب،[7] ومعناها عند الزمخشري أنهم ليسوا على شيء يصح أو يعتد به،[8] وهو مقارب لقول الطبري . وقال الزمخشري أيضا:" وهذه مبالغة عظيمة لآن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء ، فإذا نفى إطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ماليس بعده ، وهذا كقولهم أقل من لاشيء ".[9]

(١) الكشاف ٣٠٥/١ .
(٢) سورة آل عمران /١٠٢.
(٣) سورة آل عمران/١٨.
(٤) سورة آل عمران /٨٥،١٩- المائدة/٣- الانعام /١٢٥ - الزمر /٢٢- الصف ٧ .
(٥) سورة الحجرات /١٧ - التوبة/٧٤ .
(٦) سورة البقرة /١١٣ - المائدة /٦٨ - المجادلة /١٨ .
(٧) تفسير الطبري ٣٩٤/١ .
(٨) الكشاف ٣٠٥/١ .
(٩) المصدر السابق، نفس الموضع .



وهذا المصطلح غير الإسنادي (أي شبه الجملة من الجار والمجرور) وقع في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، سُبق في اثنين منها بفعل النفي(ليس)، وهما قوله تعالى في الآية المذكورة من سورة البقرة ، وقوله تعالى: ﴿ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[1] وفي الموضع الثالث سُبق بفعل الشك (يحسبون) وهو قوله تعالى: ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾.[2] وأفعال الشك أقرب في معناها إلى النفي منها إلى الاثبات.

٢٢- ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[3]

العقب (بكسر القاف وسكونها) وتجمع على أعقاب وأعقُب آخر الشيء وعقب القدم مؤخرها،[4] والانقلاب الرجوع مطلقا.[5] والانقلاب على العقبين معناه الرجوع عن الشيء والعودة من الطريق الذي سلكه إليه فقيل ذلك لكل راجع عن أمر كان فيه من دين أو خير، وإنما قيل رجع على عقبيه لرجوعه دبرا على عقبه إلى الوجه الذي كان فيه بدء سيره قبل مرجعه عنه فيجعل ذلك مثلا لكل تارك أمراً وآخذ آخر غيره، إذا انصرف عما كان فيه إلى الذي كان له تاركا فأخذه، فقيل ارتدّ فلان على عقبه وانقلب على عقبيه[6] ومعنى الانقلاب على العقبين أو على الأعقاب في

---

(١) سورة المائدة / ٦٨.

(٢) سورة المجادلة/١٨.

(٣) سورة البقرة/١٤٣، آل عمران/١٤٤ .

(٤) ينظر اللسان مادة عقب .

(٥) اللسان مادة قلب .

(٦) تفسير الطبري ٢/ ١٠.

الآيتين هو الكفر بعد الإيمان والارتداد عن الاسلام،[١] وهذه استعارة لأن فيها تشبيها للرجوع في الارتياب بالرجوع على الأعقاب.[٢]

٢٣- ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[٣]

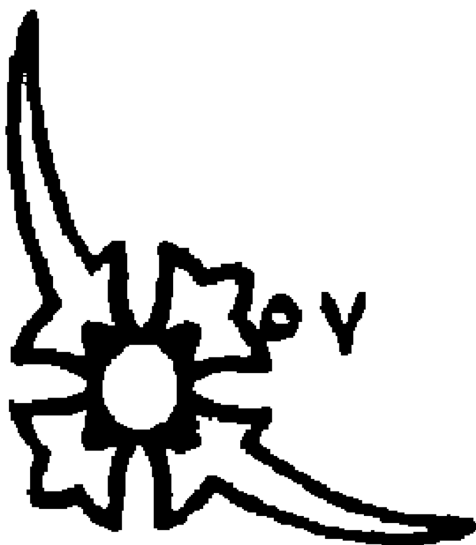
التقلب من القلب وهو تحويل الشيء عن وجهه فتقلب الشيء أي تحول ظهراً لبطن.[٤]

وتقلُّب الوجه معناه انتظار شيء، وإنما قيل ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كان قبل تحويل قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة يرفع بصره إلى السماء ينتظر من الله جل ثناؤه أمره بالتحويل نحو الكعبة.[٥] وعن الزجاج تقلب عينيك في النظر إلى السماء.[٦]

والمعنى في هذا كله يجري على الاستعارة، لأن التقلب كما رأينا هو التحول في الشيء من ظاهره إلى باطنه ومن أعلاه إلى أسفله. وعلى قول الزجاج يكون على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الكلية لأن المقصود العينين دون سائر الوجه .

---

(١) التفسير لابن قتيبة ١٤٣، وتفسير الطبري ٢/١٠.
(٢) تلخيص البيان ٢١.
(٣) سورة البقرة /١٤٤.
(٤) اللسان مادة قلب .
(٥) تفسير الطبري ٢/١٣.
(٦) تفسير القرطبي ٢/١٥٨.



٢٤- ﴿ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾ (١)

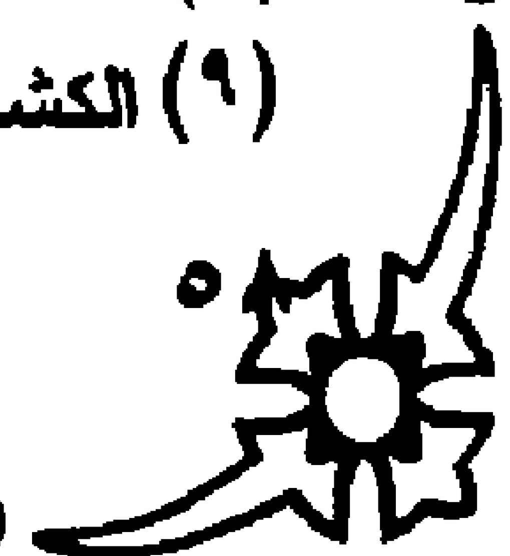
السبب في اللغة هو الحبل القوي الطويل الذي يُصعد به أو يُنحدر به(٢) ولذلك أُسند إليه التقطيع وقد استعير السبب للدلالة على كل شيء يتوصل به إلى شيء آخر، ولذلك قالوا جعلت فلانا لي سبباً إلى فلان في حاجتي وودجاً أي وصلة وذريعة.(٣) ومن ذلك دلالة السبب على القرابة والمصاهرة، ومنه الحديث الشريف:" كل سبب ونسب ينقطع إلاّ سببي ونسبي"،(٤) ودلالته على المودّة والوصال . وبذلك كله فسّر قوله تعالى في الآية فقالوا إن كل شيء كان بينهم ينقطّع يوم القيامة فلا مصاهرة ولا قرابة ولا مودّة ولاوصال، بل ينقلب بعضهم عدوا لبعض.(٥)

٢٥- ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ (٦)

تبع الشيء تبعاً وتباعاً في الأفعال وتبعتُ الشيء تبوعاً سرت في إثره، وأتبعه واتبعه وتتبّعه قفاه.(٧) والخطوة ما بين القدمين بضم الخاء، والخطوة الفعلة الواحدة بفتح الخاء.(٨) ومعنى﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ لاتقتدوا به ولا تستنوا بسنته.(٩) أي لاتقفوا أثره فيما يحرّم عليكم مما لم

---

(١) سورة البقرة/ ١٦٦.
(٢) اللسان مادة سبب.
(٣) المصدر السابق، نفس المادة.
(٤) التاج مادة سبب.
(٥) ينظر التفسير لابن قتيبة ٦٨، وتفسير الطبري ٢/ ٤٣.
(٦) سورة البقرة /١٦٨، ٢٠٨- الأنعام /١٤٢- النور/٢١.
(٧) اللسان مادة تبع.
(٨) التفسير لابن قتيبة٦٨ .
(٩) الكشاف ٣٢٧/١ .



يحرّمه الله، ويحلّه لكم مما حرّمه الله عليكم،(1) ولا تسلكوا الطريق التي يدعوكم إليها،(2) ذلك لأن خطوات الشيطان تدل على عمله أو خطاياه أو طاعته، أو النذور في المعاصي. وكل ذلك قد قال به العلماء في تفسير الآية،(3) وهو خروج بالاتباع والخطوات من معنييهما الحقيقيين إلى معان مجازية على سبيل الاستعارة.

قال الشريف الرضي:" وهي من أشرف الاستعارات وأبلغ عبارةعن التحذير من طاعة ما يأمر به، وقبول قوله فيما يدعو إلى فعله".(4)

٢٦- ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (5)

الإلقاء باليدإلى التهلكة معناه الاستسلام لها والانقياد، وعلى ذلك تكون الباء زائدة، أي لاتقبضوا التهلكة أيديكم أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم، وعندئذ يكون المعنى جاريا على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية، والمراد باليد النفس، لأن الذي ينقاد ويستسلم يعطي يده لمن يقوده ويسلمه إياها. وقيل إن المعنى لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة أي لا تجنوا الهلاك على أنفسكم، وعندئذ لا تكون الباء زائدة وذلك لأن المقصود بقوله تعالى في الآية أن ترك النفقة في القتال كالمستسلم للهلكة بتركه أداء فرض الله عليه في ماله.(6) والآية تحتمل عند الزمخشري أربعة

---

(1) التأويل ٣٣٩.
(2) اللسان مادة خطأ.
(3) ينظر تفسير الطبري ٤٦/٢ .
(4) تلخيص البيان ١١.
(5) سورة البقرة /١٩٥.
(6) ينظر تفسير الطبري ١١٩/٢.

معان، الأول : الذي ذكرناه من أن ترك النفقة في القتال إهلاك للنفس. والثاني :الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله. والثالث: الاستقتال والإخطار بالنفس. والرابع: ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو.(١) وأضاف القرطبي معنى آخر مقارباً وهو أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد(٢).

٢٧- ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴾ (٣)

أصل الافاضة لغة الصبُ بكثرة، كصبُ الماء ونحوه. ومعنى الآية إذا دفعتم من عرفات.(٤) وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا(٥). وعند القرطبي أن معنى أفضتم اندفعتم(٦) فلا مفعول به محذوف، وللطبري تفسير آخر إذ إن معنى الإفاضة عنده الرجوع، قال فإذا أفضتم فإذا رجعتم من حيث بدأتم.

ولذلك قيل للذي يضرب القداح بين الأيسار مفيض لجمعه القداح ثم إفاضته إياها بين المياسرين، ومنه قول بشر بن أبي خازم الأسدي:

فقلت لها ردي إليه جناته فردّت كما ردّ المنيح مفيض(٧)

---

(١) ينظر الكشاف ٣٤٣/١ .
(٢) تفسير القرطبي ٣٦١/٢.
(٣) سورة البقرة /١٩٨،١٩٩
(٤) التفسير لابن قتيبة ٧٩ .
(٥) الكشاف ٣٤٨/١.
(٦) تفسير القرطبي ٤١٤/٢.
(٧) تفسير الطبري ١٦٦/٢.

والصحيح أن هذا كله مأخوذ من إفاضة الماء أي صبَّه بكثرة فلا يفيض الماء إلاّ إذا تجمع. قال الراغب في تفسير الآية: "أي دفعتم منها بكثرة تشبيها بفيض الماء".[1]

٢٨-﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾[2]

العزة الرفعة والامتناع والشدّة والقوّة والغلبة.[3] وقيل في معنى العزّة في هذه الآية إنها بمعنى الاستكبار والحميّة أي إنه: استكبر ودخلته عزّة وحميّة بما حرّم الله عليه وتمادى في غيّه وضلاله".[4] وقيل إنها بمعنى المنعة والشدة أي" اعتزّ في نفسه وانتحى فأوقعته تلك العزة في الإثم حين أخذته وألزمته إياه".[5]

ومعنى أخذته العزة بالإثم من قولك" أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه.[6] وقد استعيرت العزة هنا للحمية والأنفة المذمومة،[7] على أن الاستعارة لا تتحقق إلاّ من المعنى العام، وهو قوله تعالى:﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾..

---

(١) المفردات مادة فيض.
(٢) سورة البقرة/٢٠٦.
(٣) ينظر اللسان مادة عزز.
(٤) تفسير الطبري ١٨٦/٢.
(٥) تفسير القرطبي ١٩/٣، وفيه في الأعمّ تحريف، والصحيح ما أثبتناه.
(٦) الكشاف ٣٥٢/١
(٧) ينظر التاج مادة عزز.



٢٩- ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾[١]

أصل الحبط الذهاب بعد الحصول، فيقال حبط الجرح حبطا بالتحريك أي عرب ونكس،[٢] وحبط ماء الركيّة إذا ذهب ذهابا لا يعود كما كان.[٣] وحبطت الدابة حبطاً بالتحريك إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت.[٤]

وهذه المعاني لا تخرج عمّا ذكرنا من أن هذه المادة تدل على زوال الشيء بعد حصوله أو وجوده. وإسناد الحبط إلى الأعمال استعمال مجازي استعاري،[٥] وقيل في تفسير قوله تعالى ﴿ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ "أي بطلت"،[٦] وقال الطبري": يعني بقوله حبطت أعمالهم بطلت وذهبت وبطولها ذهاب ثوابها وبطول الأجر عليها والجزاء في دار الدنيا والآخرة".[٧]

---

(١) سورة البقرة/٢١٧ -آل عمران/٢٢- المائدة/٥، ٥٣- الانعام/٨٨ - الأعراف١٤٧- التوبة/ ١٧ ، ٦٩-هود /١٦ - الكهف/ ١٠٥ - الأحزاب /١٩ - الزمر /٦٥- محمد صلى الله عليه وسلم/ ٩، ٢٨ ،٣٢ - الحجرات /٢.

(٢) اللسان مادة حبط.

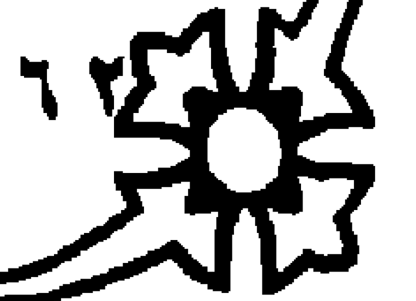
(٣) التاج مادة حبط.

(٤) اللسان مادة حبط.

(٥) تلخيص البيان ١٧ .

(٦) التفسير لابن قتيبة ٨٢.

(٧) تفسير الطبري ٢/٢٠٧.



٣٠- ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [١]

يقال أتى الأمر من مأتاه ومأتاته أي من جهته ووجهه الذي يؤتى منه.[٢] وقول القائل ائت الأمر من مأتاه إنما معناه اطلبه من مطلبه،[٣] وأتى الفاحشة تلبّس بها[٤] . قال الزمخشري :(فأتوا حرثكم)والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث.[٥]

وواضح أنه قد كنّى بالإتيان عن الوطء.[٦] وهي من أجمل الكنايات كما يقول الزبيدي، وعلى هذا يخرج الفعل (أتى) مجازاً إلى معنيين، الأول :بمعنى القصد وطلب الشيء في موضعه المقرر، وعليه قوله تعالى في الآية المذكورة، والثاني: بمعنى التلبّس وفعل الشيء وبه فسر قوله تعالى ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .[٧]

٣١- ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾[٨]

المسُّ هو اللمس وهو مسّك الشيء بيدك.[٩] وواضح أن المس في هذه الآية والآيات الأخر كناية عن غشيان الرجل للمرأة، بدليل ما جاء على

---

(١) سورة البقرة ٢٢٢،٢٢٣ – الأعراف / ٨١- النمل/٥٥- العنكبوت/٢٩.
(٢) اللسان مادة أتى .
(٣) تفسير الطبري ٢/٢٣٠ .
(٤) التاج مادة أتى.
(٥) الكشاف ١/٣٦٢ .
(٦) التاج مادة أتى ،وتفسير القرطبي ٣/٩٠ .
(٧) سورة الأعراف/٨٠، والتاج مادة أتى، وينظر الكشاف ١/٥٥٨ ط. شركة البابي الحلبي.
(٨) سورة البقرة/ ٢٣٦،٢٣٧ –آل عمران/ ٤٧ – مريم /٢٠- الأحزاب/ ٤٩- المجادلة /٣،٤ .
(٩) اللسان مادة مس .



لسان مريم في قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ في إنكارها أن يكـــون لها ولد أي لم تُمسّ بزواج أو نكاح.(١)

٣٢- ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.(٢)

أصل القرض في اللغة القطع، ثم أطلق على مـــا يتجـــازى بـــه النـــاس ويتقاضونه،(٣) وهذه استعارة، وهو في القرآن بمعنى العمل الحسن الـــذي يستحق الثواب والأجر العظيم، كالقتال في سبيل الله كما فـــي الآيـــة، أو الإنفاق في سبيله كما في آية سورة المائدة.(٤) قال القرطبي: "واســـتدعاء القرض في هذه الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه والله هو الغني الحميد، لكنه تعالى شبّه عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو به ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبّه عطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء".(٥)

ولذلك صرّح الشريف الرضي بأنه استعارة، لأن "الغني لنفسه لايجوز عليه الإستقراض على حقيقته، ولكن المقرض في المشاهد لما كان اســـماً لمن أعطى غيره مالاً على أن يرد عليه عوضه أقام توفير العوض مقـــام رد المعوض".(٦)

---

(١) اللسان مادة مس وينظر تفسير القرطبي ٩٢/٤ .
(٢) سورة البقرة/ ٢٤٥- المائدة/١٢- الحديد/١١-١٨، المزمل/٢٠- التغابن/١٧.
(٣) اللسان مادة قرض.
(٤) ينظر تفسير الطبري ٩٨/٦.
(٥) تفسير القرطبي ٣/ ٢٤٠.
(٦) تلخيص البيان ١٣.

٣٣- ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ (١)

الإفراغ لغة هو الصبّ، يقال فرغ عليه الماء وأفرغه صبّه،(٢) ومعنى قوله تعالى: ﴿ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ أي صبّه علينا كما تفرغ الدلو.(٣) وقيل أنزل علينا(٤) صبراً يشتمل علينا(٥) والمعنيان متقاربان وهما استعارة كأنهم قالوا أمطرنا صبراً وأسقنا صبراً.(٦) وفي قوله ﴿ أَفۡرِغۡ ﴾ زيادة فائدة على قوله (أنزل) كما يقول الشريف الرضي(٧) لأن الإفراغ يفيد سعة الشيء وكثرته وانصبابه وسرعته.

٣٤- ﴿ وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا ﴾ (٨)

الثبات في اللغة ضد الحركة. وقد فُسِّر قوله تعالى﴿ وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا ﴾ بأن معناه قوِّ قلوبنا على جهادهم لتثبت أقدامنا فلا ننهزم عنهم.(٩) وخُصّت الأقدام دون سائر الجوارح لأن الاعتماد عليها في المشي والجري إقبالاً أو إدباراً وفي الحركة والسكون. وقد استعمل ثبوت الأقدام أو تثبيتها في القرآن الكريم إمّا في معرض الثبات وعدم التقهقر في القتال كما في الآية

---

(١) سورة البقرة/ ٢٥٠ـ الاعراف ١٢٦ .
(٢) اللسان مادة فرغ.
(٣) تفسير ابن قتيبة ٩٣- ١٧٠.
(٤) تفسير الطبري ٢/ ٣٩٦.
(٥) التاج مادة فرغ.
(٦) تلخيص البيان ١٤.
(٧) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٨) سورة البقرة/ ٢٥٠- آل عمران/ ١٤٧ - الأنفال/ ١١ - النحل/ ٩٤ - محمد صلى الله عليه وسلم/ ٧.
(٩) تفسير الطبري ٢/ ٣٩٦.

المذكورة، وإمّا للدلالة على الرسوخ في الدين وعدم الزلل عنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾.[1]

وقد عدّ الشريف الرضي ثبوت القدم أو زللها في الآية السابقة من باب الاستعارة لأن المراد بالقدم ههنا الثبات في الدين، ولمّا كان أصل الثبات في الشيء والاستقرار إنما يكون بالقدم حسُن أن يعبّر عن هذا المعنى بلفظ القدم وكأن المراد بقوله تعالى ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ أي يضعف دينكم ويضطرب يقينكم، فيكون كالقدم الزالة والقائمة المائلة.[2] وعندي أنها في الآيات الأخرى من باب الكناية، لأن المطلوب في القتال ثبات الأقدام حقيقة ومجازاً.

٣٥- ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[3]

للعروة في اللغة ثلاثة أصول، الأول: هو المقبض في الكوز والدلو ونحوهما.[4] والثاني: الحبل الوثيق.[5] والثالث: ماله أصل باقٍ في الأرض من الشجر كالنصيّ والعرفج وأجناس الخلّة والحمض.[6] وقد وُجِّه معنى الآية على هذه الأصول الثلاثة، قال الطبري: "والعروة في هذا المكان مَثَل للإيمان الذي اعتصم به المؤمن فشبّهه في تعلّقه به وتمسّكه به بالمتمسك بعروة الشيء الذي له عروة يتمسك بها إذ كان كل ذي عروة فإنما يتعلق من أراده بعروته"،[7] وقال الزمخشري: "فقد استمسك بالعروة الوثقى من

---

(١) سورة النحل/ ٩٤.
(٢) تلخيص البيان ١١١.
(٣) سورة البقرة/ ٢٥٦ – لقمان/ ٢٢.
(٤) اللسان مادة عرا.
(٥) الكشاف ١/ ٣٨٧.
(٦) التاج مادة عرا.
(٧) تفسير الطبري ٣/ ١٤.

الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها".[1] وقال الزبيدي إذا أمحل الناس عصمت العروة الماشية، ضربها الله مثلاً لما يعتصم به من الدين في قوله ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾.[2] وقيل إن المقصود بالعروة الوثقى هو قول (لا إله إلاّ الله)، وقيل معناه فقد عقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا تحلّه حجّة.

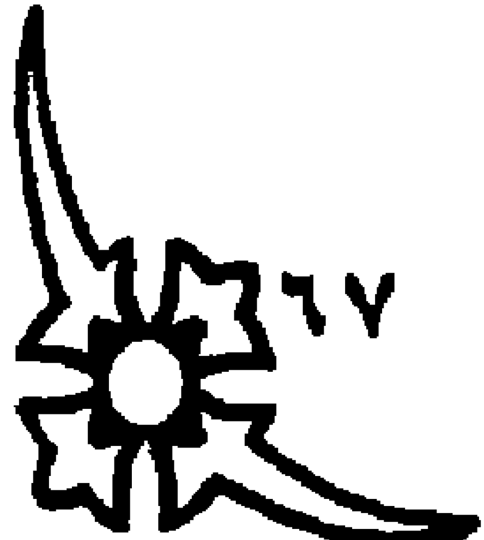
وأيّاً كان معنى العروة في الأصل أو المعنى، فإن استعمالها هنا هذا الاستعمال البليغ يجري مجرى الاستعارة، لأن الذي يتمسك بقول (لا إله إلاّ الله) أو بالعقد الذي عقده على نفسه كمن يتمسك بالعروة التي لا تنفصم أو لا تبلى أو لا ينقطع أصلها، فهو يتشبث به كما يتشبث بالمقبض أو يتمسك بالحبل أو يستعصم به كما تستعصم الماشية بالعروة من الشجر إذا أمحل الناس، وهذا تمثيل للمعلوم والنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به.[3]

٣٦- ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[4]

أصل المعنى في اطمأن من قولهم اطمأنت الأرض وتطأمنت انخفضت[5]، وطمأن ظهره طامنه أي حناه.[6]

---

(١) الكشاف ١/ ٣٨٧.
(٢) التاج مادة عرا.
(٣) الكشاف ١/ ٣٨٧.
(٤) سورة البقرة/ ٢٦٠ - آل عمران/ ١٢٦ - المائدة/ ١١٣ - الأنفال/ ١٠ - الرعد/ ٢٨ - النحل/ ١٠٦.
(٥) اللسان مادة طمن، ويذهب سيبويه الى أن طمأن مقلوب طأمن، لأن طأمن عنده غير ذي زيادة، واطمأن ذو زيادة. الكتاب ٤/ ٣٨١. وخالفه أبو عمرو الشيباني وقال إن لكل مصدره.
(٦) اللسان والتاج مادة طمأن.



ومعنى أن يطمئن القلب أن يسكن بالنظر ويثبت إيمانه بعد أن كان قائماً على الغيب، وذلك بالنظر الى الدلائل، قال ابن قتيبة: "كأن قلبه كان معلقاً بأن يرى ذلك، فإذا رآه اطمأن وسكن وذهبت عنه محبة الرؤية".[١] وهذا معنى قوله تعالى:﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾،[٢] قال الطبري: "تسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله.[٣] وقال الزمخشري: "وتطمئن قلوبهم بذكر الله، بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته".[٤]

٣٧-﴿ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾ [٥]

ذهب المفسرون في توجيه الإغماض في هذه الآية[٦] الى أنه إمّا من إغماض العين وهو إطباق جفونها، وإمّا من الإغماض بمعنى إتيان الغامض من الأمر. فأمّا الذين ذهبوا الى أنه من إغماض العين، فقالوا إن المعنى أنكم لا تقبلوا الخبيث إلاّ أن تترخصوا فيه.[٧] أي تتجافوا في أخذكم إيّاه عن بعض الواجب لكم من حقكم فترخصوا فيه لأنفسكم، يقال منه أغمض فلان لفلان عن بعض حقه فهو يغمض، ومن ذلك قول الطرماح ابن حكيم:

---

(١) التفسير ١٩٦.

(٢) سورة الرعد/ ٢٨.

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٩٧.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٥٩.

(٥) سورة البقرة/ ٢٦٧.

(٦) قال الزبيدي في تاج العروس مادة غمض: (إن رجلاً جاء بصدقة من حشف التمر فألقاه في خلال الصدقة فنزلت الآية).

(٧) التفسير لابن قتيبة ٩٨، والتأويل له ١٠٤.

لم يفتنا بالوتر قــوم وللــضيــ   م رجال يرضون بالإغمــاض[1]

لأن الذي يريد الصبر على مكروه يغمض عينيه، قال:

إلى كم وكم أشياء عنك تريبنـــــي   أغمّض عنها لست عنها بذي عمى

وهذا كالإغضاء عند المكروه.[2]

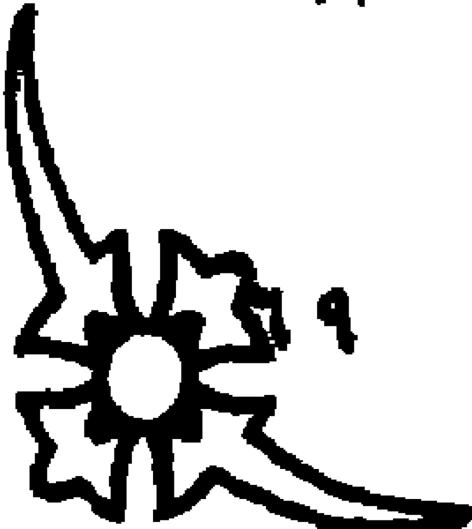
وأمّا الذين ذهبوا الى أن الإغماض بمعنى إتيان الغامض من الأمــر، فقالوا إن العرب تقول أغمض الرجل إذا أتى غامضاً من الأمر، كما تقول أعمن الرجل إذا أتى عمان، وأعرق أي أتى العراق، وأنجد وأغــور أي أتى نجداً والغور – الذي هو تهامة – والمعنى أنه يطلب التأويــل علــى أخذه.[3]

وسواء كان الإغماض من إغماض العين أم إتيان الغامض من الأمر، فانه يجري في هذه الآية على الاستعارة، لأن المشتري يتغاضى عما في السلعة من عيوب مقابل أن يتساهل البائع في ثمنها، وقد تطور المعنى في الإغماض الى الدلالة على التساهل والمسامحة.[4]

٣٨- ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٥)

أصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه، ولذلك سمي لابس الــسلاح كافرا لأنه غطّاه السلاح، وسمي الزرّاع كافرا لــستْره البــذر بــالتراب،

(١) تفسير الطبري ٣/ ٥٦، وينظر الكشاف ١/ ٣٩٦.
(٢) تفسير القرطبي ٣/ ٣٢٧.
(٣) تفسير القرطبي ٣/ ٣٢٧.
(٤) لسان العرب مادة غمض.
(٥) سورة البقرة/ ٢٧١ – آل عمران/ ١٩٣، ١٩٥ – النساء/ ٣١ – المائدة/ ١٢ – الأنفال/ ٢٩ – العنكبوت/ ٧ – الزمر/ ٣٥ – محمد صلى الله عليه وسلم/ ٢ – الفتح/ ٥ – التغابن/ ٩ – الطلاق/ ٥ – التحريم/ ٨.



والكافر أيضاً المظلم لأنه يستر بظلمته كل شيء، والبحر لستره ما فيه، وكل من ستر شيئاً فقد كفره وكفّره.(١) وتكفير السيئات سترها حتى تصير كأن لم تكن، أو إذهابها وإزالتها، فهو من باب التمريض لإزالة المرض، والتقذية لذهاب القذى.(٢) قال الراغب: "والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر".(٣)

قال الطبري إن المعنى "لأغطّين بعفوي عنكم وصفحي عن عقوبتكم على سالف إجرامكم"،(٤) وعند الزمخشري أن "التكفير إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة".(٥)

٣٩-﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾(٦)

معنى الضرب في الأرض السير فيها طلبا للرزق والمكاسب والتجارة.(٧) وقال ابن قتيبة انه التباعد.(٨)

ولعل هذا المعنى متأتٍ من أن المسافر ماشياً أو راكباً يضرب الأرض بأقدامه، أو أقدام راحلته، فعلى هذا يكون هذا المصطلح جارياً على الكناية. ومن المعلوم أن الضرب يقع على جميع الأعمال إلاّ قليلاً، كضرب الخمر على الجيوب، أي تغطيتها، وضرب النقود أي سكّها، وضرب الخيام أي إقامتها.(٩)

---

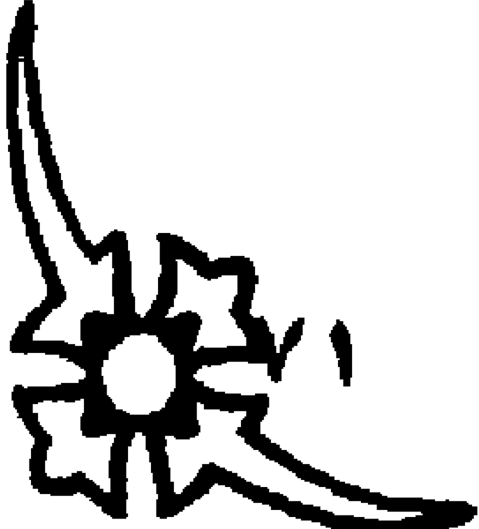
(١) ينظر اللسان مادة كفر.
(٢) التاج مادة كفر.
(٣) المفردات مادة كفر.
(٤) تفسير الطبري ٦/ ٩٨.
(٥) الكشاف ١/ ٥٢٢.
(٦) سورة البقرة/ ٢٧٣ – آل عمران/ ١٥٦ – النساء/ ١٠١ – المائدة/ ١٠٦ – المزمل/ ٢٠.
(٧) التأويل لابن قتيبة ٣٧٨، وتفسير الطبري ٣/ ٦٥.
(٨) التفسير ١١٤.
(٩) اللسان مادة ضرب.

٤٠- ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾[١]

الاصر هو الثقل،[٢] أو هو الثقل والشدّ،[٣] أو العبء.[٤] ومعنى الثقل والعبء واضح في الآية في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾ بدليل ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ ﴾. وقد انتقل معنى الاصر الى أمور منها العهد، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ أي عهدي لأن العهد ثقل ومنع من الأمر الذي أخذ له.[٥] ومنها اليمين وهو أن تحلف بطلاق أو عتاق أو نذر.. لأنها أثقل الايمان وأضيقها مخرجا يعني أنه يجب الوفاء بها ولا يتعوض عنها بالكفارة،[٦] ومنها الأمر الثقيل عموما،[٧] ومنها ما يراه الفراء من أنه إثم العقد والعهد إذا ضيّعوه أو عقوبة ذنب شاقة عن أبي منصور.[٨]

وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾ أي لا تحمّلنا من التكاليف ما لا طاقة لنا على حمله، فالمعنى هاهنا على سبيل الاستعارة، لأن هذه التكاليف أثقال يشق على الانسان حملها، وفي هذا إشارة الى ما وضعه الاسلام عن المسلمين من الأوزار التي كان يتحمّلها بنو إسرائيل من نحو قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب[٩] ، وتحريم التصرف في السبوت والأكل من اللحم المتصل

(١) سورة البقرة/ ٢٨٦ – آل عمران/ ٨١ – الأعراف/ ١٥٧.
(٢) اللسان والتاج مادة إصر، والتأويل لابن قتيبة ١٤٨، والتفسير له ١٠٠، ١٧٣.
(٣) التاج مادة إصر.
(٤) الكشاف ١/ ٤٠٨.
(٥) التأويل لابن قتيبة ١٤٨، والتفسير له ١٠٠.
(٦) التاج مادة إصر.
(٧) اللسان مادة إصر.
(٨) المصدر السابق.
(٩) تفسير الكشاف ١/٤٠٨.



بالعروق وما يجري هذا المجرى.[1] وهذا واضح في الآية الثالثة وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ .

٤١- ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[٢]

الزيغ الميل، يقال زاغ عن الطريق يزيغ إذا عدل عنه،[٣] ومنه قوله تعالى: ﴿ أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴾ أي عدلت ومالت.[٤] وهو الجَوْر والاعوجاج والانحراف أيضاً.

وزيغ القلوب استعارة لأن المقصود ميلها عن الحق وعدولها عن الصواب وانحرافها عنهما، وهذا كله فساد وميل عن الدين.[٥]

٤٢- ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾[٦]

الغناء الاجزاء والكفاية، وهو مصدر أغنى يغني بعد حذف همزة التعدية كالعطاء مصدر أعطى يعطي، ويأتي بمعنى الصرف أيضاً والكفّ. يقال أغن عنّي شرّك أي اصرفه وكفّه.[٧] وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أنها لن تغني عنهم من طاعة الله أو رحمته شيئاً أي لا تجزىء ولا تكفي بدل

---

(١) تلخيص البيان ٥١.
(٢) سورة آل عمران/ ٧، ٨ – التوبة/ ١١٧ – الصف/ ٥.
(٣) اللسان مادة زيغ.
(٤) التفسير لابن قتيبة ١٠١.
(٥) ينظر المصدر السابق، وتفسير الطبري ٣/ ١١٧، وتفسير القرطبي ٤/ ١٩.
(٦) سورة آل عمران/ ١٠، ١١٦ – الأنفال/ ١٩ – التوبة/ ٢٥ – يونس/ ٣٦ – هود/ ١٠١ – يوسف/ ٦٧، ٦٨ – ابراهيم/ ٢١ – مريم/ ٤٢ – يس/ ٢٣ – الدخان/ ٤١ – الجاثية/ ١٠، ١٩ – الأحقاف/ ٢٦ – الطور/ ٤٦ – النجم/ ٢٦، ٢٨ – المجادلة/ ١٧ – التحريم/ ١٠.
(٧) ينظر السان مادة غنا.

رحمته وطاعته شيئا،[1] ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ "أي لا يقوم في شيء مقامه ولا ينتفع به حيث يحتاج الى اليقين".[2] وقيل إن معنى الآية أي لا تصرف. ومثله "حديث ابن مسعود: وأنا لا أغني لو كانت لي منعة أي لو كان معي من يمنعني لكفيت شرهم وصرفتهم".[3]

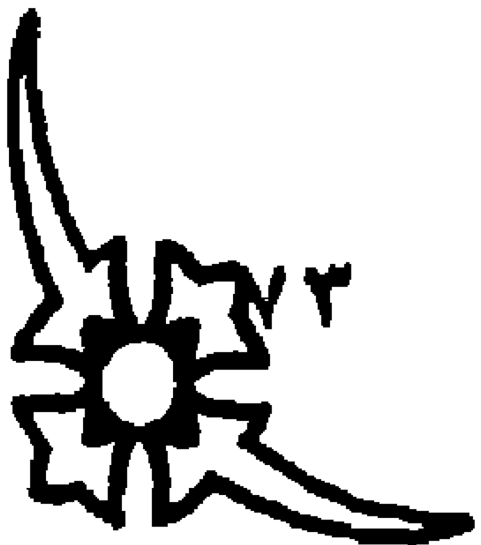
٤٣- ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [4]

القسط العدل،[5] وقام بالقسط معناه أقسط أي عدل. قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾: "مقيماً للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال، ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض، والعمل على السويّة فيما بينهم".[6] وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾: "والقسط أن يعطي كل ذي حق منهم حقه ذكراً كان أو أنثى الصغير منهم بمنزلة الكبير".[7]

وقد استعمل في القرآن الفعل أقسط بمعنى عدل أيضاً[8] عندما لايكون الأمر جارياً على التوكيد، لأن القيام بالقسط آكد من الإقساط، والآيات التي يقترن القسط فيها بالقيام تتحدث عن عدل الله تعالى أو تأمر بالعدل بين الناس أو في الميزان، وكل ذلك يقتضي توكيدا يمنع أدنى شك أو ريبة فيما يتحدث عنه أو يؤمر به، ولاشك أن القيام بالشيء أو النهوض به يقتضي صبراً وجلداً عليه.

---

(١) ينظر الكشاف ١/ ٣١١.
(٢) تفسير الطبري ١١/ ٨٢.
(٣) اللسان مادة غنا.
(٤) سورة آل عمران/١٨ – النساء/١٢٧،١٣٥ – الرحمن/٩- الحديد/٢٥.
(٥) اللسان مادة قسط.
(٦) الكشاف ١/٣١٤.
(٧) تفسير الطبري ٥/١٩٥.
(٨) ينظر مثلاً سورة البقرة/٢٨٢ – الحجرات/٢٩ – الأحزاب/٥.



٤٤- ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾[١]

هذه الآية معناها أنه قد بريء من الله، وبريء الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر.[٢] قال الزمخشري: ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، ومن يوالِ الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول، فإن موالاة الولي وموالاة عدوّه متنافيان.[٣] وزاد القرطبي أنه ليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء.[٤] وعنده أن هذا مثل قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ ومثل حكاية سيبويه هو منّي فرسخين[٥] أي من أصحابي ومعي.[٦]

ومعنى ذلك أنه يجري مجرى المجاز المرسل، لأن المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[٧] أي اسأل أهل القرية. وأما حكاية سيبويه هو مني فرسخين أي من أصحابي ومعي، فلا أجد قرابة بين المعنى واللفظ. ولعله من المصطلحات التي بعُد بها الزمن فلا نستطيع معرفة العلاقة بين ألفاظها ومعانيها، ولم تصل إلينا أصولها وتطورها في الاستعمال. وهذا مثل قولهم (بعين ما أرينّك) أي أسرع،[٨] اللهم إلا إذا كان معنى قولهم هو مني فرسخين أنه في حوزتي وأرضي.

---

(١) سورة آل عمران/٢٨ – الأنعام/١٥٩.
(٢) تفسير الطبري ١٥٢/٣.
(٣) الكشاف ٤٢٢/١.
(٤) تفسير القرطبي ٥٧/٤.
(٥) نص سيبويه في هذا المثل على رفع فرسخين. قال في باب ما شبه من الأماكن المختصة: "وأما ما يرتفع من هذا الباب فقولك: هو مني فرسخان، وهو منّي عدوة الفرس، ودعوة الرجل وغلوة السهم، وهو مني يومان وهو منّي فَوْتَ اليد، فإنما فارق هذا الباب الأول، لأن معنى هذا أنه يخبر أنه بينه وبينه فرسخين ويومين ودعوة الرجل وفَوْتاً". ثم قال: "وتقول أنت منّي فرسخين أي أنت مني مادمنا نسير فرسخين فيكون ظرفاً كما كان ما قبله مما شبه بالمكان". كتاب سيبويه١/٤١٥، ٤١٧.
(٦) تفسير القرطبي ٥٧/٤.
(٧) سورة يوسف/٨٢.
(٨) مجمع الأمثال: الميداني١/١٠٠.

٤٥- ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ ﴾ (١)

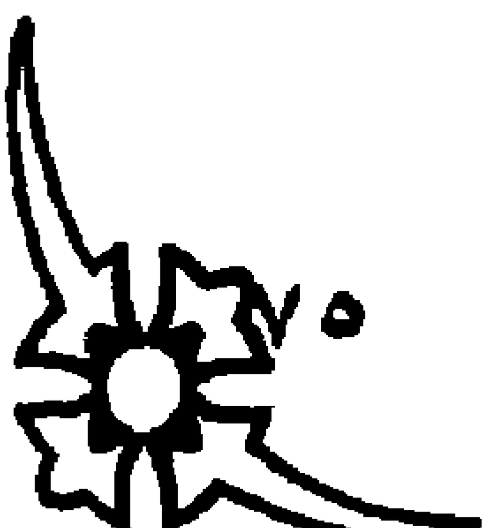
أغلب المفسرين على أن المعنى في هذه الآية أنهم اقترعوا على كفالة مريم وحضانتها بالأزلام على نحو ما كانت تفعل العرب في القداح،(٢) وعلى هذا يكون معنى الأقلام هنا الأزلام واحدها زلم ، وهو السهم الذي يضرب في القداح. وإنما سمي السهم قلماً لأنه يُقْلَم أي يُبْرى (٣) وقال الزمخشري إنهم اقترعوا بالأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركاً بها.(٤) وعندي أن إلقاء الأقلام هنا يحتمل أن يكون كناية عن الخصومة بدليل قوله تعالى في الآية نفسها﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ، ذلك لأن المتخاصمين إذا اشتد بينهم الخصام ألقوا ما بأيديهم وانشغلوا بالخصومة عن الكتابة.

٤٦- ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ (٥)

القيام ضد القعود، وهو في هذه الآية خرج عن أصله فقيل معناه المواظبة بالاقتضاء برفع الأمر إلى الحاكم وإقامة الدليل عليه.(٦) وقيل معناه القيام على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة والتعنيف(٧) مواجهة فيستحي فيؤدي ما عليه لأن الحياء في العينين.(٨) وقد اختار الطبري المعنى الأول، أي مادمت عليه قائماً بالمطالبة والاقتضاء، من قولهم قام فلان

---

(١) سورة آل عمران/٤٤.
(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة١٠٥، وتفسير الطبري ٣/١٨٤، والكشاف ١/٣٢٣.
(٣) اللسان مادة قلم.
(٤) الكشاف ١/٣٢٣.
(٥) سورة آل عمران/٧٥.
(٦) التفسير لابن قتيبة ١٠٦، والكشاف ١/٤٣٨.
(٧) الكشاف ١/٤٣٨.
(٨) تفسير القرطبي ٤/١١٧.



بحقي على فلان حتى استخرجه، أي عمل في تخليصه وسعى في استخراجه منه حتى استخرجه.(١)

وذهب الراغب إلى أن القيام هنا بمعنى الثبوت "أي ثابتاً على طلبه".(٢)

وعلى هذا يجري الكلام في هذه الآية مجرى الكناية، لأن الاقتضاء والمواظبة على المطالبة ومتابعة ذلك وعدم الغفلة عن المدين والسهو عنه وتركه يماطل، كل ذلك يحتمل القيام عليه.

٤٧-﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ (٣)

اللّيّ الفتل من لوى الحبل يلويه ليّاً فتله، أو هو الجدل والثّني.(٤) ومعنى يلوون ألسنتهم أي يقلبون الكلام بها، كقوله تعالى: ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ من ليّك في الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين عن الآخر،(٥) ذلك أنهم ينطقون راعنا التي هي بمعنى انتظرني وترفّق بي كما ينطقون راعينا التي هي عبرانية أو سريانية يتسابّون بها(٦) فيحركون ألسنتهم ليحرّفوا معناها إلى المكروه من معنييه، واستخفافاً منهم بحق النبي صلى الله عليه وسلم وطعنا في الدين.(٧) وهذه استعارة، لأن المراد بها الميل بكلامهم إلى جهة الاستهزاء بالمؤمنين والوقيعة في الدين.(٨)

---

(١) تفسير الطبري ٢٢٦/٣.
(٢) المفردات مادة قوم.
(٣) سورة آل عمران/٧٨ – النساء/٤٦.
(٤) ينظر اللسان مادة لوى.
(٥) التأويل لابن قتيبة٣٧٥، وينظر التفسير له ١٠٧.
(٦) الكشاف ٥٣٠/١.
(٧) تفسير الطبري ٧٦/٥.
(٨) تلخيص البيان ٢٥.

٤٨- ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾[١]

الأخذ خلاف العطاء، وهو أيضا التناول،[٢] والإصر الشدة والعقد ومنه الإصار الذي يعقد به.[٣]

وأصل الأخذ أن يكون باليد ثم يستعار في مواضع، ومن معانيه المستعارة القبول.[٤] وزاد الطبري الرضا إلى القبول، وقال هو من قولهم أخذ الوالي عليه البيعة بمعنى بايعه وقبل ولايته ورضي بها.[٥]

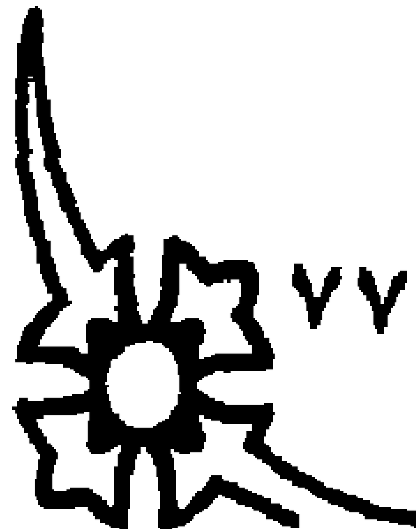
٤٩- ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[٦]

السبيل الطريق، واستطاعة السبيل إلى شيء هي القدرة على الوصول إليه. قال الطبري في معرض الحديث عن آية الحج:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء أن ذلك على قدر الطاقة، لأن السبيل في كلام العرب الطريق، فمن كان واجدا طريقا إلى الحج لامانع له منه من زمانة أو عجز أو عدو أو قلّة ماء في طريقه أو زاد أو ضعف عن المشي فعليه فرض الحج لايجزيه إلاّ أداؤه". [٧]

ويتحصل من هذا أن استطاعة السبيل هي القدرة والطاقة على الوصول إلى الشيء سواء أكان ذلك في سلامة الطريق نفسها أم في القدرة البدنية للمسافر، أم ما يحيط بالإنسان من ظروف، كل ذلك يدخل

---

(١) سورة آل عمران/٨١.
(٢) اللسان مادة أخذ.
(٣) الكشاف ٤٤١/١.
(٤) التأويل لابن قتيبة ٥٠٢.
(٥) تفسير الطبري ٢٣٨/٣.
(٦) سورة آل عمران/٩٧ – الإسراء/٤٨ – الفرقان/٩.
(٧) تفسير الطبري ١٣/٤.



في طاقته واستطاعته. وعند الراغب أن الاستطاعة أخص من القدرة، وعنده أن الاستطاعة:" اسم للمعاني التي بها يتمكن الإنسان مما يريده من أحداث الفعل، وهي أربعة أشياء: بنية مخصوصة للفاعل، وتصوّر للفعل، ومادة قابلة لتأثيره، وآلة. وان كان الفعل آلياً كالكتابة"، ثم قال بعد أن ذكر الآية:" فإنه يحتاج إلى هذه الأربعة".[١] وقد استعيرت السبيل لذلك كله.

٥٠- ﴿تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾[٢]

العِوَج في الأرض أن لا تستوي.[٣] قال الطبري:" العِوَج بكسر أوله الأود في الدين والكلام، والعَوَج بفتح أوله الميل في الحائط والقناة وكل شيء منتصب قائم.[٤] وعند الراغب العِوَج:" العطف عن حال الانتصاب... والعَوَج يقال فيما يُدرك بالبصر سهلا كالخشب المنتصب ونحوه، والعِوَج يقال فيما يُدرك بالفكر والبصيرة".[٥] وعن ابن الأثير أن العَوَج بفتح العين مختص بكل شخص مرئي كالأجسام، وبالكسر بما ليس بمرئي كالرأي والقول،[٦] وعنه أيضا أن الكسر يقال فيهما معاً، وهذا ما أثبته صاحب التاج في عوج الطريق وعوجه زيغه وميله.[٧]

فمذهب المفسرين وأصحاب غريب الحديث أن العَوَج بفتح الأول هو للأشياء الشاخصة المحسوسة كالطريق والأجسام والحائط والقناة وكل ماهو منتصب، وبالكسر للمدركات كالرأي والقول والدين. أما اللغويون

---

(١) المفردات مادة طوع.

(٢) سورة آل عمران/٩٩ – الأعراف/٤٥،٨٦ – هود/١٩ – إبراهيم/٣.

(٣) اللسان مادة عوج.

(٤) تفسير الطبري ١٦/٤.

(٥) المفردات مادة عوج.

(٦) اللسان مادة عوج.

(٧) مادة عوج.

فإن العَوَج والعِوَج عندهم من أصل واحد لأن كليهما يطلق على الطريق وغيرها من المرئيات،[١] وانتقال معنى العوج من المرئي المحسوس كالطريق والقناة والحائط إلى المعنوي المُدرَك كالرأي والقول والدين هو من باب الاستعارة أو المثل كما في التاج، والمَثَل عند القدماء تدخل فيه الاستعارة، لأن سبيل الله سبحانه دينه، ومعنى يبغونها عِوَجاً أي يبغون عنها المعادل ويطلبون منها الفسح والمخارج، ويوهمون بالشبهات أنها معوجة غير قويمة ومضطربة غير مستقيمة.[٢]

فالهاء إذن في تبغونها للسبيل الواردة في أول الآية ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فخرج الكلام على السبيل. والمعنى عند الطبري لأهله كأن المعنى تبغون لأهل دين الله ولمن هو على سبيل الحق عوجاً، يقول ضلالاً عن الحق وزيغاً عن الاستقامة على الهدى والمحجّة.[٣]

وقال الزمخشري تطلبون لها اعوجاجاً وميلاً عن القصد والاستقامة، فإن قلت كيف تبغونها عِوَجاً وهو محال قلت فيه معنيان أحدهما أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أن فيها عِوَجاً بقولكم إن شريعة موسى لاتنسخ، وبتغييركم صِفَة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك. والثاني أنكم تتعبون أنفسكم في إخفاء الحق وابتغاء مالا يتاتى لكم من وجوه العِوَج فيما هو أقوم من كل مستقيم.[٤] وقال القرطبي:" حذف اللام من تبغونها أي تبغون لها مثلما حذفت في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾[٥] يقال بغيت له كذا أي طلبته وأبغيته كذا أي أعنته".[٦] وليس الأمر كما قال الزمخشري وتابعه القرطبي من أن يبغونها

---

(١) ينظر اللسان والتاج مادة عوج.
(٢) تلخيص البيان ٤٥.
(٣) تفسير الطبري ٤/١٦.
(٤) الكشاف ١/٤٤٩.
(٥) سورة المطففين/٣.
(٦) تفسير القرطبي ٤/١٥٤.

بمعنى يبغون لها فحذفت اللام لأن معنى تبغونها على مايفهم من كلام المفسرين هو تريدونها وليس تطلبون لها كما ذهبا إليه، وفرق كبير بين تبغونها عوَجاً أي تريدونها معوجّة، وبين تطلبون لها ذلك، بدليل قوله تعالى في أول الآية ﴿ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ والله أعلم.

٥١- ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ ﴾[١]

العصام هو الحبل والوكاء الذي تربط به القربة.[٢] وكذلك العصمة، قال الزجّاج: وكل ماأمسك شيئا فقد عصمه.[٣] والاعتصام هو الإمساك بالعِصام أو مايشبهه كي يمنعه من السقوط.

وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ ﴾ معناه من يمتنع بالله[٤] أو من يتعلق بأسباب الله ويتمسك بدينه وطاعته.[٥]

وقد خرج معنى العصمة التي هي الحبل الذي يتمسك به والعصام الذي يربط به إلى معنى المنع عموما، ومنه قوله تعالى ﴿ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾[٦] أي يمنعني من تغريق الماء. وقوله تعالى ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي لامانع. ومنه قولهم عصمه الطعام أي منعه من الجوع،[٧] وكل مانع شيء فهو عاصمه، والممتنع به معتصم به.[٨]

---

(١) سورة آل عمران/١٠٣، ١٠١ – النساء/١٧٥، ١٤٦ – المائدة/٦٧ – يونس/٢٧ – هود/٤٣ – يوسف/٣٢– الحج/٧٨ – الأحزاب/١٧ – غافر/٤٠.

(٢) التاج مادة عصم.

(٣) اللسان مادة عصم.

(٤) التفسير لابن قتيبة ١٠٨.

(٥) تفسير الطبري ١٨/٤.

(٦) سورة هود/٤٣.

(٧) التفسير لابن قتيبة ١٠٨.

(٨) تفسير الطبري ١٨/٤.

فقد خرج معنى العصمة والعصام إلى معنى جديد وهو المنع على سبيل الاستعارة ثم تصرّف المصطلح تصرفاً تاماً، فكانت صورته الأولى ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ ﴾ أو ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ بذكر الحبل أو بحذفه ، لان الاعتصام يوحي بالحبل ذُكِر أو حُذِف، ثم استعمل الفعل يعصم واستعصم. وقد نظر الشريف الرضي إلى الحبل فعدّه موضع الاستعارة، قال وهذه استعارة ومعناها تمسكوا بأمر الله لكم وعهده إليكم، والحبال العهود في كلام العرب، وإنما سميت بذلك لأن المتعلق بها ينجو مما يخافه كالمتشبث بالحبل إذا وقع في غمرة وارتكس في هوّة، فالعهود يُستأمن بها من المخاوف، والحبال يُستنقذ بها من المتالف، فلذلك وقع التشابه بينها.(١)

٥٢- ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ (٢)

مادة (أ ل ف) لها ثلاثة أصول لغوية: الأول يأتي بمعنى اللزوم، فيقال ألِفَ الشيء ألْفاً وإلافاً وألَفاناً وآلفه ألزمه. والثاني يأتي بمعنى الجمع والوصل فيقال ألّفت الشيء إذا وصلت بعضه ببعض ومنه تأليف الكتب. والثالث الاستئناس، فيقال ألِفْتُ فلاناً إذا أنست به ومنه الحيوانات والطيور الأليفة.(٣)

وواضح أن قوله تعالى ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ أي جمع بينها في المودّة والمحبّة، ومثله قوله تعالى ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ بعد أن كانوا أعداء، وفي ذلك إشارة لما كان بين الأوس والخزرج من العداوة والبغضاء.(٤) وأما قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾(٥)

---

(١) تلخيص البيان/٢٠.

(٢) سورة آل عمران/١٠٣- الأنفال/٦٣- التوبة/٦٠

(٣) اللسان مادة ألف

(٤) ينظر تفسير الطبري٤/٢٢، وتفسير القرطبي٨/٤٢.

(٥) سورة التوبة/٦٠

في آية الصدقة فمن الاستئناس، وهم نفر كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألّفهم على الإسلام[1] رغبة في إيمان أتباعهم لكي لايحولوا دون ذلك، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يجزل لهم العطاء من الغنائم كما فعل يوم حنين.[2] ومنه الحديث الشريف" إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألّفهم" أي أداريهم وأونسهم ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال.[3]

فتأليف القلوب استعير للدلالة على الجمع والوصل بينها وزرع المودّة فيها، كما استعير للدلالة على إيناسها كما تُستأنس الدواجن والطيور.

٥٣- ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾[4]

معنى الآية التي خوطب بها المؤمنون من الأوس والخزرج أنكم كنتم قبل إيمانكم توشكون على الوقوع في النار ، وكنتم مشرفين على ذلك"ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلاّ أن تموتوا على ذلك من كفركم فتكونوا من الخالدين فيها فأنقذكم الله منها بالإيمان الذي هداكم له".[5]

والشفا حرف كل شيء وحدّه، والاثنان شفوان والجمع أشفاء.[6] ويتحصل من هذا أن معنى الوشوك في الوقوع في الشيء والإشراف عليه متحصّل في الجار والمجرور﴿ عَلَىٰ شَفَا ﴾ ويضرب هذا مثلا في القرب من

---

(١) التفسير لابن قتيبة ١٨٩.
(٢) ينظر اللسان مادة ألف.
(٣) التاج مادة ألف.
(٤) سورة آل عمران/١٠٣ – التوبة/١٠٩.
(٥) تفسير الطبري ٤/٢٥.
(٦) اللسان مادة شفا.

الهلكة[١]، وهو على سبيل الاستعارة لأنه "شبه المشفي لسوء عمله على دخول النار بالمشفي لزلة قدمه على الوقوع في النار".[٢]

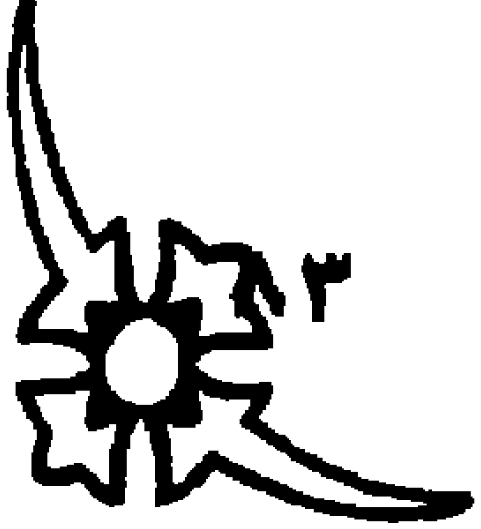
وقد أخذ من هذا قولهم أشفى على كذا أي أشرف عليه.[٣]

٥٤ـ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ [٤]

يذهب المفسرون إلى أن بياض الوجوه وسوادها يوم القيامة حقيقي، فأهل الآخرة فريقان، أحدهما بيضاء وجوهه، والآخر سوداء وجوهه،[٥] ويزيد الزمخشري إلى بياض الوجه يوم القيامة للفريق الأول أن يسعى النور بين يديه وبيمينه ويسفر وجهه ويشرق وتبيضّ صحيفته، فالبياض عنده من النور، كما أن السواد من الظلمة.[٦] وظلّ هذا المعنى وهو البياض الحقيقي هو المعروف من قولهم أبيض الوجه، أو بيضاء الوجه، وهو نقاء الوجه من الكلف والسواد الشائن،[٧] ومنه قولهم(بيّض الله وجهه). غير أن العرب أخرجت البياض إلى معنى مجازي، فالبياض عندهم يأتي بمعنى نقاء العِرض من الدنس والعيوب، فيقال فلان أبيض وفلانة بيضاء وهو كثير في أشعار العرب لايقصدون به بياض اللون، بل يريدون المدح بالكرم ونقاء العِرض.[٨] والى المعنى المجازي ذهب الراغب في تفسيره للآية، فعنده أن ابيضاض الوجوه عبارة عن المسرّة واسودادها عن الغم.[٩]

---

(١) التاج مادة شفا.
(٢) تلخيص البيان ٢٠.
(٣) تفسير ابن قتيبة ١٠٨.
(٤) سورة آل عمران/١٠٦، ١٠٧.
(٥) تفسير الطبري ٤/٢٧، وينظر تفسير القرطبي ٤/١٦٦.
(٦) الكشاف ١/٤٥٣.
(٧) اللسان مادة بيض.
(٨) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٩) المفردات مادة بيض.



واليوم يستعمل بياض الوجه في معانٍ مختلفة يجمعها الفوز والنقاء من الدنس وكل مايشين، كما أن سواد الوجه يدل على الخيبة والخذلان والإحساس بالذنب والخزي.

٥٥- ﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (١)

القول في معنى هذه الآية كالقول في معنى قوله تعالى ﴿ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ فسواد الوجه في الآخرة كبياضه الحقيقي، وأهلها فريقان فريق بيضاء وجوهه، والآخر سوداء وجوهه. ويقول القرطبي:" ويقال إذا كان يوم القيامة يؤمر كل فريق بأن يجتمع إلى معبوده، فإذا انتهوا إليه حزنوا واسودّت وجوههم".(٢) وعند الزمخشري أن السواد من الظلمة، كما أن البياض من النور، فمن" كان من أهل ظلمة الباطل وُسِم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودّت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب".(٣)

هذا في اسوداد وجوه الكافرين يوم القيامة الذي تتحدث عنه هذه الآية. أمّا قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٤) فقد ذكر القرطبي أن الماوردي قال إن قول الجمهور فيه أن المراد سواد اللون.(٥) والذي يُفهم من كلام الطبري أن وجه المبشَّر بالأنثى يسودّ من كراهيته ذلك فيكظم الحزن ويمتليء غمّاً.(٦) وعند الزمخشري أن وجه المبشَّر هذا يربدّ بسبب غمّه وحيائه من الناس.(٧)

---

(١) سورة آل عمران/١٠٦، ١٠٧ – النحل/٥٨ – الزمر/٦٠ – الزخرف/١٧.
(٢) تفسير القرطبي ١٦٦/٤.
(٣) الكشاف ٤٥٣/١.
(٤) سورة النحل/٥٨.
(٥) تفسير القرطبي ١١٦/١٠.
(٦) تفسير الطبري ٨٤/١٤.
(٧) الكشاف ٢٠٧/٢.

وحكى القرطبي عن الزجّاج أن سواد الوجه هنا لايراد به حقيقة اللون، بل هو "كناية عن غمّه بالبنت، والعرب تقول لكل من لقي مكروهـا:قـد اسودّ وجهه غمّاً وحزناً".[١] وهذا قول الراغب أيضا في الآيتين.[٢]

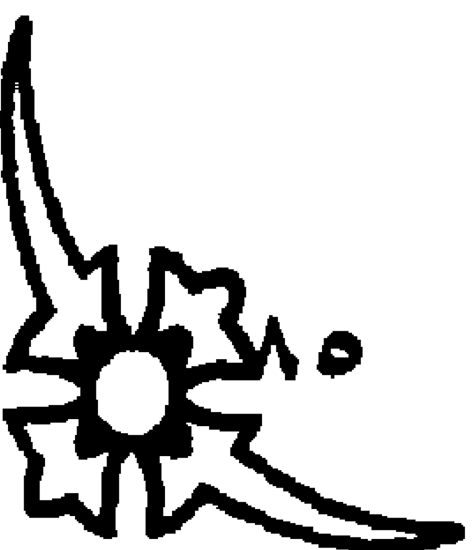
ومازال هذا التعبير شائعا في كلام العرب فـي يومنـا هـذا، وهـم لايقصدون به حقيقة السواد، بل كناية عن الشعور بالغم والحزن والخيبـة والخذلان، كما يريدون الضد من ذلك تماماً في حديثهم عن بياض الوجوه.

٥٦- ﴿ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾[٣]

التولية في هذه الآية الانصراف.[٤] والدُبُر والدُبْر نقيض القُبُل ودُبُـر كل شيء عقبه ومؤخره وجمعهما أدبار،[٥] ومعنى الآية أنهم ينهزمـون ويفرون،[٦] وإنما تأتّى هذا المعنى من أن المنهزم يكون ظهره في قبالـة من ينهزم منه، وعلى هذا فإن الفعل يولوكم معنـاه يجعلـون أمـامكم. ومعنى الانصراف أو الهزيمة أو الفرار متحصل من سياق الجملة كلهـا، أي من توليتهم أدبارهم لمن يقاتلونهم وهـذه كنايـة كمـا صـرّح بهـا الطبري.[٧]

---

(١) تفسير القرطبي ١١٦/١٠.
(٢) المفردات مادة بيض.
(٣) سورة آل عمـران/١١١ -الأنفـال/١٥،١٦ -التوبـة/٢٥ - الإسـراء/٤٦ - الأنبياء/٥٧ -النمل/١٠، ٨٠- القـصص/٣١ - الـروم/٥٢ -الأحـزاب/١٥ - الصافات/٩٠ -غافر/٣٣ -الفتح/٢٢- الحشر/١٢-القمر/٤٥.
(٤) اللسان والتاج مادة ولي.
(٥) اللسان مادة دبر.
(٦) ينظر تفسير الطبري ٣١/٤، وتفسير القرطبي ٣٨٠/٧.
(٧) تفسير الطبري ٣١/٤.



وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم بصيغتين: الأولى بجعل الدُبُر أو الأدبار مفعولاً به للفعل (يولّي) كما في هذه الآية وغيرها. والصيغة الثانية: أن يجرد الفعل من مفعوله وتأتي حال مؤكدة مشتقة من الدبر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.[1]

٥٧- ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾[2]

المعنى أن الذلة والمسكنة قد أحاطت بهم من كل جانب ولزمتهم فلا تفارقهم، إمّا لأنهم أذلّة صاغرون بطبعهم، وإما أنهم يفتعلون ذلك افتعالاً تخلّصاً من أداء ما عليهم من جزية ونحوها كما يقول الزمخشري.[3]

وهذا المعنى مأخوذ إمّا من ضرب الطين على الحائط فيلتصق به ولايفارقه، وإمّا من ضرب القباب على الأصح لأنه أشمل وأكثر إحاطة[4]، ولذلك عدّها الشريف الرضي استعارة[5] من ضرب الأخبية والأروقة.

---

(١) سورة التوبة/٢٥.

(٢) هذا المصطلح ورد بصيغة (ضربت عليهم الذلة والمسكنة) في سورة البقرة٦١، وورد في سورة آل عمران/١١٢ بصيغتين (ضربت عليهم الذلة) و(ضربت عليهم المسكنة). لذلك آثرنا أن نفرد لكل منهما مبحثاً لأنهما في الحقيقة مصطلحان وإن تقارب معنياهما.

(٣) الكشاف ١/٢٨٥، وينظر تفسير القرطبي ١/٤٣٠.

(٤) ينظر في معنى الضرب في هذه الآية ونحوها المصطلح (٣٦) في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ سورة البقرة/٢٧٣.

(٥) تلخيص البيان ٧.

٥٨- ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾[١]

ضربت عليهم المسكنة أي أحاطت بهم وشملتهم كإحاطة القبة والخباء وسكنوا فيها كما يُسكن في البيت.[٢]

٥٩- ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾[٣]

معنى لايألونكم لايقصرون وهو مأخوذ من قولهم للكلب إذا قصر عن صيده ألى وكذلك البازي،[٤] والخبال أصله العناء والفساد وذهاب الشيء.[٥] والخبال عند ابن قتيبة معناه الشر[٦] ومعنى لا يألونكم عند الطبري لايستطيعونكم أي لايستطيعونكم شراً، ويقول إن هذه البطانة لاتترككم طاقتها خبالاً، أي لاتدع جهدها فيما أورثكم الخبال.[٧] والأصل عند الزمخشري أن يقال (ألا) في الأمر يألو إذا قصّر فيه، وقد عُدّي إلى مفعولين على التضمين، لأن الأصل أن يقال لا آلوك نصحاً، ولا آلوك جهدا أي لا أمنعك.[٨]

والحاصل أن معنى الآية أنهم لايقصّرون في إلحاق الأذى بكم بالفساد وترك الجهد في المكر بكم وخديعتكم.

---

(١) سورة آل عمران/١١٢- البقرة/٦١.
(٢) ينظر المصطلح السابق.
(٣) سورة آل عمران/١١٨.
(٤) تاج العروس مادة ألو.
(٥) اللسان مادة خبل.
(٦) التفسير ١٠٩.
(٧) تفسير الطبري ٤/٤٠.
(٨) الكشاف ١/٤٥٨.



٦٠- ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (١)

الأنامل جمع أنملة وهي المفصل الأعلى الذي فيه الظفر من الإصبع.(٢) والمراد بعضّ الأنامل في الآية إظهار الغيظ والندم إذا اختلوا واختفوا من أعين المسلمين بعد أن كانوا أظهروا الإيمان كذباً وتقية،(٣) وعضّ الأنامل هنا كناية عن إظهار الغيظ بعد أن كانوا قد كتموه، وتعبير عن مافي أنفسهم من موجدة وأسىً وحزن بسبب ذلك، والعرب تصف المغتاظ والنادم بعضّ الأنامل والبنان والإبهام، ومن ذلك قول الشاعر:

فأقتل أقواماً لئاماً أذلّة ... يعضّون من غيظ رؤوس الأباهم(٤)

ومثله عضّ اليدين في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾.(٥) والكناية هنا بعضّ اليدين عن الندامة(٦) أكثر منها عن الغيظ بدليل قول الظالم" ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا".

٦١- ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٧)

المقصود بذات الصدور مايضمر في القلب. أي إن الله عليم بحقيقة مافيها من المضمرات فلايخفى عليه شيء منها، وأنه يعلم ماسيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع.(٨)

(١) سورة آل عمران/١١٩ – الفرقان/٢٧.
(٢) اللسان مادة نمل.
(٣) ينظر تفسير الطبري ٤/٤٣.
(٤) الكشاف ١/٤٥٩.
(٥) سورة الفرقان/٢٧.
(٦) ينظر تفسير القرطبي ١٣/٢٦.
(٧) سورة آل عمران/ ١١٩،١٥٤ –المائدة/٧ – الأنفال/٤٣ -هود/٥ – لقمان/٢٣ – فاطر/٣٨ –الزمر/٧- الشورى/٢٤ – الحديد/٦ – التغابن/٤ – الملك/١٣.
(٨) ينظر تفسير الطبري ١٠/١٠، والكشاف ٢/١٦١، واللسان مادة ذو، وذوات.

٦٢- ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[١]

ألقى الشيء طرحه.[٢] والأصل أن يستعمل الإلقاء مع الأجسام كالحجارة والعصيّ ونحوهما، وقد يستعمل مع أسماء المعاني فيتخذ معاني مجازية جديدة، يضفي عليها الإلقاء قوة في المعنى ونفوذا في العبارة كقولهم ألقيت عليك مسألة.[٣] ونحن ذاكرو هذه الاستعمالات الاصطلاحية حسب ورودها في القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا﴾[٤]
الرعب الخوف وهو في الأصل من الملء، يقال رعبت الحوض إذا ملأته، وسيل راعب يملأ الوادي، والمعنى سنملأ قلوب المشركين خوفا وفزعاً.[٥] وعند الزمخشري أن المعنى سنقذف في قلوبهم الرعب.[٦] ولعل الزمخشري استحضر قوله تعالى﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾.[٧]
ب- وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾:[٨] السلم الاستسلام والاستخذاء والانقياد أو هو الاسم من التسليم.[٩] ومثله قوله تعالى﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾،[١٠] والسلَم والسِلْم والسلام واحد

---

(١) سورة آل عمران/١٥١- النساء/٩٠،٩١،٩٤- المائدة/٦٤ - الأنفال/١٢ - النحل/٢٨،٨٧ -المزمل/٥- الشعراء/٢٢٣ - الحج/٥٢ - الممتحنة/١ - القمر/٢٥.
(٢) اللسان مادة لقا.
(٣) ينظر تفسير القرطبي٤/٢٣٢.
(٤) سورة آل عمران/١٥١، وينظر سورة الأنفال/١٢.
(٥) تفسير القرطبي ٤/٢٣٢.
(٦) الكشاف ١/٣٥٤.
(٧) سورة الأحزاب/٢٦.
(٨) سورة النساء/٩٠،٩١،٩٤ - النحل/٢٨،٨٧.
(٩) التاج مادة سلم.
(١٠) سورة النساء/٩٤.

وقرىء بها جميعا،[1] والمعنى انقاد لكم وتابعكم.[2] وكذلك قوله تعالى﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾هو من الاستسلام كما يقول الرجل للرجل أعطيتك قيادي وألقيت إليك خطامي إذا استسلم له وانقاد لأمره.[3]

وعدّه الطبري مثلاً وهو استعارة كما صرّح بها الشريف الرضي، لأن في قوله تعالى هذا عبارة عن طلبهم السلم عن ذل واستكانة وخضوع وضراعة.[4]

ج- **وقوله تعالى**﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[5] أي إنهم مختلفون متعادون أبدا." فكلمهم أبداً مختلف وقلوبهم شتى لايقع اتفاق بينهم ولا تعاضد" كما قال الزمخشري.[6] وهذا مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾.[7]

د- **قوله تعالى**﴿ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾،[8] ومثله قوله تعالى﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾.[9] ومعنى ألقوا القول أي قالوا، والعرب تقول ألقيت إليه كذا أي قلت له.[10] إلاّ أن الإلقاء فيه معنى

---

(١) تفسير القرطبي ٥/٣٣٨.
(٢) التأويل لابن قتيبة ٤٧٩.
(٣) تفسير الطبري ٥/١٢٥.
(٤) تلخيص البيان ٢٦.
(٥) سورة المائدة/٢٦.
(٦) الكشاف ١/٤٧٢.
(٧) سورة المائدة/٩١.
(٨) سورة النحل/٨٦.
(٩) سورة المزمل/٥.
(١٠) تفسير الطبري ١٤/١٠٧.

التثبيت والمواجهة التي تزيد من قوته قوة ولو قال (قالوا) لما عدا أن يكون هذا القول كغيره من الأقوال.

وليس الأمر كذلك لأن قولهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ فيه من الشدّة والثقل على من يقال له مالا يوازيه قول آخر. ولعل هذا يتضح في قوله تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ وهو "القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وخاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته فهي أثقل عليه وأبهظ له". [1] وقيل ثقيل على المنافقين، وفسر ثقله أيضا بأنه ثقيل في الميزان، وهو كلام له وزن ورجحان وليس بالسفساف. [2] وقيل ثقيل بمعنى كريم. [3]

هـ- قوله تعالى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [4] الخطاب لموسى عليه السلام، والمعنى أنني حببتك إلى الناس وجعلتك ذا صورة حسنة كل من رآك أحبك، وعن ابن عباس أن المعنى " أحبّه الله وحبّبه إلى خلقه" [5] ونصّ ابن قتيبة على أن الله سبحانه وتعالى "لم يرد في هذا الموضع أني أحببتك وإن كان يحبه، وإنما أراد أنه حبّبه إلى القلوب وقرّبه من النفوس، فكان ذلك سبباً لنجاته من فرعون حتى استحياه في السنة التي كان يقتل فيها الولدان". [6] وهو مذهب الطبري" فحبّبه إلى آسية امرأة فرعون حتى تبنته وغذته وربته، وإلى فرعون حتى كفّ عنه عاديته وشره". [7] وأجاز

---

(١) الكشاف ٣/٢٨١.

(٢) ينظر المصدر السابق.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/٣٨.

(٤) سورة طه/٣٩.

(٥) تفسير القرطبي ١١/١٩٦.

(٦) التأويل ٧٩.

(٧) تفسير الطبري ٦/١٢٣.



الزمخشري الوجهين فإن تعلق الجار والمجرور (منّي) بالفعل ألقيت كان المعنى أحببتك، ومن أحبّه الله أحبته القلوب ، وإن تعلق بمحذوف صفة لمحبة أي حاصلة أو واقعة مني كان المعنى الآخر.(١)

و- قوله تعالى﴿ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾(٢) الأمنية التلاوة، وتمنّى قرأ، قال الشاعر:

تمنّى كتاب الله أول ليلة   تمني داود الزبور على رسل(٣)

ومعنى الآية أن الشيطان زاد في تلاوته، والعرب تقول ألقيت في الدار كذا، وألقيت في الكيس كذا.(٤) **وفي توجيه الآية أقوال كثيرة ذكرها المفسرون مما لامجال لتفصيله هاهنا. والذي يعنينا في هذا المكان أن المعنى العام للمصطلح ألقى في أمنيته زاد فيها.**

ز- قوله تعالى﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾(٥) إلقاء السمع عموماً بمعنى الإصغاء، وبهذا فسر قوله تعالى﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾،(٦) أو الاستماع "تقول العرب ألق إليّ سمعك أي استمع".(٧) وهذا المعنى محتمل في قوله﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ إذا وُجِّهت واو الجماعة إلى

(١) الكشاف ٢/٣٠١.
(٢) سورة الحج/ ٥٢.
(٣) الكشاف ٢/٣٥٣
(٤) تفسير القرطبي ١٢/٧٨.
(٥) سورة الشعراء/٢٢٣.
(٦) سورة ق/٣٧، وتفسير الطبري ١٧/٢٣، والكشاف ٣/١٦٤.
(٧) تفسبر القرطبي ١٧/٢٣.

الأفاكين، أي إنهم يصغون الى شياطينهم فيتلقون وحيهم.[1] وأكثر المفسرين على أن المعنى في هذه الآية هو أن الشياطين يلقون ما يسمعون إلى كل أفّاك أثيم، وعلى هذا المعنى يكون السمع هو القول المسموع.[2]

ح- قوله تعالى﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾[3] إلقاء الذكر إنزاله أي أأنزل الله عليه الذكر وفينا من هو أحق منه بذلك".[4]

ط - قوله تعالى﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾[5] إلقاء المودّة الإفضاء بها وإيصالها "يقال ألقى إليه خراشي صدره وأفضى إليه بقشوره"،[6] وذلك بإخبارهم بأسرار النبي والمسلمين وبالنصح لهم.[7] والباء على هذا إمّا زائدة مؤكدة، وإمّا دالّة على السبب أي بسبب المودّة.[8]

٦٣- ﴿ نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾[9]

التغشية التغطية، وغشاء كل شيء غطاؤه، ومنه غشاء القلب والسرج والسيف.[10] ومعنى قوله تعالى﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ أي يلقي عليكم النعاس

---

(١) الكشاف ٢/٤٤٠.
(٢) ينظر تفسير الطبري ١٩/٧٧.
(٣) سورة القمر/٢٥.
(٤) الكشاف ٣/١٨٤، وتفسير القرطبي ٢٧/٥٩.
(٥) سورة الممتحنة/١.
(٦) الكشاف ٣/٢١٩.
(٧) ينظر تفسير القرطبي ١٨/٥٢.
(٨) ينظر الكشاف ٣/٢١٩، وتفسير القرطبي ١٨/٥٢.
(٩) سورة آل عمران/١٥٤ - الأنفال/١١.
(١٠) ينظر اللسان والتاج مادة غشا.



أمنة بعد خوفكم من المشركين.[1] ذلك أن ماكان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم، فلما زال عنهم بطمأنينة من الله ناموا، ولذلك قال ابن عباس إن النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة وسوسة من الشيطان.[2]

والاستعارة واضحة هنا، فكأنما النعاس غطاء يلقى على المؤمنين يتغشون به كما يفعل النائم. وذلك أدلّ على هدأة الروع وذهاب الخوف.

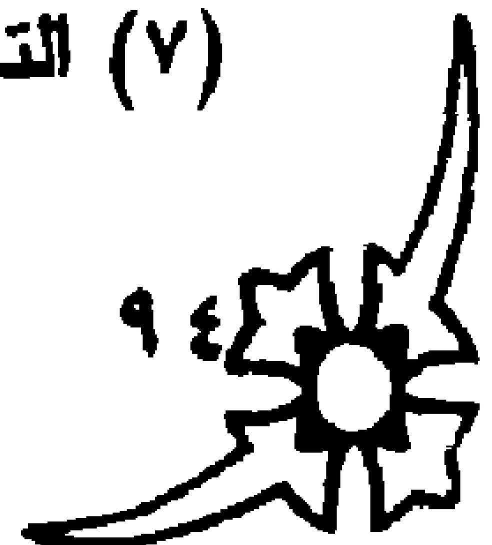
٦٤ - ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[3]

الغلظة الشدة[4] والأصل أن يوصف بها المحسوس الملموس كالعود والعصا. ووصف القلب بها كما في الآية معناه القاسي القلب غير ذي الرحمة ولا الرأفة[5] مع تجهّم في الوجه وقلة الانفعال في الرغائب، وقلّة الإشفاق.[6] ومعناه أيضاً السيء الخلق. وهو من المجاز كالأمر الغليظ الشديد الصعب والماء الغليظ المرّ، والعهد الغليظ المؤكد المشدد.[7]

ولم يحدد صاحب التاج من أي أنواع المجاز هو، وعندنا أنه من الاستعارة لأن الغليظ القلب يشبه قلبه بالأشياء الشديدة القاسية كالحجر ونحوه.

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٢٩/٩.
(٢) ينظر الكشاف ١٤٧/٢.
(٣) سورة آل عمران/١٥٩.
(٤) اللسان مادة غلظ.
(٥) تفسير الطبري ٩٩/٤.
(٦) تفسير القرطبي ٢٤٨/٤.
(٧) التاج مادة غلظ.



٦٥- ﴿ نُمْلِي لَهُمْ ﴾[١]

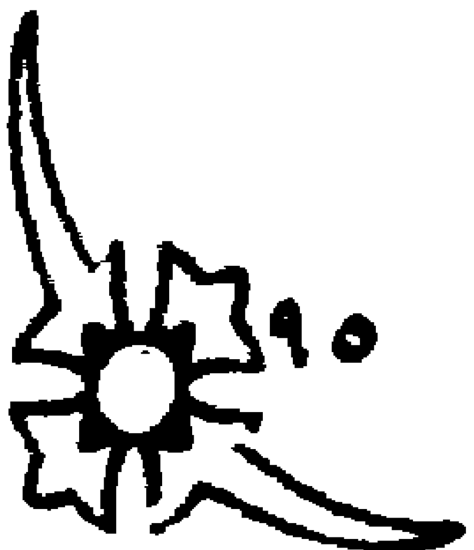
المعنى نؤخرهم ونطيل لهم ونمهلهم،[٢] أي لا نعاجلهم بالنقمة والعذاب.[٣] وأصله إمّا من الملوة وهي المدة من الزمان عن ابن الأنباري،[٤] ويقال للمدة الطويلة ملاوة من الدهر ومليّ من الدهر، ومنه قوله تعالى﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [٥] وإمّا من قولهم أملى للبعير في القيد إذا أرخى ووسّع فيه،[٦] فهذا امتداد مكاني، وقد يكون من هذا المعنى الملا المفازة الممتدّة.[٧]

٦٦- ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾[٨]

التقلّب التصرّف، وأصله من قلب الشيء وهو صرفه عن طريقته[٩] أو تحويله عن وجهه، وتقلّب في الأمور وفي البلاد تصرّف فيها كيف شاء،[١٠] والمعنى لايغرنك -والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، والمعني به غيره من أتباعه وأصحابه-"ضربهم في الأرض وإمهاله إيّاهم".[١١] أو المعنيّ به "كل أحد فلا يغترر بما هم عليه من سعة الرزق

---

(١) سورة آل عمران/١٧٨ – الأعراف/١٨٣ –الرعد/٣٢ –الحج/٤٤،٤٨ – محمد صلى الله عليه وسلم/٢٥ – القلم/٤٥.
(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة ١١٦، ١٧٥، ٢٢٨، ٤٨١.
(٣) تفسير الطبري ١٢٧/١٧، وينظر تفسير القرطبي ٧٣/١٢.
(٤) اللسان مادة ملا.
(٥) المفردات مادة ملا.
(٦) اللسان نفس المادة.
(٧) المفردات نفس المادة.
(٨) سورة آل عمران/١٩٦ – غافر/٤.
(٩) المفردات مادة قلب
(١٠) اللسان مادة قلب
(١١) ينظر تفسير الطبري ١٤٥/٤.



والمضطرب ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ماترى من تبسطهم في الأرض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون".[١] وههنا استعارة على معنى أن التقلب في البلاد كثرة الاضطراب فيها والأسفار والانتقال من حال إلى حال،[٢] تشبيهاً لأحوالهم بأحوال الشيء الذي يقلّب ظهراً لبطن ومن جنب إلى جنب.

٦٧- ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [٣]

الأصل في الفعل أكل أن لا يتعدّى بإلى، ومن هنا جاء الاختلاف في المعنى بسبب الاختلاف في مسألة التضمين في الحروف. فعند ابن قتيبة[٤] وطائفة من المتأخرين أن (إلى) بمعنى (مع)[٥] أي لا تأكلوا أموالهم مع أموالكم، ومثله ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٦] أي مع الله. وقول العرب الذود إلى الذود إبل أي مع الذود،[٧] وقال آخرون إن المعنى لاتخلطوا أموال اليتامى بأموالكم فتأكلوها مع أموالكم،[٨] أو لا تضموها إليها في الإنفاق حتى لاتفرّقوا بين أموالكم وأموالهم،[٩] أو لا تضيفوا أموالهم وتضموها إلى أموالكم في الأكل،[١٠] وعند الزمخشري أن في هذه الآية إشارة إلى قلّة المبالاة بما لا يحلّ والتسوية بينه وبين الحلال.[١١]

---

(١) الكشاف ١/٣٧٠.
(٢) تلخيص البيان ٢٣.
(٣) سورة النساء/٢.
(٤) التأويل ٥٥٧١، والتفسير١١٨.
(٥) تفسير القرطبي ٥/١٠.
(٦) سورة آل عمران/٥٢.
(٧) التأويل ٥٧١.
(٨) تفسير الطبري ٤/١٥٤.
(٩) الكشاف ١/٤٩٥.
(١٠) تفسير القرطبي ٥/١٠.
(١١) الكشاف ١/٤٩٥.

٦٨- ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [١]

ملك اليمين حيثما وردت في القرآن يقصد بها الرقيق أو المماليك، ولعل إضافة الملك إلى اليمين هنا آتٍ من أن الغلبة في الإنسان أن يأخذ الأشياء بيمينه، فشبّه ملك الشيء بالإمساك به وأضيف إلى اليد اليمنى لأنها كما قلنا هي التي يستعملها الإنسان في الأغلب في الأخذ والعطاء. وكان الرقيق يباعون ويشترون ويهدون.[٢]

وهذه العبارة معروفة شائعة حتى إن المفسرين قلّما بيّنوا معناها.

٦٩- ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾ [٣]

الطيب خلاف الخبيث،[٤] وإسناد الطيب إلى النفس بشيء معناه أنها راضية به قانعة وغير مكرهة.[٥] ومعنى قوله تعالى ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ أنهن إذا وهبن لكم شيئا من صَدُقَاتهن عن رضا غير مكرهات ولا مخبثات فحلال لكم أن تأكلوه.[٦] ونقل القرطبي عن ابن العربي أن الأكل هنا كناية عن الإحلال والاستحلال، وليس المراد صورة الأكل.[٧]

---

(١) سورة النساء/ ٣، ٢٤، ٣٦- النحل/ ٧١ - المؤمنون/ ٦ - النور/ ٣١، ٣٣، ٥٨ - الروم/ ٢٨ - الأحزاب/ ٥٠، ٥٢، ٥٥ - المعارج/ ٣٠.

(٢) ينظر الكشاف ٢/ ٤١٨، والتاج مادة ملك.

(٣) سورة النساء/ ٤.

(٤) اللسان مادة طيب.

(٥) ينظر التاج مادة طيب.

(٦) ينظر تفسير الطبري ٤/ ١٦٢، والكشاف ١/ ٤٩٨.

(٧) تفسير القرطبي ٥/ ٢٥.

٧٠- ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾[١]

في الكلالة معنيان، الأول ذهاب القوة من الإعياء.[٢] والثاني من الإحاطة وبه سمي الإكليل وهي من منازل القمر المحيطة به، والتاج لأنه يحيط بالرأس. ويقال روضة مكللة إذا حفّ بها نوْر أشجارها.[٣]

وقد ذهب المفسرون إلى أن قوله تعالى﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ مستعار من أحد هذين المعنيين، فمنهم من قال إن الذي يورث كلالة هو الذي يموت دون والد أو ولد،[٤] سموا كلالة لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب، فالأقرب من تكلله النسب إذا استدار به.[٥] فيتكلل نسبه تكللا وكلالة بمعنى تعطّف عليه النسب،[٦] فسمّوا القرابة كلالة لأنهم أطافوا بالميت من جوانبه وليسوا منه ولاهو منهم، وإحاطتهم به أنهم منتسبون معه.[٧] ومنهم من ذهب إلى أن الكلالة بمعنى ذهاب القوة من الإعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالة ضعيفة.[٨]

---

(١) سورة النساء/١٢.

(٢) ينظر الكشاف ١/٥١٠، واللسان مادة كلل.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ٥/٧٦، واللسان مادة كلل.

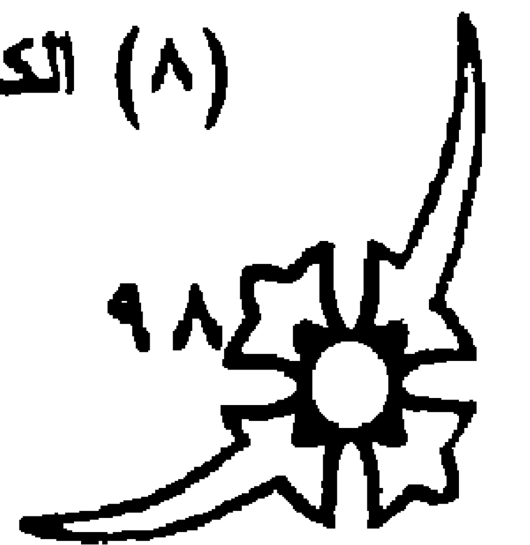
(٤) التفسير لابن قتيبة ١٢١.

(٥) اللسان مادة كلل.

(٦) تفسير الطبري ٤/١٩١.

(٧) تفسير القرطبي ٥/٧٦.

(٨) الكشاف ١/٥١٠.



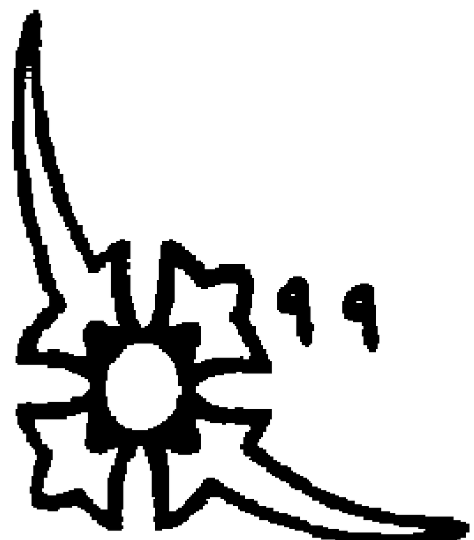
٧١- ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾[١]

اختلف في أصل الإفضاء أهو من الفضاء (ممدود) أي المكان الواسع، أم من الفضى (مقصور) الشيء المختلط،[٢] والذين ذهبوا إلى أنــه مــن الفضاء قالوا إن معنى الإفضاء إلى الشيء الوصول إليه بالمباشرة،[٣] أي صار في فرجته وفضائه وحيّزه، وقد عدّى الفعل (أفضى) بإلى لأن فيــه معنى وصل وانتهى وآوى.[٤] وأمّا الذين ذهبوا إلى أنه من الفضى فقالوا إن المعنى هو المخالطة، وذلك بأن يخلو الرجل بالمرأة ويكون معها فــي لحاف واحد،[٥] والأصل أن يقال طعام فضىً أي فوضى مختلط، وتمــر فضى منثور مختلط وقيل مختلط بالزبيب، كما يقال وأمرهم بينهم فضاً أي مختلط مشترك.[٦]

والحاصل أن قوله تعالى ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ سواء أكــان بمعنى الوصول والانتهاء أم بمعنى المخالطة فإنه كناية عن المباشرة كما يُروى عن ابن عباس.[٧]

---

(١) سورة النساء/٢١.
(٢) ينظر اللسان مادة فضى في هذين المعنيين.
(٣) تفسير الطبري ٢١٤/٤.
(٤) اللسان مادة فضى.
(٥) تفسير القرطبي ١٠٢/٥.
(٦) اللسان مادة فضى.
(٧) تفسير القرطبي ١٠٢/٥



٧٢- ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ (١)

العقد في اللغة نقيض الحل، عقده يعقده عقداً وتعقاداً وعقده وقد انعقد وتعقّد،(٢) وقد اختلف في المقصود بالأيمان أهي بمعنى القسم أم اليد اليمنى، وقد أسند العقد إلى اليمين أي اليد اليمنى، لأن العرب من عادتهم كما يقول الشريف الرضي(٣) أن "يقول قائلهم أعطاني فلان صفقة يمينه على كذا، وأخذت يد فلان مصافحة على كذا". ولكن أكثر المفسرين يذهبون إلى أن اليمين هنا بمعنى القسم، فعن ابن عباس عقد الأيمان معناه المعاهدة والميثاق،(٤) وعن أبي زيد أن معناه التوكيد والتغليظ.(٥) وعند ابن قتيبة أنه بمعنى المخالفة،(٦) ويقول الطبري إن معنى (عُقّدت) وُصِلت وشُدّت ووُكدت(٧) على أن الزمخشري يذهب إلى أن المقصود بالذين (عقدت أيمانكم) هم موالي الموالاة، ذلك أن الرجل كان "يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسِلمي سلمك، وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ".(٨) وسواء كانت الأيمان الأقسام أم الأيدي، فإن في إسناد العقد إليها استعارة، لأن العقد في الأصل يكون للحبل ونحوه مما يعقد أو يحلّ.

---

(١) سورة النساء/٣٣ – المائدة/٨٩.
(٢) التاج مادة عقد.
(٣) تلخيص البيان ٢٤.
(٤) اللسان مادة عقد.
(٥) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٦) التفسير ١٢٦.
(٧) تفسير الطبري ٣٣/٥.
(٨) الكشاف ٥٢٣/١.

٧٣- ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ [١]

الغائط في اللغة المطمئن من الأرض،[٢] أو هو ما اتسع من الأودية وتصوّب.[٣] ومعنى ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ أي قضى حاجته لأنهم كانوا يختارون قضاء الحاجة في الغيطان حتى غلب عليهم ذلك.[٤]

وفي هذا المصطلح كناية عن الحدث[٥] ثم أصبحت لفظة الغائط تطلق على النجْو الخارج من الإنسان للمقارنة،[٦] واشتقوا منه الفعل تغوّط[٧] وغير ذلك من المشتقات.

٧٤- ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [٨]

اللمس الجس، وقيل اللمس المسّ باليد، لمسه يلمسُهُ ويلمَسُهُ لمساً ولامسه.[٩] والملامسة أكثر ما تكون من اثنين، ونقلَ القرطبي عن محمد ابن يزيد المبرد أن الأولى في اللغة أن يكون لامستم بمعنى قبّلتم أو نظيره لأن لكل واحد منهما فعلاً، ولمستم بمعنى غشيتم ومسستم.[١٠]

واختلف في معنى الملامسة فقيل إنها معنى الغشيان، وقيل إن المقصود اللمس مطلقاً بأي عضو من أعضاء الجسم.[١١] وعلى هذا المعنى تكون الملامسة على الحقيقة، أمّا إذا كان المقصود الغشيان فهذا من باب الكناية،[١٢] وهو مذهب كثير من العلماء.

---

(١) سورة النساء/٤٣ – المائدة/٦.
(٢) اللسان مادة غوط.
(٣) تفسير الطبري ٥/٦٥.
(٤) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٥) التفسير لابن قتيبة ١٢٧.
(٦) تفسير القرطبي ٥/٢٢٠.
(٧) تفسير الطبري ٥/٦٥.
(٨) سورة النساء/٤٣ – المائدة/٦.
(٩) اللسان مادة لمس.
(١٠) تفسير القرطبي ٥/٢٢٣، وبعض القراء قرأ لامستم أو لمستم النساء.
(١١) تفسير الطبري ٥/٦٦.
(١٢) ينظر اللسان مادة لمس.



٧٥- ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[١]

حرف الشيء عن وجهه حرفاً صرفه، ويقال مالي عنه محرف وكذلك مصرف بمعنى واحد،[٢] وتحريف الكلم عن مواضعه تغييره.[٣] وقوله تعالى ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ معناه أنهم يبدلون معناه ويغيّرونه عن تأويله،[٤] فهم يميلونه ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلماً غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأزالوه عنها.[٥] وقيل إن معناه أنهم يتعمّدون في تأويله على غير تأويله.[٦] وعلى هذا يجري التحريف في هذا مجرى الاستعارة تشبيهاً للكلام بأي شيء يُصرف ويحول ويمال؛ ذلك أنهم يعكسون الكلام عن حقائقه ويزيلونه عن جهة صوابه حملاً له على أهوائهم، وعطفا على آرائهم.[٧]

٧٦- ﴿ وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾[٨]

للمفسرين في معنى قول اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم (غير مسمع) تفسيران، الأول: أنهم كانوا يدعون عليه في السر بأن لايسمع فيقولون اسمع لا سمعت.[٩] والثاني: أن معناه غير مقبول منك.[١٠]

---

(١) سورة النساء/٤٦ – المائدة /١٣،١٤.
(٢) التاج مادة حرف.
(٣) اللسان مادة حرف.
(٤) تفسير الطبري ٥/٧٥.
(٥) الكشاف ١/٥٣٠.
(٦) تفسير القرطبي ٥/٢٤٣.
(٧) تلخيص البيان ٢٥.
(٨) سورة النساء/٤٦.
(٩) التأويل لابن قتيبة ٢٧٥، والتفسير له ١٢٨، وينظر تفسير الطبري ٥/٧٦، والكشاف ١/٣٥٠.
(١٠) تفسير الطبري ٥/٧٦.

ويأتي الإسماع بمعنى القبول، كقوله تعالى ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾[1] لأن الذي لا يقبل بمنزلة الذي لا يسمع،[2] وعند الزمخشري أن (غير مسمع) يحتمل الذم والمدح لأنه إمّا أن يكون بمعنى الدعاء عليه بأن لايسمع ولو أجيبت دعوتهم هذه لكان أصم غير مسمع، وإمّا أن يكون معناه دعاء له بألاّ يسمع شيئا لايرضاه، أو مكروهاً من قولهم أسمَعَ فلان فلاناً إذا سبّه.[3]

يتحصل من هذا أن المصطلح (غير مسمع) يكون بمعنى الدعاء بأن لايسمع شيئاً يرضاه أو لايقبله، أو هو سبّ بالدعاء عليه بعدم السماع. ومن العلماء من يذهب إلى أن ظاهر الكلام فيه التعظيم وباطنه غير ذلك.[4]

٧٧- ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾[5]

الطمس استئصال أثر الشيء،[6] وطمس الطريق إذا عفا ودرس،[7] وطمس الأثر امّحى.[8] وطَمِس النجم والقمر والبصر ذهب ضوءه.[9] والصحيفة المطموسة هي التي عمّيت سطورها وأُشكلت حروفها.[10]

---

(١) سورة النمل/٨١.

(٢) ينظر اللسان مادة سمع.

(٣) الكشاف ٣٥٠/١.

(٤) ينظر التاج مادة سمع.

(٥) سورة النساء/٤٧ – يونس/٨٨ -يس/٦٦ –القمر/٣٧.

(٦) اللسان مادة طمس.

(٧) التفسير لابن قتيبة ١٢٨.

(٨) تفسير القرطبي ٢٤٤/٥.

(٩) اللسان مادة طمس، ومنه قوله تعالى في سورة المرسلات/٨ ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ .

(١٠) تلخيص البيان ٢٥.

وقد استعير الطمس للوجوه في الآية أعلاه، وفي معناه أقوال منها محو مافيها من عينين وأنف وحاجب وفم،[١] أي يجعل وجوههم كأقفيتهم عن الزجّاج،[٢] وقيل معناه نمحو آثارهم من وجوههم التي هم بها وناحيتهم التي هم بها.[٣] وهذه الاستعارة عبارة عن مسخ الوجوه بإزالة تخاطيطها ومعارفها تشبيهاً لها بالصحيفة المطموسة.[٤]

وقيل إن في الوجوه استعارة أيضاً كما نقل عن الزجّاج أنها "تمثيل بأمر الدين المعنى من قبل أن نضلّهم مجازاة لما هم عليه من العناء فنضلّهم إضلالاً لايؤمنون معه أبداً".[٥]

واستعير الطمس أيضاً للأموال كقوله تعالى ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ ﴾ أي أهلكها.[٦] واستعير أيضاً للعيون كما في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ﴾[٧] أي أعميناهم.[٨] والمطموس هو الأعمى الذي لايكون بين جفنيه شق،[٩] فلا يرى شفر عينيه عن الزجّاج.[١٠]

---

(١) التفسير لابن قتيبة ١٩٨.
(٢) اللسان مادة طمس، وينظر تفسير الطبري ٥/٧٧.
(٣) تفسير الطبري، نفس الموضع
(٤) ينظر تلخيص البيان ٢٥.
(٥) اللسان مادة طمس.
(٦) التفسير لابن قتيبة ١٢٨، وتفسير القرطبي ٥/٢٤٤.
(٧) سورة يس/٦٦ -وينظر سورة القمر/٣٧.
(٨) تفسير القرطبي ٥/٢٤٤.
(٩) التفسير لابن قتيبة٣٦٧.
(١٠) اللسان مادة طمس.

٧٨- ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾[١]

الدُبْر والدُبر نقيض القُبُل، ودُبُر كل شيء عقبه ومؤخره وجمعهما أدبار.[٢]

ومعنى قوله تعالى في الآية من سورة النساء نجعل وجوههم كالأقفاء، بأن نمحو آثار الوجوه من عينين أو أنف وفم وننبت الشعر فيها، وهذا أحد قولي العلماء في هذه الآية.[٣] والقول الآخر أن نردهم من حيث أتوا أي من بلاد الشام، وهذه إشارة واضحة إلى نزوح اليهود إلى الجزيرة العربية من حيث كانوا في بلاد الشام.

وهذا القول يتفق في معناه مع الاستعمال القرآني لهذا المصطلح وهو الارتداد على الأدبار، كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾،[٤] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم ﴾،[٥] ومعناه الرجوع القهقرى أي إلى الوراء.[٦] ومن العلماء من يرى أن المعنى في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾ ينصرف إلى الارتداد عن الدين، أي "لا تولوا عن دينكم وتشكوا بعد يقينكم فتكونوا كالمقهقر الراجع والمتقاعس الناكص"،[٧] وهو على هذا الوجه استعارة. وأما على المعنى الأول فهو كناية عن التراجع والتقهقر.

---

(١) سورة النساء/٤٧ – المائدة/٣٠ – محمد صلى الله عليه وسلم/٢٥.
(٢) اللسان مادة دبر.
(٣) ينظر نطمس وجوهاً.
(٤) سورة المائدة/٣٠.
(٥) سورة محمد صلى الله عليه وسلم/٢٥.
(٦) ينظر تفسير الطبري ١١١/٦.
(٧) تلخيص البيان ٣٠.



٧٩- ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾[١]

الهداية ضد الضلال والسبيل هي الطريق، وهداه الله الطريق أو السبيل عرّفها له ودلّه عليها، يقال هداه الطريق أو السبيل أو هداه لها،[٢] ومعنى أهدى سبيلا أحسن ديناً،[٣] وهداية السبيل أو اهتداؤها ينصرف معناهما إلى هذا، وضده (ضلالة السبيل) كذلك، ثم جرّدت الهداية والهدى للدلالة على الدين الصحيح، والضلال والضلالة على ما هو ليس كذلك، والمعنى في الحالين يجري على سبيل الاستعارة، فالذي يتّبع ديناً صحيحاً كالذي يهتدي إلى طريق واضح، والذي يتخذ ديناً غير الدين الحق كالذي يضلّ عن الطريق فلا يهتدي إلى ما يريد.

٨٠- ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾[٤]

النَّقر والنقرة والنقير: النكتة في النواة كأن ذلك الموضع نُقِر منها[٥] وهو أيضاً صويت يسمع من قرع الإبهام على الوسطى أو على السبابة.[٦] وأغلب العلماء في تفسير هذه الآية على أنه من المعنى الأول وهو الصحيح بدليل قوله تعالى ﴿يُؤْتُونَ﴾ ومعنى الآية أنهم من البخل بحيث لا يعطون الناس شيئا.[٧] والنقير مثل في القلة كالفتيل والقطمير.[٨] وبهذا المعنى ورد في شعر لبيد يرثي أخاه:

---

(١) سورة النساء/ ٥١، ٩٨، ٣٧ – الأعراف/١٤٨ –الإسراء/٨٤ – إبراهيم/١٢.
(٢) ينظر التاج مادة هدى.
(٣) تفسير القرطبي ٣٢٢/١٠.
(٤) سورة النساء/٥٣، ١٢٤.
(٥) اللسان مادة نقر.
(٦) ينظر التاج مادة نقر.
(٧) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٢٩، وتفسير الطبري ٨٧/٥.
(٨) الكشاف ٥٣٤/١.

وليس الناس بعدك في نقيــر   ولاهــم غير أصـــداء وهام

أي ليسوا بعدك في شيء.(١)

وعندما سئل ابن عباس عن قوله تعالى ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ وضع طرف ابهامه على باطن سبابته ثم رفعهما وقال هذا النقير".(٢)

٨١- ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾(٣)

الكفّ في أصل اللغة الرد والمنع، تقول كفّ الرجل عن الأمـــر يكفّــه كفًا وكفكفة،(٤) وكذلك دفعته وصرفته عنه.(٥) وقد ورد الكفّ في القـــرآن الكريم بهذا المعنى عموما، إلاّ أنه ينتقل إلى معنى أخصّ حـــسب مـــايقع عليه الفعل:

أ- **قوله تعالى** ﴿كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾(٦) المعنى هنا كفّوا أيديكم عـــن القتـــال، بدليل قوله تعالى في الآية نفسها ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ وكـــان المسلمون في مكة ممنوعين عن القتال ويتمنون أن يؤذن لهم بـــه.(٧) وهكذا ينصرف كف اليد في الآيات الأخر إلى المنع أو الصرف عن القتال، وهذا من باب المجاز المرسل لأن الأيدي آلة القتال وبدونهما لايستطيع المقاتل أن يقاتل.

---

(١) اللسان مادة نقر.
(٢) تفسير القرطبي ٥/٢٥٠، وفي التاج مادة نقر (ثم نقرها).
(٣) سورة النساء/ ٧٧،٩١- المائدة/١١ - الفتح/٢٠،٢٤.
(٤) اللسان مادة كفف.
(٥) التاج مادة كفف.
(٦) سورة النساء/ ٧٧،٩١- المائدة/١١ - الفتح/٢٠،٢٤.
(٧) ينظر الكشاف ١/٤٠٩.

ب- قوله تعالى ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[1] البأس الشدة في الحرب أو هو الحرب.[2] والمعنى أن يمنع عنكم محاربتهم إياكم.

ج - قوله تعالى ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[3] الخطاب للمسيح عيسى بن مريم، والمعنى أنّي منعت بني إسرائيل عن قتلك إذ همّوا بذلك فرفعتك إليّ.[4]

د- قوله تعالى ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾[5] أي لا يدفعونها أو يمنعونها عنها.

٨٢- ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾[6]

أي من به زمانة من كفّ بصر وغير ذلك من العذر الذي يمنع صاحبه من القتال.[7]

٨٣- ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾[8]

أذهب الشيء وذهب به أزاله .[9] والمعنى إن يشأ يزيلكم بإهلاككم وإفنائكم وإماتتكم.[10] وإنما جاء معنى الإزالة من الذهاب بالشيء أو

(١) سورة النساء/٨٤.
(٢) ينظر اللسان مادة بأس.
(٣) سورة المائدة/١١٠.
(٤) ينظر الكشاف ١/٤٩٠.
(٥) سورة الأنبياء/٣٩.
(٦) سورة النساء/٩٥.
(٧) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٣٤، وتفسير الطبري ٥/١٤٤.
(٨) سورة النساء/١٣٣ - الأنعام/١٣٣ - الأنفال/١١ - التوبة/١٥ - هود/١١٤ - إبراهيم/١٩ - الحج/١٥ - الأحزاب/٣٣ - فاطر/٣٤ - الأحقاف/٢٠.
(٩) اللسان والتاج مادة ذهب.
(١٠) ينظر تفسير الطبري ٥/٢٠٥، والكشاف ١/٥٧٠، وتفسير القرطبي ٥/٤٠٩.

إذهابه، لأن فيهما معنى العدم. فالإزالة تعني رفع الشيء، وإذا كان الرفع بالموت فهو العدم. وأصل الأمر في (الذهاب بالشيء وإذهابه) هو حمله والسير به من مكانه إلى مكان آخر، ثم أصبح يدل على معنى الإزالة عموماً، وإذا كان الأمر يتعلق بالناس، فإن إزالتهم تعني إفناءهم.

٨٤- ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾[١]

الخوض أصله في الماء،[٢] وخاض القوم في الحديث وتخاوضوا أي تفاوضوا فيه. والخوض من الكلام مافيه الكذب والباطل،[٣] والخوض أيضاً اللبس في الأمر،[٤] وكل شيء خضته فقد خلطته، ومنه خاض الماء بالعسل خلطه.[٥] والمعنى حتى يدخلوا في حديث غير حديثهم الأول وخوضهم في آيات الله هو استهزاؤهم بها.[٦]

والخوض سواء كان الدخول في الماء أم الخلط قد استعير هنا، لأن الذي يدخل في الحديث ويتفاوض فيه كالذي يدخل في الماء، لأن المراد به هاهنا " مناقلة الحديث والضرب في أقطاره والتفسّح في أعطافه استثارة لكرائمه وبحثاً عن غوامضه تشبيهاً بخائض الماء الذي يثير قراره ويسبر غماره".[٧] أو كالذي يخلط ويتخبّط في حديثه ويُلبس تشبيهاً بمن يخلط الأشياء ببعضها، فلا يعرف صحيحها من كذبها وحقّها من باطلها.

---

(١) سورة النساء/١٤٠- الأنعام/٦٨.
(٢) تفسير القرطبي١٢/٧.
(٣) اللسان مادة خوض.
(٤) التاج مادة خوض.
(٥) تفسير القرطبي ١٢/٧.
(٦) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٥٥، وتفسير الطبري ١٤٨/٧.
(٧) تلخيص البيان ٢٧، وينظر ٣٦.

٨٥- ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[١]

اتخاذ السبيل هو السير فيها، وقد مرّ، ومعنى أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، قال الطبري:"طريقاً إلى الضلالة".[٢] وقال الزمخشري: "أن يتخذوا ديناً وسطاً بين الإيمان والكفر، كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ أي طريقاً وسطاً في القراءة، وهو مابين الجهر والمخافتة".[٣] وقال القرطبي: "أي يتخذوا بين الإيمان والجحد طريقاً أي ديناً مبتدعاً بين الإسلام واليهودية".[٤] واتخاذ السبيل استعارة، لأن المراد بها هو الدين "وليس هناك على الحقيقة طريق يقصد ولا فجّ يسلك".[٥]

٨٦- ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾[٦]

الطبع الختم وهو التأثير في الطين ونحوه،[٧] وقال الراغب " الطبع أن يصوّر الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو أعمّ من الختم وأخص من النقش".[٨] وطبع الله على قلبه ختم على المثل.[٩] وعن الزجّاج أن "الطبع والختم بمعنى واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن يدخله شيء، كما قال الله تعالى ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ

(١) سورة النساء/١٥٠- الأعراف/١٤٦ -الكهف/٦١، ٦٣- الفرقان/ ٢٧، ٥٧- المزمل/١٩- الإنسان/٢٩.
(٢) تفسير الطبري ٦/٥.
(٣) الكشاف ١/٥٧٦.
(٤) تفسير القرطبي ٦/٥.
(٥) تلخيص البيان ٥٠.
(٦) سورة النساء/١٥٥ - الأعراف/١٠٠، ١٠١ - التوبة/٨٧، ٩٣ - يونس/٧٤ - النحل/١٠٨ -الروم/٥٩- غافر/٣٥ - محمد صلى الله عليه وسلم/١٦ - المنافقون/٣.
(٧) اللسان مادة طبع.
(٨) التاج مادة طبع.
(٩) اللسان مادة طبع.

﴿ أَقْفَالُهَآ ﴾.[1] وعن مجاهد "الرين أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد من ذلك كله".[2] ويرى الزمخشري أن في قوله تعالى ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ردّ على قولهم قلوبنا غلف أي "خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم، فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفاً غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله".[3]

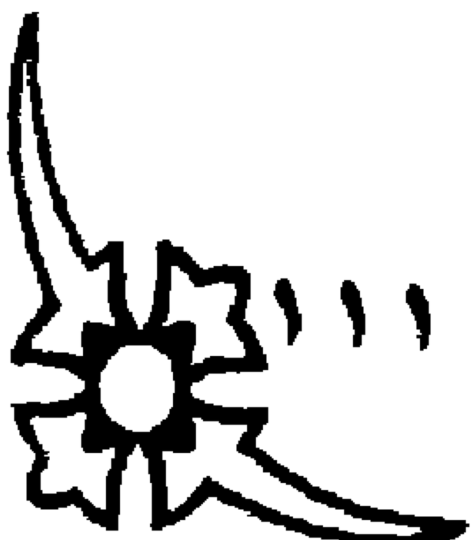
ويتحصل من ذلك أن معنى الطبع على القلوب أن أصحابها لا يعون شيئاً ولايستوعبون، فقلوبهم مقفلة. وقد جرى هذا على المثل أي الاستعارة، لأن الطبع كالختم إلاّ أن في الطبع زيادة معنى، فيقال طبع على الطين أو الشمع إذا أثّر فيه.[4]

٨٧- ﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾[5]

أصل البسط المدّ والنشر،[6] وإذا وقع البسط على اليد حدث من ذلك معنيان مختلفان، الأول: بمعنى البطش، وعليه قوله تعالى ﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ ﴾[7] ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سار بالدية إلى بني النضير عن قتيلي عمرو بن أمية همّ هؤلاء بالبطش به وبأصحابه فكفّ الله أيديهم،[8] وعلى هذا المعنى يتخرّج قوله تعالى ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾

---

(١) اللسان مادة طبع.
(٢) تفسير الطبري ٦/٢٧.
(٣) الكشاف ١/٥٧٨.
(٤) ينظر تلخيص البيان ٤٨.
(٥) سورة المائدة/ ١١،٢٨،٦٤ - الأنعام/٩٣ - الإسراء/٢٩ - الممتحنة/٢.
(٦) اللسان والتاج مادة بسط.
(٧) سورة المائدة/١١، وكذلك الآيات ٢٨،٦٤ - الممتحنة/٢.
(٨) تفسير الطبري ٦/٩٢ وما بعدها.
(٩) سورة الأنعام/ ٩٣



قال الزمخشري في تفسير هذه الآية إنها "عبارة عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال".[1] وقال أيضاً إنه "قيل أن معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب".[2]

والثاني: بمعنى البذل والعطاء، وعليه قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[3] وهذا في الضد من قوله تعالى على لسان اليهود في الآية نفسها ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾

وإنما تأتى هذا المعنى من إضافة البسط إلى اليد لأنها الجارحة التي تؤدي ذلك أصلاً، فالبطش والإنفاق إنما يكونان باليد من بين الجوارح، قال الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: "لأن عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب بأيديهم ، فجرى استعمال الناس في وصف بعضهم بعضاً إذا وصفوه بجود وكرم، أو ببخل وشحّ وضيق بإضافة ماكان من ذلك من صفة الموصوف إلى يديه".[4] ثم قال: "ومثل ذلك من كلام العرب في أشعارها وأمثالها أكثر من أن يحصى، فخاطبهم الله بما يتعارفونه ويتحاورونه بينهم في كلامهم"،[5] واليد في القرآن الكريم تحتمل معاني أخرى غير الجارحة لأنها السبب فيها أو الواسطة إليها، أو الآلة لها فهي تدل على النعمة والقوة والملك والقدرة، والصلة والتأييد والنصرة، ولإضافة الفعل إلى المخبر عنه تشريفاً له وتكريماً.[6]

---

(١) الكشاف ٥١٧/١.

(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٣) سورة المائدة/٦٤، وينظر سورة الإسراء/٢٩.

(٤) تفسير الطبري١٩٣/٦.

(٥) تفسير الطبري ١٩٣/٦.

(٦) ينظر تفسير القرطبي ٢٣٨/٦.

وإضافة البسط إلى اليد على المعنيين المذكورين يجري على سبيل الكناية، لأن اليد حين تبسط حقيقة يكون منها البذل والعطاء، أو البطش والأذى مجازاً، ولكن الشريف الرضي عدّها في آية سورة الإسراء استعارة ثم علّل ذلك بأن قوله تعالى ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ عنده كناية عن التبذير "وليس المراد بسط اليد التي هي الجارحة على الحقيقة.[1]

٨٨- ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[2]

معناه من يقتدر على منع ذلك وهذا "من قول القائل ملكت على فلان أمره إذا صار لا يقدر أن ينفذ أمراً إلاّ به".[3] أي إن أراد الله أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض جميعاً، "فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئاً."[4]

٨٩- ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[5]

على فترة أي على انقطاع من نزول الرسالات، والفترة مابين كل نبيّين،[6] والفترة "الفعلة من قول القائل فتر هذا الأمر يفتر فتوراً، وذلك إذا هدأ وسكن".[7] وهي أيضاً بمعنى الانقطاع عن العمل "عمّا كان عليه من الجد فيه من قولهم فتر عن عمله وفتّرته عنه. ومنه فتر الماء إذا انقطع عما كان عليه من السخونة إلى البرد، وامرأة فاترة الطرف

---

(١) ينظر تلخيص البيان ١١٥.

(٢) سورة المائدة/ ١٧،٤١ – الأحقاف/٨ – الفتح/١١- الممتحنة/٤ – الإنفطار/١٩.

(٣) تفسير الطبري ٦/١٠٥.

(٤) الكشاف ١/٦٠١، وينظر تفسير القرطبي ٦/١١٩.

(٥) سورة المائدة/١٩.

(٦) اللسان مادة فتر.

(٧) تفسير الطبري ٦/١٠٧.

أي منقطعة عن حدّة النظر وفتور البدن كفتور الماء".[١] ولذلك بكى ابن مسعود رحمه الله عندما مرض، وعندما سئل قال "إنما أبكي لأنه أصابني على حال فترة ولم يصبني على حال اجتهاد" أي في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات.[٢] والتشبيه عند الشريف الرضي بفتور النار أي خمودها اضطرامها، ولذلك عدّها استعارة.[٣]

٩٠- ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾[٤]

المعنى تابعته نفسه،[٥] ورخّصت،[٦] وشجّعته وزيّنته،[٧] وشايعته وانقادت له،[٨] وأقامته وساعدته عليه،[٩] ووسعته له ويسّرته،[١٠] وسوّلت وسهّلت.[١١] والأصل في هذا من الطوع أو الطواعية،[١٢] أو من طاع له المرتع إذا اتسع.[١٣]

وهذه استعارة عند الشريف الرضي أي "سهّلت نفسه عليه ذلك حتى أتاه طوعاً وانقاد إليه سمحاً".[١٤] وعند الأخفش أن طوّعت مثل طوّقت

---

(١) تفسير القرطبي ٦/١٢١.
(٢) اللسان مادة فتر.
(٣) تلخيص البيان ٢٩.
(٤) سورة المائدة/٣٠.
(٥) معاني القرآن للفراء ١/٣٠٥.
(٦) معاني القرآن للأخفش ١/٢٥٧.
(٧) تفسير الطبري ٦/١٢٥،١٢٦.
(٨) التفسير لابن قتيبة ١٤٢.
(٩) تفسير الطبري٦/١٢٥.
(١٠)الكشاف ١/٦٠٨.
(١١) تفسير القرطبي٦/١٣٨.
(١٢) اللسان مادة طاع.
(١٣) الكشاف١/٦٠٨.
(١٤) تلخيص البيان ٣٠.

ولذلك معناه عنده رخّصت، قال: "وتقول طوّقته أمري أي عصبْته به".[1]

٩١- ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾[2]

الخلاف بالكسر المخالفة أو المضادّة.[3] ومعنى المصطلح شبه الجملة (من خلاف) المخالفة في قطع اليد والرجل، فتقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.[4] وعن ابن عباس أن فرعون أول من "قطع الأيدي والأرجل من خلاف. الرجل اليمنى واليد اليسرى، واليد اليمنى والرجل اليسرى".[5]

٩٢- ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [6]

الوسيلة المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة أو القربى والوصلة، وما يتقرب به إلى الغير.[7] قال عنترة:

إن الرجال لهم إليك وسيلةً   أن يأخذوكِ تكحّلي وتخضّبي

وقال الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا   وعاد التصافي بيننا والوسائل

وفي حديث الأذان (آت محمداً الوسيلة) المراد بها القرب من الله تعالى، وقيل هي الشفاعة يوم القيامة، وقيل هي منزلة من منازل الجنة،[8] وهي فعيلة من توسلت.[9] ويقال منه سلت أسأل أي طلبت، وهما

---

(١) معاني القرآن١/٢٥٧.

(٢) سورة المائدة/٣٣ – الأعراف/١٢٤ – طه/٧١ – الشعراء/٤٩.

(٣) ينظر التاج مادة خلف.

(٤) ينظر التأويل ٣٩٩-٤٠٠، وتفسير الطبري٦/١٣٧، وتفسير القرطبي٦/١٥١.

(٥) تفسير القرطبي ٧/٢٦١.

(٦) سورة المائدة/٣٥ – الإسراء/٥٧.

(٧) ينظر اللسان مادة وسل.

(٨) ينظر التاج مادة وسل.

(٩) تفسير الطبري ٦/١٤٦.

يتساولان أي يطلب كل واحد من صاحبه فالأصل الطلب.[١] ومعنى المصطلح في الآية ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه.[٢]

فاستعيرت الوسيلة لما "يتوسّل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي".[٣] وأنشد لبيد:

أرى الناس لايدرون قدر أمرهم　　ألا كل ذي لبّ إلى الله واسل

٩٣- ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾[٤]

القفا وراء العنق، والأثر بقيّة الشيء،[٥] ومعنى قفّينا على آثارهم بعيسى أتبعناه إيّاهم وأردفناه،[٦] أي أتبعناه على آثار النبيين،[٧] وهو مثل عقبته إذا أتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقّبته به.[٨]

٩٤- ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ﴾[٩]

الدائرة: الهزيمة والسوء[١٠] أو أي مكروه كالجدب،[١١] والنازلة[١٢] أو القحط أو ظفر الأعداء بهم[١٣] وهو من دوران الأيام والشهور أي

(١) تفسير القرطبي ٦/١٥٩.
(٢) تفسير الطبري ٦/١٤٦.
(٣) الكشاف ١/٦١٠.
(٤) سورة المائدة/٤٦- الحديد/٢٧.
(٥) اللسان مادة قفا.
(٦) التفسير لابن قتيبة٥٧.
(٧) تفسير الطبري ٦/١٧١، وتفسير القرطبي٦/٢٠٨.
(٨) الكشاف ١/٦١٧.
(٩) سورة المائدة/٥٢ – التوبة/٩٨ – الفتح/٦.
(١٠) اللسان مادة دور، والتاج مادة دار.
(١١) التفسير لابن قتيبة ١٤٤.
(١٢) تفسير الطبري ٦/١٨١.
(١٣) تفسير القرطبي٦/٢١٧.

عودتها، ويتحصّل من هذا معنيان، الأول: يكون فيه المعنى إننا نخشى أن يصيبنا مكروه من جدب أو قحط أو نازلة، فتكون بنا حاجة إلى هؤلاء، فلا يعينوننا. والمعنى الآخر: أننا نخشى أن تدور علينا الأيام تكون الغلبة فيها لهم فيظفروا بنا ويؤذوننا، والدوائر تدور والدوائل تدول.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي ينتظرون أن يصيبنا المكروه، أو تدور علينا الأيام فيظفروا بنا. قال الشريف الرضي: "وهذه استعارة لأنه لاشيء هناك يوصف بالدوران، وإنما المراد به الحال المنقلبة عن النعمة إلى البليّة وعن المسرّة إلى المساءة".(١) وقد استعمل هذا المصطلح بطريقتين يتغيّر فيهما حرف الجر فيتغيّر معه المعنى، كما هو الحال في كثير من العبارات والتراكيب والمصطلحات، فيقال دارت عليهم الدوائر. ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ ويختص المعنى عندئذ بالمكروه أو أحد المعنيين السابقين. ويقال دارت لهم الدنيا إذا كان لهم إقبالها وأصابهم خيرها.(٢)

٩٥- ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ (٣)

الغل هو القيد الذي تربط به اليد إلى العنق، وكانت العرب إذا أسرت أسيراً أغلّته بغلّ من قدّ وعليه شعر.(٤) والمعنى أن يد الله ممنوعة عن الإنفاق في زعم بني إسرائيل، أو أن نعمته مقبوضة عنهم أو ممسكة عن الاتساع عليهم. وقيل إن المعنى أن يده ممسكة عن عذابهم.(٥) وهذا

---

(١) تلخيص البيان ٦٢-٦٣.
(٢) تلخيص البيان ٦٣.
(٣) سورة المائدة/٦٤ - الإسراء/٢٩.
(٤) ينظر اللسان والتاج مادة غلل.
(٥) ينظر اللسان مادة غلل.



المعنى الأخير بعيد، لأن المراد هنا عدم الإنفاق، بدليل قوله تعالى بعد ذلك ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ وهذا المعنى واضح أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾، شبه اليد الممسكة عن الإنفاق كالتي قيّدها الغل وربطت بالعنق لا تستطيع أن تتصرف.[1] والمنهيّ هنا الشحّ والتقتير كما نُهي عن الإسراف والتبذير في الآية نفسها، والمأمور به أن يكون وسطاً بين الشحّ والإسراف.[2]

والاستعارة واضحة في هذه الآية، لأن المراد هنا باليد ليس الجارحة، وقد شبهت اليد الممسكة المقترة باليد المغلولة، كما أن اليد المسرفة شبهت باليد المبسوطة، والأمران منهيّ عنهما في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾.[3]

٩٦- ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [4]

البسط النشر وهو ضد القبض، ومعنى يداه مبسوطتان أي ينفق كيف يشاء ليس لعطاياه ومنحه حد. والعرب تقول رجل بسيط اليدين منبسط بالمعروف، ويد بِسْط أي مطلقة غير مقيدة، والمعنى المراد هنا هو ضد المعنى في قوله ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾،[5] وقد قرئت (بل يداه بسطان)[6]

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٥/٥٥،٥٦.

(٢) ينظر الكشاف ٢/٤٤٧، وتفسير القرطبي ١٠/٢٥٠.

(٣) سورة الفرقان/٦٧ ، وينظر تلخيص البيان ١١٥.

(٤) سورة المائدة/٦٤ – الإسراء/٢٩.

(٥) ينظر المصطلح السابق.

(٦) هي قراءة عبد الله كما في اللسان، وفي مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه بِسْطتان ٣٤.

والمعنى واحد. وهذا المعنى هو المقصود بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾، فإذا كانت السعة في الإنفاق والعطاء من صفات الله تعالى، فإنها منهيّ عنها لدى البشر لأن فيها ذهاب المال والفقر، ولذلك قال تعالى بعد النهي عن ذلك ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ فقد "ضرب بسط اليد مثلاً لذهاب المال فإن قبض الكف يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها".(١)

وهذه أيضاً استعارة لما فيها من تشبيه اليد المنفقة المسرفة باليد المبسوطة كل البسط.

٩٧- ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٢)

الإفك الكذب، والإفك الصرف عن الشيء.(٣) وقال الراغب: "الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب مؤتفكة".(٤) ومنه قوله تعالى ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ أي يصرف عن الإيمان من صرف، عن الفراء.(٥) ويحرم من حُرِمه عن ابن قتيبة.(٦) وقال الزمخشري: "الضمير للقرآن أو للرسول أي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم"،(٧) و"قيل المعنى يصرف عن الإيمان من أراده بقولهم هو سحر وكهانة وأساطير الأولين،

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/٢٥٠.

(٢) سورة المائدة/٧٥ -الأنعام/٩٥ -التوبة/٣٠ -يونس/٣٤ -العنكبوت/٦١ - الروم/٥٥ -فاطر/٣ -غافر/٦٢،٦٣ -الزخرف/٨٧ -الذاريات/٩ - المنافقون/٤.

(٣) ينظر اللسان والتاج مادة أفك.

(٤) المفردات مادة أفك.

(٥) معاني القرآن ٣/٨٣، واللسان مادة أفك.

(٦) التفسير لابن قتيبة ٤٢٠، وينظر تفسير الطبري ٢٦/١١٩.

(٧) الكشاف ٤/١٤.

وقيل المعنى يصرف عن ذلك الاختلاف من عصمه الله".[١] وعن مجاهد أن معنى (يؤفك) (يؤفن) والأفن فساد العقل.[٢] وقد قرئ يؤفن عنه من أُفن والمعنى عند الزمخشري على هذه القراءة يحرم، من أفن الضرع إذا أنهكه حلباً.[٣] والمعنى عند غيره أفن ضعف عقله، ومثله أفك.[٤]

وأمّا قوله تعالى ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي أنّى يصرفون عن الحق ويعدلون عنه. وأرض مأفوكة أي محرومة المطر والنبات، وائتفكت الأرض احترقت من الجدب عن ابن الأعرابي.[٥] قال ابن قتيبة كأن ذلك عدل عنها أو صرف.[٦]

ومن هنا جاء الإفك بمعنى الكذب، لأنه يصرف به عن الحق، ومنه قولهم أفِك الناس إذا حدّثهم بالباطل،[٧] وتضمن معنى الإفك أيضاً المخادعة، ومنه قوله تعالى ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ أي تخدعنا فتصرفنا.[٨]

---

(١) تفسير القرطبي ٣٣/١٧.
(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٣) الكشاف ١٦٧/٣.
(٤) ينظر اللسان مادة أفك.
(٥) اللسان نفس المادة.
(٦) التفسير ١٤٥، ٣٤٣.
(٧) ينظر التاج مادة أفك.
(٨) المصدر السابق.

٩٨- ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾[١]

أصل الوبال الثقل والمكروه،[٢] من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة،[٣] ثم استعمل بمعنى الشدّة. ومنه ضرب وبيل أي شديد.[٤] واستعمل في القرآن بمعنى الجزاء، ومنه الآية أي ليذوق جزاء أمره لقتله الصيد متعمداً، وقوله تعالى ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾[٥] أي جزاء ذنبها. وبمعنى العقاب والعذاب في قوله تعالى ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾[٦] أي نالهم عقاب الله على كفرهم به، وهو عذاب القتل في الدنيا بكفرهم بالله وعداوتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم.

٩٩- ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾[٧]

يطلق الوجه على أشياء منها الذات، لأنه أشرف الأعضاء وموضع الحواس، وعلى القصد لأن قاصد الشيء متوجه إليه، وبمعنى الصفة وبمعنى التوجه،[٨] والمقصود في هذا المصطلح هو القصد، لأن المعنى أن يأتوا بالشهادة على قصدها وحقيقتها لا ينقصون منها شيئا ولا يزيدون، وأن "يصدقوا في أيمانهم ولا يكتموا ويقرّوا بالحق ولا يخونوا".[٩]

يقول الشريف الرضي هذه من الاستعارات البديعة لأن الشهادة لا وجه لها، وإنما المراد أن يأتوا بها على جليّتها وحقيقتها.[١٠]

---

(١) سورة المائدة/٩٥- الطلاق/٩ -الحشر/١٥ -التغابن/٥.
(٢) اللسان مادة وبل.
(٣) الكشاف ٣/٢١٧.
(٤) اللسان والتاج مادة وبل.
(٥) سورة الطلاق/٩.
(٦) سورة الحشر/١٥.
(٧) سورة المائدة/١٠٨.
(٨) التاج مادة وجه.
(٩) تفسير الطبري ٧/٨٠.
(١٠) ينظر تلخيص البيان ٣٤.

١٠٠- ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ (١)

الكشف رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه،(٢) والضرّ الشدة والبلاء،(٣) أو هو سوء الحال ويكون في ثلاثة أشياء : البدن لنقص في جارحة أو عدمها، الحالة الظاهرة كقلة المال والجاه، النفس لقلة علم أو فضل أو عفة.(٤) ومعنى قوله تعالى (فلا كاشف له) أي لا رافع ولا مزيل لما يلحقك من أنواع الأذى إلاّ الله. ومما ورد منه في القرآن ما يحتمل الأوجه الثلاثة قوله تعالى ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾.(٥) ومثل الضر العذاب في نحو قوله تعالى ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ ﴾ (٦) أعني أن كشف العذاب مثل كشف الضر، أي أزلنا عنهم العذاب، وكذلك السوء في قوله تعالى ﴿ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾.(٧) ومما استعمل مع الكشف وأريد به معنى الإزالة الرجز في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ ﴾.(٨) قال الراغب: "أصل الرجز الاضطراب ومنه قيل رجز البعير رجزاً فهو أرجز، وناقة رجزاء إذا تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها".(٩) فيكون الرجز بمعنى الزلزلة كما في قوله تعالى ﴿ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾.(١٠)

---

(١) سورة الأنعام/١٧ – الأعراف/١٣٤،١٣٥ – يونس/١٢،٩٨،١٠٧ – النحل/٥٤ – الإسراء/٥٦ – الأنبياء/٨٤ – المؤمنون/٧٥ – النمل/٦٢ – الزمر/٣٨ – الزخرف/٥٠ – الدخان/١٢،١٥.
(٢) اللسان مادة كشف.
(٣) التأويل لابن قتيبة ٤٨٣.
(٤) ينظر المفردات مادة ضر.
(٥) سورة الأنبياء/٨٤.
(٦) سورة يونس/٩٨.
(٧) سورة النمل/٦٢.
(٨) سورة الأعراف/١١٣٥.
(٩) المفردات مادة رجز.
(١٠) سورة سبأ/٥، وسورة الجاثية/١١.

١٠١- ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾[١]

الأكنّة واحدها الكنان وهو الغطاء.[٢] يقال منه أكننت الشيء في نفسي وكننته بالهمزة وبدونها إذا غطّيته، ومن ذلك بيض مكنون.[٣]

والمعنى أنهم لا يفقهون ما يسمعون ولا يستوعبونه لأن القلوب كما مرّ وعاء الفهم فكأنها حين منعت القدرة على ذلك كالشيء المغلّف الذي يحول غلافه بينه وبين أن يدخله شيء، وهو مثل في نبوّ قلوبهم عن قبوله واعتقاد صحته،[٤] وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾.[٥] وهي عند الشريف الرضي استعارة لأنه ليس هناك على الحقيقة كنان على قلب، وإنما المراد أنهم لاستثقالهم سماع القرآن عند أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بتلاوته على أسماعهم كالذين على قلوبهم أكنّة دون علمه.[٦]

١٠٢- ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[٧]

الوقر (بفتح الواو) ثقل في السمع أو ذهابه كله والوقر الحمل،[٨] والمعنى أن آذانهم بها صمم فلا تسمع ما يُتلى عليها من القرآن،[٩] وعند الزمخشري هو أيضاً مثل لنبوّ مسامعهم عنه.[١٠] ويبدو أن الوقر بفتح الواو وكسرها هو في الأصل الثقل، ثم خصصت العرب الوقر بفتحها

---

(١) سورة الأنعام/٢٥ –الإسراء/٤٦ –الكهف/٥٧.
(٢) اللسان مادة كنن.
(٣) ينظر تفسير الطبري ١٠٨/٧.
(٤) ينظر الكشاف ٥٠٠/١.
(٥) سورة فصلت/٥.
(٦) ينظر تلخيص البيان ١١٥.
(٧) سورة الأنعام/٢٥ – الإسراء/٤٦ - الكهف/٥٧ -لقمان/٧ -فصلت/ ٥، ٤٤.
(٨) اللسان مادة وقر.
(٩) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٥٢، ٣٨٨، وتفسير الطبري ١٠٨/٧.
(١٠) الكشاف ٥٠٠/١.



لثقل السمع وبكسرها للثقل عموماً، وقيل هو الحمل الثقيل. وقرئت الآية بكسر الواو أيضاً على التشبيه بوقر البعير.(١) والقول عند الشريف الرضي في هذا المصطلح كالقول في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ فهو من باب الاستعارة عنده.(٢)

١٠٣- ﴿ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣)

الصراط هو الطريق،(٤) أو المنهاج الواضح،(٥) والمعنى على طريق الحق والعدل.

وقد استعير الصراط وهو الطريق أو المنهاج للحق والعدل والدين الصحيح، ولذلك يستعمل معه الفعل (هدى)، أو الفعل (ضلّ) لأن الذي يتبع الحق والعدل كالذي يسير في الطريق المستقيم أو الذي يُهدى إليه. والذي يفوته اتباع الحق كالذي يضل عن الطريق الواضح الصحيح الذي يبلغ بسائره إلى حيث يريد أو إلى حيث الأمان والنجاة.

١٠٤- ﴿ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾(٦)

للفعل (رأى) معانٍ معروفة في العربية، منها الرؤية البصرية والقلبية.(٧) وإذا أُسند الفعل إلى التاء ولحقته الكاف احتمل معناً آخر وهو الاستخبار، ومنه الآية: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ قال الفراء في هذا المعنى: "أن تقول أرأيتك

---

(١) تفسير القرطبي ٦/٤٠٤.
(٢) ينظر تلخيص البيان ١١٥، وينظر المصطلح السابق.
(٣) سورة الأنعام/٣٩ -هود/٥٦ -النحل/٧٦ -يس/٤ - الزخرف/٤٣ -الملك/٢٢.
(٤) التاج مادة صرط.
(٥) تفسير القرطبي ٩/٥٣.
(٦) سورة الأنعام/٤٠، ٤٧ – الإسراء/٦٢.
(٧) ينظر المفردات مادة رأى.

وأن تقول أخبرني، فتهمزها وتنصب التاء منها وتترك الهمز إن شئت، وهو أكثر كلام العرب، وتترك التاء موحّدة مفتوحة للواحد والواحدة والجمع في مؤنثه ومذكّره".[1] فالتاء تبقى مفتوحة مهما كان المخاطب وتسلط التأنيث والتثنية والجمع على الكاف.[2]

ولا أعلم كيف انتقل الاستفهام عن الرؤية في هذا التركيب إلى معنى الاستخبار، وبهذه العبارة الجامدة التي يبقى فيها تاء الفاعل مفتوحاً خلافاً لما هو معروف في العربية.

١٠٥- ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [3]

دابر الشيء آخره أو أصله،[4] ودابر القوم الذي يدبرهم وهو الذي يكون في أدبارهم وآخرهم،[5] ومعنى قطع دابرهم أُهلك آخر من بقي منهم فيكونون عندئذ قد اجتُثّ أصلهم[6] وشأفتهم،[7] و"قطع خلفهم من نسلهم وغيّرهم فلم تبق لهم باقية".[8] أي "أصل الذين عتوا على ربهم وكذّبوا رسله وخالفوا أمره عن آخرهم فلم يُترك منهم أحد إلاّ أهلك بغتة إذ جاءهم عذاب الله".[9]

وهذه من الاستعارات التي أشار إليها الشريف الرضي، لأن الدابر عندهم من "دابرة الفرس وجمعها دوابر، وهي ما يلي حافره من خلفه،

---

(١) معاني القرآن ٣٣٣/١، وينظر اللسان مادة رأى.
(٢) ينظر المفردات والتاج مادة رأى.
(٣) سورة الأنعام/٤٥ – الأعراف/٧٢ –الأنفال/٧ –الحجر/٦٦.
(٤) ينظر اللسان مادة دبر.
(٥) تفسير الطبري ١٢٤/٧، وينظر تفسير القرطبي ٤٢٧/٦.
(٦) التفسير لابن قتيبة ١٥٤.
(٧) الكشاف ٥٠٥/١.
(٨) تفسير القرطبي ٤٢٧/٦.
(٩) تفسير الطبري ١٢٤/٧.

ودابرة الطائر هي الشاخصة التي خلف رجله، وتُدعى الصيصية أيضاً".[١]

١٠٦- ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾[٢]

الصدف في الأصل من عيوب الخيل والإبل، وهو تداني الفخذين وتباعد الحافرين في التواء من الرسغين، أو هو ميل في الحافر إلى الشق الوحشي، أو هو ميل في الخف، أي خفّ البعير من اليد أو الرجل إلى الشق الوحشي، وقيل هو ميل في القدم.[٣] وقد خرج هذا المعنى إلى الإعراض والميل أو العدول عن الشيء، يقال صدف عنه يصدف صدفاً وصدوفاً،[٤] ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ أي "أعرض عنها بعد ما أتته فلم يؤمن بها ولم يصدق بحقيقتها".[٥]

١٠٧- ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[٦]

سبق أن ذكرنا أن للوجه معاني انتقلوا إليها من الحقيقة إلى المجاز،[٧] منها القصد،[٨] وهو المراد أيضاً في هذه الآية، أي يتوجهون إليه أو يريدونه بالدعاء[٩] "فيسألون عفوه ومغفرته لصالح أعمالهم وأداء ما ألزمهم من فرائضه ونوافل تطوعهم وذكرهم إياه بألسنتهم بالغداة والعشيّ

---

(١) تلخيص البيان ٣٥.
(٢) سورة الأنعام٤٦، ١٥٧ .
(٣) ينظر التاج مادة صدف.
(٤) اللسان مادة صدف، والتفسير لابن قتيبة ١٥٤.
(٥) تفسير الطبري ٨/٧٠.
(٦) سورة الأنعام/٥٢ – الكهف/٢٨.
(٧) ينظر المصطلح (على وجهها) سورة المائدة/١٠٨.
(٨) التاج مادة وجه.
(٩) ينظر التأويل لابن قتيبة٢٥٤.

يلتمسون بذلك القربة إلى الله والدنوّ من رضاه".[1] وقيل "يريدون الله الموصوف بأن له الوجه، كما قال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ وهو كقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾".[2]

١٠٨- ﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾[3]

أصل الإبسال المنع والتحريم، يقال منه أبسلت المكان إذا حرمته فلم تقربه، والبسل الترك، يقال شراب بسيل أي متروك والمبسل بالجريرة هو المرتهن بها، والإبسال أيضاً تسليم المرء للهلاك، أبسلت ولدي أرهنته.[4]

وعلى هذا يكون معنى قوله﴿ تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾أن تسلم للهلاك[5] أو تحبس أو تفضح أو تجزى.[6]

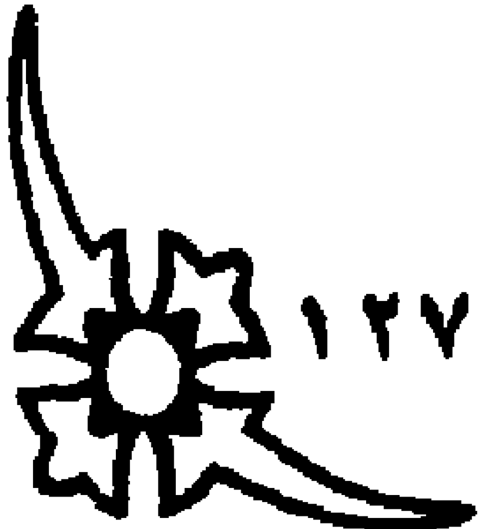
وأقرب هذه المعاني إلى الأصل وأوجهها أن يقال إن معنى تبسل نفس أن تترك فيصيبها الهلاك كأنها تهمل فلا تحمى ولا تصان.

١٠٩- ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾[7]

القطع ضد الوصل، والبيْن يكون للفرقة والوصل[8] ولا يستعمل في الأصل إلاّ فيما كان له مسافة، نحو بين البلدان، أو له عدد ما إثنان

---

(١) تفسير الطبري ٧/١٣١.
(٢) تفسير القرطبي ٦/٤٣٢.
(٣) سورة الأنعام/٧٠.
(٤) ينظر تفسير الطبري ٧/١٥٠، والكشاف١/٥١١، وتفسير القرطبي٧/١٦، واللسان مادة بسل.
(٥) التفسير لابن قتيبة ١٥٥.
(٦) ينظر تفسير الطبري ٧/١٥٠.
(٧) سورة الأنعام/٩٤ – محمد صلى الله عليه وسلم/٢٢.
(٨) ينظر اللسان مادة بين.



فصاعداً نحو بين الرجلين وبين القوم.[١] ومعنى تقطّع بينكم[٢] انقطعت المودة التي بينكم والوُصَل من قرابة وحلف.[٣] "وقد كانوا في الدنيا يتواصلون ويتناصرون فاضمحل ذلك كله في الآخرة فلا أحد منهم ينصر صاحبه ولا يواصله".[٤] وهي على قراءة الرفع استعارة عند الشريف الرضي،[٥] قلت وهي كذلك على قراءة النصب، لأن التقطع إنما يكون للحبال ونحوها مما يصل بين الأشياء الملموسة، وإنما المراد هنا المودّة والألفة وغير ذلك من أنواع التواصل بين البشر مما هو يُدرك ولا يُحَسّ.

١١٠- ﴿ مَا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾[٦]

التخويل المنح والعطاء والتمليك. وهو في الأصل إعطاء الخول أو ما يصير خولاً أي خدماً، وقيل إعطاء ما يحتاج أن يتعهده.[٧] والعرب تقول ذلك لكل من أعطى غيره من مال أو غيره.[٨] وحقيقته عند الزمخشري أصلان،أحدهما: أنه جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال إذا كان متعهداً له حسن القيام به، وحمل عليه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة.

والآخر: أنه من قولهم خال يخول إذا اختال وافتخر.[٩]

---

(١) التاج مادة بين.
(٢) قرئت بالرفع والنصب. فالرفع على الفعل أي تقطّع وصلكم، والنصب على الحذف يريد ما بينكم، التاج مادة بين.
(٣) ينظر التفسير لابن قتيبة١٥٧.
(٤) تفسير الطبري ١٨٥/٧.
(٥) تلخيص البيان ٣٧.
(٦) سورة الأنعام/٩٤ – الزمر/٨، ٤٩.
(٧) ينظر المفردات واللسان والتاج مادة خول.
(٨) ينظر تفسير الطبري ١٢٧/٢٣.
(٩) الكشاف ٢٥/٣.

١١١- ﴿ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾[١]

أصل القرف والاقتراف: قشر اللحاء عن الشجر، والجلدة عن الجرح.[٢] واستعير الاقتراف للاكتساب حسناً كان أو سوءاً. وله معنى آخر، قال أبو عمرو: "أقرف آل فلان فلاناً إذا أتاهم وهم مرضى فأصابه ذلك فاقترف هو من مرضهم.[٣] وهذا أوضح في تحول معنى الاقتراف إلى الاكتساب، ولذلك قال الراغب: "والاقتراف في الإساءة أكثر استعمالا".[٤] وقد ورد في القرآن بالمعنيين، ومنه الآية وهو في الإساءة، وقد استعمل في الإحسان في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ﴾ قال ابن قتيبة: "أي يكتسب".[٥] وفرّق القرطبي بين القرف والاقتراف، فالأول معناه الكسب في الشيء الحسن، يقال فلان يقترف لعياله أي يكسب. والاقتراف الاكتساب في الإساءة، وعنده أنه مأخوذ من قولهم رجل قرفة إذا كان محتالا.[٦]

ومن المفسرين من فسر الاقتراف بالعمل،[٧] يقال قرف الذنب واقترفه إذا عمله.[٨] ولعل هذا المعنى مأخوذ من المعنى الآخر للقرف وهو "ما يقتلع من الأرض من البقول والعروق، ومنه الحديث: (إذا وجدت قرف الأرض فلا تقربها) أي الميتة، أراد ما يقترف من بقل الأرض وعروقه ويقتلع، وأصلها أخذ القشر منه".[٩]

---

(١) سورة الأنعام/١١٣، ١٢٠ – التوبة/٢٤ – الشورى/٢٣.

(٢) ينظر المفردات مادة قرف.

(٣) التاج مادة قرف.

(٤) المفردات مادة قرف.

(٥) التفسير ٣٩٣.

(٦) ينظر تفسير القرطبي ١٦/٢٤.

(٧) تفسير الطبري ٢٥/١٧.

(٨) اللسان مادة قرف.

(٩) التاج مادة قرف.

١١٢- ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[١]

قال ابن السكيت صغيت إلى الشيء أصغي صغياً إذا ملت، وصغوت أصغو صغواً،[٢] وقال الراغب: "يقال صغت النجوم والشمس صغواً مالت للغروب".[٣] ومعنى قوله تعالى في الآية لتميل. والمراد بالميل هنا الزيغ، ومثله قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ عن ابن عباس يقول زاغت قلوبكما أي أثمت، وذلك بأنها قد عدلت ومالت إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٤]

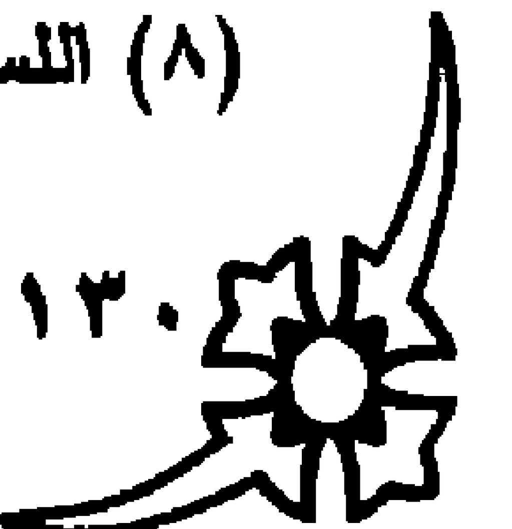
وقد استعمل الميل هنا بمعنى الزيغ والانحراف على سبيل الاستعارة، لأن القلوب في الحقيقة لا تتحرك من مكانها ميلاً أو انحرافاً، وإنما المراد الاعتقاد خلاف ما ينبغي في طاعة النبي صلى الله عليه وسلم. ومثله قول القائل مال قلبي إلى فلان إذا أحبّه، ونفر عنه إذا أبغضه.[٥]

١١٣- ﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[٦]

أصل الشرح الفتح، وشرح اللحم فتحه،[٧] وكل ما فتح من الجواهر فقد شُرِح.[٨] ويراد بشرح الصدر في القرآن الكريم توسعته للقبول سواء بالخير كما في هذه الآية وغيرها، أم بالشر كما في آية سورة النحل.

---

(١) سورة الأنعام/١١٣ – التحريم/٤.
(٢) اللسان مادة صغا.
(٣) المفردات مادة صغا.
(٤) ينظر تفسير الطبري ٢٨/١٠٤، والكشاف ٤/١٢٧.
(٥) ينظر تلخيص البيان ٢٥٠.
(٦) سورة الأنعام/١٢٥ – النحل/١٠٦– طه/٢٥ –الزمر/٢٢ – الشرح/١.
(٧) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٥٦.
(٨) اللسان مادة شرح.



وسأل عطاء الحسن عمّا إذا كان الأنبياء يشرحون إلى الدنيا مع علمهم بربهم فأجاب نعم إن لله ترائك في خلقه. أراد كانوا ينبسطون إليها ويشرحون صدورهم ويرغبون في اقتنائها رغبة واسعة.(١) وعندما نزلت آية سورة الأنعام سأل الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم كيف يشرح الصدر؟ قال "إذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر وانفسح، قالوا فهل لذلك آية يعرف بها؟ قال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت".(٢)

وفي تفسير آية سورة الانشراح يحتمل المعنى عند الزمخشري أحد ثلاثة أمور، وهي احتمال هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعاً، أو احتمال المكاره التي يتعرّض الرسول صلى الله عليه وسلم لها من كفار قومه، أو فسحه بما أودعه الله فيه من العلوم والحِكَم وإزالة الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل.(٣) ويمكن أن يحتمل هذه الأمور جميعاً، غير أن للمفسرين قولاً آخر في هذه الآية محمولاً على الحقيقة.

١١٤- ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا ﴾(٤)

ضاق يضيق ضيقاً بالكسر ويفتح ضد اتسع.(٥) وفرّق الفراء بين الضيق والضَيْق فجعل الأول فيما يتسع كالثوب والدار، وجعل الثاني فيما لايتسع حقيقة كالصدر ونحوه.(٦) ونصّ أبو عمرو على أن (الضيق)

---

(١) اللسان مادة شرح ٠

(٢) تفسير الطبري ٨/٢٠.

(٣) ينظر الكشاف ٤/٢٦٦.

(٤) سورة الأنعام/١٢٥ - هود/١٢ - الحجر/٩٧ - الشعراء/١٣.

(٥) ينظر التاج مادة ضيق.

(٦) معاني القرآن ٢/١١٥، وينظر اللسان والتاج مادة ضيق.

بالفتح هو الشك، وقد يحرك أي تفتح ياؤه.[1] قال ابن قتيبة: "ومن الضيق الشك كقول الله تعالى ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [2] أي شك، لأن الشاك في الشيء يضيق صدراً به"،[3] على أن الحرج أشد الضيق، لأن أصله من المكان الذي لا ينفذ إليه لكثرة شجره ونباته كما مرّ.

وإسناد الضيق إلى الصدر وخروج المعنى إلى الشك استعارة، لأن الصدر ليس مكاناً يتسع فيضيق وإنما الأمر تشبيه نفاذ الإيمان إلى القلب بالسعة، وتشبيه الشك بالضيق، والصدر موضع كل ذلك لأنه موضع القلب حيث يكون الإيمان والشك كما كان يفهمه الناس من قبل.

١١٥- ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [4]

المكانة التؤدة أو الحيال والناحية[5] وأقصى الاستطاعة[6] والطريقة.[7] وعلى هذا يكون معنى الآية اعملوا على اتئادكم[8] وقال الطبري: "اعملوا على حيالكم وناحيتكم".[9] وعند الزمخشري أن المعنى يحتمل معنىً آخر، أي "اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم".[10] وعند القرطبي أن المعنى "اثبتوا على ما أنتم عليه".[11] وقد فسر ذلك

---

(١) ينظر التاج مادة ضيق.
(٢) سورة الأعراف/٢.
(٣) التأويل ٤٨٤.
(٤) سورة الأنعام/١٣٥ –هود/٩٣،١٢١ -يس/٦٧ – الزمر/٣٩.
(٥) اللسان مادة مكن.
(٦) الكشاف ٥٢/٢.
(٧) تفسير القرطبي ٨٩/٧.
(٨) اللسان مادة مكن.
(٩) تفسير الطبري ٢٩/٨.
(١٠) الكشاف ٥٢/٢.
(١١) تفسير القرطبي ٨٩/٧.

الزمخشري على أن المعنى هو النهي عن عدم الانحراف، قال: "يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان، أي اثبت على ما أنت عليه لا تتحرف عنه".[1]

١١٦- ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[2]

الأشدّ لا واحد له وإن كان القياس أن يكون واحده (شدّ).[3] وقد استعمل في القرآن للدلالة على ثلاثة معان، الأول في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾، ومعناه حتى يبلغ مبلغ الرجال ويتناهى في الثبات إلى حدّهم، ويقال ذلك ثمانية عشرة سنة.[4]

والمعنى الثاني: هو الإدراك والبلوغ فحسب كما في سورة يوسف.[5] والمعنى الثالث: هو الانتهاء في القوة والعقل، وعليه فسّر قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾.[6] فقد قرن بلوغ الأشدّ بالاستواء وهو أن يجتمع أمره وقوته ويكتهل وينتهي شبابه.[7] وقيل إن بلوغ الأشدّ يكون بين ثمانية عشر والأربعين، وقيل للستين،[8] فهو ليس بعمر معيّن وضابطه اكتمال العقل والانتهاء في الحكمة، وإن كان هذا لا يتم إلاّ عند مقاربة الأربعين.

---

(١) الكشاف ١/٥٢٩.

(٢) سورة الأنعام/١٥٢ -يوسف/٢٢- الإسراء/٣٤ -الكهف/٨٢ -الحج/٥ - القصص/١٤ -غافر/٦٧- الأحقاف/١٥.

(٣) التفسير لابن قتيبة ٢٥٤، واللسان مادة شدد.

(٤) ينظر التفسير ٢١٥، والتاج مادة شدد.

(٥) آية/٢٢، وينظر التاج مادة شدد.

(٦) سورة القصص/١٤.

(٧) ينظر التاج مادة شدد.

(٨) التفسيرلابن قتيبة ٢٥٤، وتفسير الطبري ١٢/١٠٥.

ويبدو أن الأشُدّ مشتق من الشدّ وهو العقد القوي،[1] ولذلك قالوا مضت أشد الرجل أي شدته.[2] وقال الطبري في تفسير بلوغ الأشدّ: "حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل وتدبير ماله وصلاح حاله في دينه".[3] وفرّق ابن قتيبة بين أشدّ اليتيم وأشدّ الرجل، قال: "أشدّ الرجل: الاكتهال والحنكة وأن يشتد رأيه وعقله... وأشدّ الغلام أن يشتد خلقه ويتناهى ثباته."[4]

١١٧- ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[5]

اختلف في معنى الميزان هاهنا، فمن المفسرين من قال إنه "ميزان له كفتان، وأن الميزان أنزل في الدنيا ليتعامل الناس بالعدل وتوزن به الأعمال". وهذا قول الزجّاج.[6] وقال الزمخشري: "وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يومِ القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا".[7] ونقل عن الحسن قوله: "وحُق لميزان لا توضع فيه إلاّ الحسنات أن يثقل".[8] وذهب ثعلب إلى أن المرادُ به الوزن فوضع الاسم موضع المصدر،[9] وهذا قول الطبري أيضاً، قال: "والعرب تقول لك عندي درهم بميزان درهمك ووزن درهمك، ويقولون داري بميزان دارك ووزن دارك، يريد حذاء دارك".[10] ومنهم من قال إنه الكتاب الذي فيه أعمال الخلق.[11]

---

(١) المفردات مادة شدّ.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٢/١٠٥.

(٣) تفسير الطبري ١٥/٦١.

(٤) التفسيرلابن قتيبة ٢٥٤.

(٥) سورة الأعراف/٨ – المؤمنون/١٠٢ – القارعة/٦.

(٦) اللسان مادة وزن.

(٧) الكشاف ٣/٣٥٥.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) اللسان مادة وزن.

(١٠) تفسير الطبري ٣٠/١٨٢.

(١١) اللسان مادة وزن.

على أن من المفسرين من يرى أن قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ مثل يضرب ولا ميزان، وهذا قول مجاهد.[1] ولعل الراغب ذهب هذا المذهب حين قال بأن ثقل الموازين إشارة إلى كثرة الخيرات، كما أن خفتها إشارة إلى قلة الخيرات.[2]

وهذا المعنى الأخير إستعارة كما يقول الشريف الرضي، لأن المراد بالموازين "المعادلة بين الأعمال بالحق لتظهر زيادة الحسنات على السيئات، أو زيادة السيئات على الحسنات، كما يظهر بالموازين ثقل الشيء الكثيف وخفة الشيء الخفيف".[3] وإذا حُملت الموازين على معناها الحقيقي فلا استعارة عنده، إلاّ أنه يرى أن الأعمال يستحيل وزنها لأنها أعراض لا قوام لها بنفسها. وذكر رأياً غريباً في توجيه هذا المعنى نسبه إلى بعض شيوخ أهل العدل، وهو أن "يجعل الضياء في إحدى كفتي الميزان أمارة لرجحان الثواب والطاعة، وتجعل الظلمة في الكفة الأخرى أمارة لرجحان العقاب والمعصية".[4] وهذا القول لا دليل عليه في ما نعلم لا في القرآن والسنة، ولا في كلام العرب.

١١٨- ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [5]

بيّنا في المصطلح السابق اختلاف معنى الميزان عند المفسرين. وخفّة الموازين نقيض ثقلها.[6] وعلى هذا وجّه الطبري المعنى بأنه "من خفّ وزن حسناته فمأواه ومسكنه الهاوية التي يهوى فيها على رأسه في جهنم".[7] وعند الزمخشري أن الموازين تخف لاتباعهم الباطل ولخفتها في الدنيا" وحُقّ لميزان لا توضع فيه إلاّ السيئات أن يخفّ".[8] نقله عن الحسن.

(١) تفسير الطبري ١٢٨/٣٠.

(٢) المفردات مادة ثقل.

(٣) تلخيص البيان ١٥٥.

(٤) المصدر السابق ، نفس الموضع.

(٥) سورة الأعراف/٩ – المؤمنون/١٠٣ – القارعة/٨.

(٦) ينظر تفصيل ذلك في المصطلح السابق.

(٧) تفسير الطبري ١٨٢/٣٠.

(٨) الكشاف ٥٤٠/١.

١١٩- ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[١]

أصل الوسوسة الصوت الخفي من ريح ونحوه كالحلي وحديث النفس أو الهمس الخفي،[٢] ومنه همس الصائد والكلاب، وقيل هو الكلام الخفي في اختلاط.[٣] والفعل غير متعدٍ، ورجل موسوس بكسر الواو، ولا تفتح إلاّ أن يقال موسوَس له وموسوَس إليه.[٤] ولعل هذين المعنيين الأخيرين، الهمس والكلام الخفي المختلط مأخوذان من المعنى الأول. فمعنى الآية أن إبليس ألقى إلى آدم وحواء أن الله سبحانه وتعالى ما نهاهما عن أكل ثمر هذه الشجرة إلاّ أن يكونا ملكين أو يكونا من الخالدين.[٥] وقوله تعالى: ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾معناه أننا نعلم ما يحدث الإنسان به نفسه وما يُخفي في سرائره وما يهجس في ضميره.[٦]

١٢٠- ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا ﴾[٧]

المعنى ربنا احكم بيننا.[٨] وأصل الفتح إزالة الإغلاق والإشكال، منه ما يُدرك بالبصر، ومنه ما يُدرك بالبصيرة.[٩] قال ابن قتيبة: "الفتح القضاء لأن القضاء فصل للأمور وفتح لما أُشكل منها".[١٠] وقال في معنى الآية أيضاً: "أي احكم بيننا ويقال للحاكم الفتّاح".[١١] والفتاحة

---

(١) سورة الأعراف/٢٠ – طه/١٢٠ – ق/١٦.
(٢) ينظر المفردات واللسان مادة وسوس.
(٣) التاج مادة وسوس.
(٤) ينظر الكشاف ٥٤٣/١.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٠٤/٨.
(٦) ينظر تفسير الطبري ٩٩/٢٦ ، الكشاف ١٦٠/٣، وتفسير القرطبي ٨/١٧.
(٧) سورة الأعراف/٨٩ – الشعراء/١١٨– سبأ/٢٦.
(٨) ينظر التفسير ١٧٠، ٣١٨، وتفسير الطبري ٥٧/١٩.
(٩) ينظر المفردات مادة فتح.
(١٠) التأويل ٤٩٢.
(١١) التفسير ١٧٠.

بكسر الفاء وفتحها الحكم وهي لغة حمير.(١) قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ : "كنت أقرؤها ولا أدري ما هي، حتى تزوجت بنت مشرح فقالت: فتح الله بيني وبينك أي حكم الله بيني وبينك".(٢) وسمّي الحاكم فتّاحا "لأنه يفتح المستغلق، كما سمي فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات".(٣) وعن الأزهري أن الفتاح في صفة الله تعالى هو الحاكم،(٤) ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾.(٥)

وهذه كما قال الشريف الرضي استعارة، لأن الفتح فيها إزالة المغلق كما يفتح الباب فيُعرف ما وراءه ويسهل الدخول إلى ما جُهل منه.(٦)

١٢١ - ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ (٧)

القلب تحويل الشيء عن وجهه قَلَبه يقلبه قلباً، وقد قلبته فانقلب ، والانقلاب الرجوع مطلقا.(٨)

قال الطبري: "يعني بالانقلاب إلى الله الرجوع إليه والمصير".(٩)

---

(١) التأويل ٤٩٣، وينظر اللسان مادة فتح وفيه: ما كنت أدري ما قوله عز وجلّ ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها تعال أفاتحك أي أحاكمك.

(٢) الكشاف ١٢١/٣.

(٣) ينظر اللسان مادة فتح.

(٤) سورة سبأ/٢٦، وينظر اللسان مادة فتح.

(٥) ينظر تلخيص البيان ١٦٧.

(٦) المصدر السابق ١٦٨.

(٧) سورة الأعراف/١٢٥ -التوبة/٩٥ -يوسف/٦٢ -الشعراء/٥٠ -الزخرف/١٤ - الملك/٤ -المطففين/٣١ - الانشقاق/٩ - الفتح/١٢.

(٨) اللسان مادة قلب.

(٩) تفسير الطبري ١٦/٩.

١٢٢- ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾(١)

معنى يطيّروا يتشاءمون. ذلك أنهم إذا أصابتهم سيئة أي قحط قالوا لموسى ومن معه هو بسببكم(٢) وهو مأخوذ من الطير، ذلك أن العرب تتشاءم وتتفاءل به، وكانوا يلجؤون إلى زجره وإثارته فإن مرّ عن اليمين تفاءلوا به وهو السانح، وإن مرّ عن الشمال تشاءموا منه وهو البارح. والسبب في ذلك كما يقول الأعلم الشنتمري أنه لا يمكن الرامي منه لأنه يأتيه عن شماله إلاّ أن يدور له فيبرح لذلك.(٣) وهم يفعلون ذلك أيضاً بالظباء ونحوها، ولذلك قالوا في المثل: "من لي بالسانح بعد البارح"(٤) ولذلك أجابهم الله تعالى على تطيّرهم بموسى ومن معه بقوله ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ .والطائر هنا عند أبي عبيدة يعني الحظ، وفسره المفسرون بأنه ما عمل من خير أو شر ألزمناه عنقه. والعرب تقول "لكل ما لزم الإنسان قد لزم عنقه وهو لازم صليف عنقه، وهذا لك عليّ وفي عنقي حتى أخرج منه".(٥)

فالتطيّر لذلك من الطير، وعن اللحياني أن العرب تقول: " طيرُ الله لا طيرك وطيرَ الله لا طيرَك"(٦) والاسم منه الطِيَرة والطِيرَة والطورة.(٧)

وهذه عند الرضي استعارة، فمعنى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ : "أي ما يحذرونه من الضر ويرجونه من النفع إنما يأتي من قبل الله تعالى".(٨)

---

(١) سورة الأعراف/١٣١ – النمل/٤٧ – يس/١٨، ١٩ – الإسراء/١٣.
(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٧١.
(٣) ديوان عنترة تحقيق مولوي ٢٩٧.
(٤) ينظر تفسير القرطبي ٧/٢٦٤-٢٦٥.
(٥) التفسير لابن قتيبة ١٧١.
(٦) اللسان مادة طير، النصب على معنى نحب طائر الله، وقيل بنصبهما على معنى أسأل الله طائر الله لا طائرك.
(٧) اللسان والتاج مادة طير.
(٨) تلخيص البيان ٤٩.

١٢٣- ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾[١]

أصل التبار والتتبير من الكسر، ولذلك قيل للذهب المكسّر أو قبل استخلاصه وصياغته تبر، وكذلك يقال لمكسّر الزجاج التبر والإناء المتبّر المكسّر.[٢] وقد انتقل هذا المعنى إلى التدمير والهلاك مطلقاً. فقوله تعالى: ﴿ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾ أي مهلك مدمر،[٣] ولذلك فسر ابن عباس التتبير بالخسران.[٤] لأن تتبير الإناء يفضي إلى خسرانه، ولذلك قال الطبري: " إن هؤلاء العكوف على هذه الأصنام الله مُهلِك ما هم فيه من العمل مفسده ومخسرهم فيه".[٥]

١٢٤- ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾[٦]

معنى السقوط في الأيدي هو إظهار الندم والحسرة، وعليه أكثر المفسرين، وزاد صاحب العباب معنى التحيّر ،[٧] وصاحب اللسان الزلل والخطأ.[٨] يقال سقط في يده وأُسقط لغة وسُقط أجود،[٩] وعن الطبري أن كليهما لغة فصيحة[١٠] وأنكر أبو عمرو مجيئها بالألف أي (أسقط) على ما لم يسم فاعله.[١١] واختلف في أصله، قال الطبري:

---

(١) سورة الأعراف/١٣٩ - الإسراء/٧ - الفرقان/٣٩ - نوح/٢٨.
(٢) اللسان مادة تبر.
(٣) ينظر التفسير لابن قتيبة١٧٢، ٣١١١٣.
(٤) تفسير الطبري ٣٢/٩.
(٥) المصدر السابق، وينظر الكشاف ٥٧٢/١، وتفسير القرطبي ٢٧٣/٧.
(٦) سورة الأعراف/١٤٩.
(٧) العباب مادة سقط، وينظر تفسير القرطبي ٢٨٨٥/٧، والتاج مادة سقط.
(٨) اللسان مادة سقط.
(٩) معاني القرآن للفراء ٣٩٣/١.
(١٠) تفسير الطبري ٤٣/٩.
(١١) اللسان مادة سقط.

"وأصله من الاستئثار وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره فيكتفه، فالمرمي به مسقوط في يدي الساقط به فقيل لكل عاجز عن شيء ومصارع لعجزه متندم على ما فاته سقط في يديه وأسقط".[1] وقال أبو علي: "ضربوا بأكفهم على أكفهم من الندم".[2] وعند الزمخشري أنه من عفي اليد لأن "شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعفي يده غمّاً فتصير يده مسقوطاً فيها لأن فاقده وقع فيها".[3]

وهو من المجاز، غير أنهم اختلفوا في توجيهه، فهو من الاستعارة كما يُفهم من كلام أبي علي "فشبه ما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويُرى بالعين"،[4] غير أن الزمخشري يذهب إلى أنه من الكناية[5] وهو ما يفهم من كلام الزجّاج الذي نقل عنه الزمخشري قوله: "معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم، كما يقال حصل في يده مكروه وإن كان محالاً أن يكون في اليد تشبيهاً لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويُرى بالعين".[6] وهو في هذا كقوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾[8] لأن النادم يقلب كفيه كما يعض يديه ويضع ذقنه فيهما.[9]

---

(١) تفسير الطبري ٤٣/٩.
(٢) اللسان مادة سقط.
(٣) الكشاف ٥٧٨/١.
(٤) اللسان مادة سقط.
(٥) الكشاف ٥٧٨/١
(٦) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٧) سورة الكهف/٤٢.
(٨) سورة الفرقان/٢٧.
(٩) ينظر تفسير القرطبي ٢٨٦/٧.

١٢٥- ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾[(١)]

الأخذ التناول، يقال أخذت الشيء آخذه أخذاً تناولته.[(٢)] وللعلماء في معنى الأخذ بالرأس في الآية قولان، أحدهما أنه فعل ذلك تعظيماً على عادة العرب من قبض الرجل على لحية أخيه وصاحبه إكراماً وتعظيماً وليس إذلالاً.[(٣)] والآخر فيه معنى الإذلال، لأنه إنما فعل ذلك "لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزّه وذهب بفطنته وظناً بأخيه أنه فرّط في الكف".[(٤)] والمعنيان يجريان على الكناية، لأن معنى التعظيم أو الإذلال يتأتّى من جرّ شعر الرأس أو اللحية.

١٢٦- ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾[(٥)]

السكت والسكوت خلاف النطق، يقال سكت الصائت إذا صمت.[(٦)] ومعنى الآية سكن عنه الغضب[(٧)] وبها قرأ معاوية بن قرّة[(٨)] وأصل السكوت السكون والإمساك، يقال جرى الوادي ثلاثاً ثم سكن أي أمسك عن الجري. وعن الزجّاج أن المعنى سكت موسى عن الغضب وهو على القلب، كما يقال أدخلت القلنسوة في رأسي والأصل أن يدخل الرأس في

---

(١) سورة الأعراف/١٥٠ – طه/٩٤.
(٢) ينظر اللسان مادة أخذ.
(٣) ينظر تفسير القرطبي ٧/٢٨٩.
(٤) الكشاف ١/٥٧٨، وينظر تفسير القرطبي ٧/٢٨٩ في تفسير سبب عمل موسى هذا بأخيه.
(٥) سورة الأعراف/١٥٤.
(٦) اللسان مادة سكت.
(٧) التفسير لابن قتيبة ١٧٣.
(٨) ينظر الكشاف ١/٥٧٩، وتفسير القرطبي ٧/٢٩٢.

القلنسوة،[1] ونقل القرطبي هذا المعنى عن عكرمة،[2] كما يقال أدخلت الإصبع في الخاتم وأدخلت الخاتم في الإصبع.[3] وعند الطبري أنه بمعنى كفّ وكل كاف عن شيء ساكت عنه. وعند الزمخشري أن المعنى طفىء غضبه.[4]

وسواء كان المعنى من الإمساك أم الكف أم الإنطفاء فقد جرى على سبيل الاستعارة أو المثل كما يقول الزمخشري، فكأن الغضب كان يغريه على الأخذ برأس أخيه وجرّ لحيته وإلقاء الألواح وغير ذلك، فلمّا ذهب عنه الغضب أمسك عن ذلك كله. ولذلك رأى الزمخشري في قراءة معاوية بن قرة أن النفس "لا تجد عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفاً من تلك الروعة.[5]

وهي من جليّات الاستعارة عند الشريف الرضي،[6] لأن موسى هو الساكت على الحقيقة وليس الغضب. وإنما جاز ذلك لأن الغضبان يصيح ويصرخ ويفعل ما لا يفعله عند سكونه.

١٢٧- ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [7]

أصل الإصر العهد والموثق، وهو مأخوذ من الإصار وهو ما تعقد به الأشياء.[8] وهو عند ابن قتيبة الثقل.[9] ومعنى وضع الإصر على هذا

---

(١) اللسان مادة سكت.
(٢) تفسير القرطبي ٧/٢٩٣.
(٣) ينظر المصدر السابق، نفس الموضع.
(٤) الكشاف ٢/٥٧٩.
(٥) الكشاف ٢/٥٧٩.
(٦) تلخيص البيان ٥١.
(٧) سورة الأعراف/١٥٧.
(٨) ينظر اللسان مادة إصر.
(٩) التأويل١٤٨، والتفسير١٧٣، وينظر الكشاف ١/٥٨١، والتاج مادة إصر.

التخفيف عن المسلمين ما كان الله حمّل بني إسرائيل من أعمال شديدة ثقيلة، كقرض الجلد من النجاسة وتحريم الغنائم وغير ذلك.[1] وهو استعارة[2] لما فيه من تشبيه هذه المحرمات التي فرضت على بني إسرائيل بالأغلال والأثقال، وجاء الإسلام بالتخفيف عن المسلمين إذ أحلّها لهم ورفعها عنهم.

١٢٨- ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[3]

الإخلاد الإقامة، وأخلد إلى الأرض ركن إليها وسكن.[4] وأصل الإخلاد اللزوم، ومنه أخلد فلان بالمكان إذا أقام به ولزمه.[5] والإخلاد إلى الأرض الركون إلى الدنيا والتمسك بأهدابها، لأن في الأرض متاعها ولذّاتها وبهذا فُسّرت الآية.[6] وقيل الإخلاد إلى الأرض الميل إلى السفالة.[7]

١٢٩- ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[8]

اللحد حفرة مائلة عن الوسط، وقد لحد القبر حفره كذلك وألحده.[9] ومعنى الآية دعوا الذين يعدلون في أسمائه ويجورون عن الحق ويميلون إلى أسماء آلهة أخرى كاللات والعزى ومناة،[10] ومثل هذا القول يقال في

(١) ينظر تفسير الطبري ٩/٥٨، والتاج مادة إصر.
(٢) تلخيص البيان ٥١.
(٣) سورة الأعراف/١٧٦.
(٤) ينظر اللسان مادة خلد.
(٥) ينظر تفسير القرطبي ٧/٣٢١،٣٢٢.
(٦) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٧٤، وتفسير الطبري ٩/٨٥.
(٧) ينظر الكشاف ١/٥٨٧.
(٨) سورة الأعراف/١٨٠ – فصلت/٤٠.
(٩) المفردات مادة لحد.
(١٠) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٧٥.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾.[١] قال الطبري: "إن الذين يميلون عن الحق في حججنا وأدلتنا ويعدلون عنها تكذيباً بها وجحودا لها"،[٢] فقد استعير الإلحاد "للإنحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة".[٣] وقد انصرف على هذا الإلحاد إلى الجور والعدول عن الحق في الدين. قال ابن السكيت: "الملحد العادل عن الحقّ المُدخل فيه ما ليس فيه".[٤]

١٣٠- ﴿ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾[٥]

معنى ذات البين الحال التي بينكم، كقولهم ذات العشاء أي الساعة التي فيها العشاء.[٦] وعند الزجّاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم أي اتقوا الله وكونوا مجتمعين على أمر الله ورسوله،[٧] وقيل المعنى أمر من الله بتوخي العدل في قسمة الغنائم لأنها نزلت في ذلك بعد أن اختلفوا فيها يوم بدر فأمرهم الله أن يفرّقوها بينهم على السواء،[٨] وقيل إن هذا نهي من الله للقوم ألاّ يختلفوا في ذلك،[٩] وأمر منه بأن يكون ما بينهم أحوال ألفة ومحبة ومودّة. ولما "كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين، كقولهم اسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب".[١٠]

(١) سورة فصلت/٤٠.
(٢) تفسير الطبري ٧٨/٢٤.
(٣) الكشاف ٧٢/٣.
(٤) اللسان مادة لحد.
(٥) سورة الأنفال/١.
(٦) ينظر اللسان مادة ذو، وذوات.
(٧) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٨) ينظر التأويل ٢٢٠.
(٩) ينظر تفسير الطبري ١١٩/٩.
(١٠) الكشاف ٣/٢.

١٣١- ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[١]

معنى ذات الشوكة ذات السلاح، ومنه قيل فلان شاكّ السلاح أو شائكه،[٢] لأن الشوكة هي الحد أو كل ما له شبا، والمقصود بغير ذات الشوكة العير التي كانت تحمل تجارة أهل مكة، وأمّا ذات الشوكة فهم جيش قريش الذين جاءوا لحماية القافلة.[٣] يقول الشريف الرضي: "والكناية بذات الشوكة عن ذات السلاح والعدة من أشرف البلاغة وأوقع الاستعارة تشبيهاً بالشوكة التي تخز والمدية التي تحز".[٤]

١٣٢- ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾[٥]

الربط الشد، يقال ربط الشيء يربِطُهُ ويربُطُه ربطاً فهو مربوط.[٦] ومعنى الربط على القلب إلهامه الصبر وتقويته وتثبيته،[٧] وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾: "فلمّا أنزل الله عليهم الماء إغتسلوا وتطهروا وكان الشيطان قد وسوس إليهم بما حزنهم به من إصباحهم مجنبين على غير ماء، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر، فذلك ربطه على قلوبهم وتقويته أسبابهم".[٨]

وهذه استعارة لما فيها من تشبيه القلوب بالأوعية التي تُربط كي لا يتبدد ما فيها كما يقول الشريف الرضي: "لئلاّ تنحلّ معاقد صبرها وتهفو عزائم جلدها".[٩]

---

(١) سورة الأنفال/٧.
(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٧٧، والكشاف ٢/٥.
(٣) ينظر تفسير الطبري ٩/١٢٢، والكشاف ٢/٥.
(٤) تلخيص البيان ٥٤.
(٥) سورة الأنفال/١١ – الكهف/١٤ – القصص/١٠.
(٦) ينظر اللسان مادة ربط.
(٧) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٦٤، والتاج مادة ربط.
(٨) تفسير الطبري ٩/١٣٠.
(٩) تلخيص البيان ١٢٣.

١٣٣- ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾[١]

يقال حال بين الشيئين حوْلاً وحؤولاً أي حجز،[٢] ومنه قوله تعالى: ﴿ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ ﴾،[٣] وقد اختلف في معنى قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ وللمفسرين فيها أقوال كلها تخرج إلى المعنى الاصطلاحي. فقال بعضهم إن الله "يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر. وقال آخرون بل معنى ذلك يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يفعل".[٤] وعند الراغب أن الحجز في هذه الآية على الإنفصال، وأن معنى الآية عنده فيه إشارة إلى ما قيل في وصفه تعالى مقلّب القلوب فيلقي في قلبه ما يصرفه عن مراده،[٥] والمعنى عند الصاغاني أنه يملك عليه قلبه فيصرّفه كيف شاء،[٦] وعند بعضهم إن معناه يهلكه أو يردّه إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً.[٧]

ويقول الشريف الرضي إن بعض هذه المعاني فيه استعارة، لأن الله أقرب من العبد إلى قلبه، أو هو يقلّب القلوب من حال إلى حال أي "ينقلها من حال الأمن إلى حال الخوف، ومن حال الخوف إلى حال الأمن، ومن حال المساءة إلى حال السرور، ومن حال المحبوب إلى حال المكروه".[٨]

---

(١) سورة الأنفال/٢٤.
(٢) اللسان مادة حول.
(٣) سورة هود/٤٣.
(٤) تفسير الطبري ١٤٢،١٤٣/٩.
(٥) المفردات مادة حول.
(٦) التاج مادة حول.
(٧) المصدر السابق، نفس المادة.
(٨) تلخيص البيان ٤٥،٥٥.

١٣٤- ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (١)

معنى ذهاب الريح زوال القوة أو الدولة والغلبة وعكسه هو هبوب الريح. شبهت الدولة أو الغلبة بالريح في نفوذ أمرها وتمشّيها، فيقال هبت رياح فلان إذا نفذ أمره وغلب سلطانه، ويقال أيضاً هبّت له ريح النصر، كما يقال الريح له اليوم أي أصبحت له الدولة والسلطان.(٢) وقال الطبري: "وهذا مثل يقال للرجل إذا كان مقبلاً عليه ما يحبه ويسرّ به، الريح مقبلة عليه يعني بذلك ما يحبه".(٣)

١٣٥- ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ (٤)

النكوص الإحجام والإنقداع عن الشيء، ونكص الرجل ينكص رجع إلى خلفه،(٥) والنكوص على الأعقاب معناه الرجوع القهقرى، وقوله تعالى:﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي فرّ لأن الفرار لا يكون إلاّ بالرجوع القهقرى.(٦) قال الزمخشري: "فلمّا تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله".(٧)

١٣٦- ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾(٨)

السوية والسواء العدل والنصفة،(٩) واختلف في معنى سواء في الآية، فقيل معناه العدل، أي فانبذ إليهم على عدل أي حتى يعتدل علمك وعلمهم

---

(١) سورة الأنفال/٤٦.
(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٧٩، والكشاف ١٩/٢.
(٣) تفسير الطبري ١١/١٠، وينظر أيضاً تفسير القرطبي ٢٤/٨.
(٤) سورة الأنفال/٤٨ – المؤمنون/٦٦.
(٥) اللسان مادة نكص.
(٦) ينظر التفسير١٧٩، ٢٩٨، وتفسير الطبري ١٥/١٠.
(٧) الكشاف ١٦٢/٢.
(٨) سورة الأنفال/٥٨ – الأنبياء/١٠٩.
(٩) اللسان مادة سوا.

بأنكم على حرب. وقيل معناه على مهل، وقيل معنى السواء الوسط.[1] قال الزمخشري أي "على طريق مستوٍ قصدٍ وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد، وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بيّناً أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهّم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك".[2] وعن النحاس أن "هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه".[3]

١٣٧- ﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[4]

الإثخان في الشيء قوته وشدته أو المبالغة فيه والإكثار منه،[5] وهو من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة ويقال أثخنته الجراحات إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة، وكذلك أثخنه المرض إذا أثقله.[6]

وللمفسرين في معنى قوله ﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ معنيان، أحدهما أن معناه حتى يبالغ في قتل أعدائه ويقهرهم غلبة وقسراً.[7] والمعنى الآخر حتى يتمكن في الأرض، أي لا يكون له أسرى حتى تكون له الغلبة فيها والسلطان.[8]

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٠/١٠.

(٢) الكشاف ١٩/٢.

(٣) تفسير القرطبي ٣٢/٨.

(٤) سورة الأنفال/٦٧.

(٥) اللسان مادة ثخن.

(٦) ينظر الكشاف ٢٣/٢.

(٧) ينظر تفسير الطبري ٣٠/١٠. والكشاف ٢٢٣/٢، وتفسير القرطبي ٤٨/٨.

(٨) ينظر اللسان مادة ثخن، وتفسير القرطبي ٤٨/٨.

وهذه استعارة كما يقول الشريف الرضي، لأن المراد بها تغليظ الحال وكثرة القتل.[1]

١٣٨- ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [2]

لا يرقبوا أي لا يحفظوا، والرقيب من أسماء الله الحسنى أي الحافظ، أو المعنى من الإنتظار والرصد.[3] والإلّ العهد والحلف والقرابة والأصل الجيد،[4] والإلّ أيضاً الله سبحانه وتعالى، ومنه جبرإلّ في قراءة التشديد.[5] والإلّ أيضاً الرحم، كما قيل إن الرحم من الرحمن.[6]

ومعنى لايرقبوا فيكم إلاً ولا ذمّة، أي لا يحفظوا فيكم عهداً أو لاينظروا قرابة أو لايحفظوا الله فيكم.[7] والوجه عند الزمخشري أن لايحفظوا فيكم عهداً لأن "اشتقاق الإلّ بمعنى الحلف لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الإلّ وهو الجؤار، وله أليل أي أنين يرفع به صوته ودعت ألليها إذا ولولت، ثم قيل لكل عهد وميثاق إلّ".[8]

---

(١) تلخيص البيان ٥٧.
(٢) سورة التوبة/٨، ١٠.
(٣) ينظر اللسان مادة رصد.
(٤) ينظر اللسان والتاج مادة ألل.
(٥) التأويل ٤٤٩.
(٦) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٧) ينظر تفسير الطبري ١٠/٥٩،٦٠.
(٨) الكشاف ٢/٢٩.

١٣٩- ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم ﴾[١]

النكث النقض، ويكون في الحبل وما يشبهه مما يُعقَد، والنكث بكسر النون أن تنقض أخلاق الأخبية والأكسية البالية فتغزل ثانية، ويقال نكث العهد والحبل فانتكث أي نقضه فانتقض.[٢] والنكث في الأيمان والعهود مستعار[٣] تشبيهاً لها بالحبال لقوله تعالى: ﴿ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾ فكان الرجوع عنها نكث لها.[٤]

١٤٠- ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ ﴾[٥]

الإعطاء عن يد في هذه الآية له أكثر من معنى كما يظهر من كلام المفسرين، إذ يقال أعطاه عن يد أو عن ظهر يد، أي ابتداءً وليس مكافأة.[٦] أو أعطاه طوعاً أو كراهية. فالعرب تقول "لكل معط قاهرا له شيئاً طائعاً له أو كارهاً أعطاه عن يده وعن يد".[٧] وقيل المعنى يدفعها بنفسه غير مستتيب فيها أحداً وهذا قول ابن عباس.[٨] وقيل مذمومين أو عن إنعام منكم عليهم. وقيل يدفعها المعطي قائماً والآخذ جالس.[٩] وقد وضّح الزمخشري هذه المعاني بأن معنى عن يد إمّا أن يراد بها يد

(١) سورة التوبة/١٢،١٣.
(٢) اللسان مادة نكث.
(٣) ينظر تفسير القرطبي ٨/٨١.
(٤) ينظر تلخيص البيان ٥٨.
(٥) سورة التوبة/٢٩.
(٦) ينظر التفسير ١٨٤.
(٧) تفسير الطبري ١٠/٧٧.
(٨) ينظر تفسير القرطبي ٨/١٠٥.
(٩) المصدر السابق، نفس الموضع.

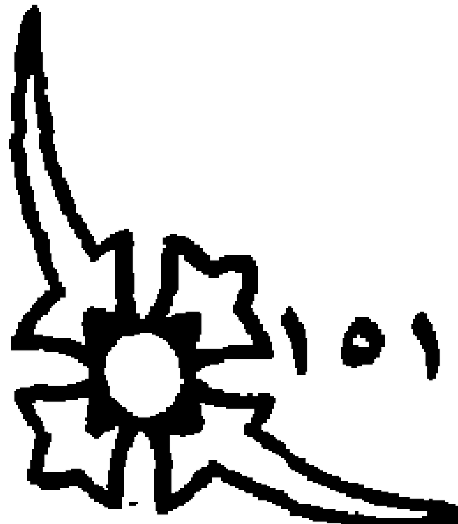
المعطي أو يد الآخذ. فإن أريد بها يد المعطي فالمعنى أنهم يعطوها عن يد مؤاتية غير ممتنعة، أو يعطوها نقداً وليس نسيئة ولا مبعوثاً بها، بل من يد المعطي إلى يد الآخذ. وإن أريد بها يد الآخذ، فالمعنى أنهم يعطوها عن يد قاهرة مستولية، أو عن إنعام عليهم، فقبول الجزية وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم.(١)

وقيل إن معنى عن يد أي عن قهر وذل واستسلام، كما يقال اليد في هذا لفلان، أي الأمر نافذ لفلان. وقيل كل من أطاع لمن قهره فأعطاها عن غير طيبة نفس فقد أعطاها عن يد، وقيل يمشون بها ولا يجيئون بها ركباناً ولا يرسلون بها،(٢) وعلى ذلك يجري هذا المصطلح على الاستعارة، لأن اليد استعيرت في هذا للدلالة على هذه المعاني المختلفة التي لخصناها "والمراد فيها حتى يعطوا الجزية عن خشوع وضراعة، وذل واستكانة، كما تقول أعطى فلان بيده إذا سلّم واستسلم، وقيل في ذلك أيضاً حتى يعطوها عن يد منكم أي عن نعمة منكم عليهم في حقن دمائهم وقبول الجزية".(٣)

١٤١- ﴿ وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ﴾(٤)

يقال وضع البعير إذا عدا وأوضعته أنا إذا حملته عليه.(٥) ومعنى الآية لساروا بينكم أو لأسرعوا بالفتن والنمائم وإفساد ذات البين.(٦) وأصل الخلال الفرج بين القوم في الصفوف وغيرها،(٧) وإنما استعير الإيضاع

(١) الكشاف ٢/٣٥.
(٢) ينظر اللسان والتاج مادة يدي.
(٣) تلخيص البيان ٥٩.
(٤) سورة التوبة/٤٧.
(٥) اللسان مادة وضع.
(٦) ينظر التفسير ١٨٧، وتفسير الطبري ١٠/١٠١، والكشاف ٢/٤٢.
(٧) ينظر تفسير الطبري ١٠/١٠١.



هاهنا لأن الراكب أسرع من الماشي[١] ومثل هذا حديث حذيفة بن أسيد "شر الناس في الفتنة الراكب الموضع" أي المسرع فيها.[٢]

١٤٢- ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾[٣]

يقال قلبت الشيء فانقلب، أي انكبّ وقلبته بيدي تقليباً[٤] وتقليب الأمور النظر فيها وتصريفها، والمراد به في هذه الآية أنهم أجالوا النظر في ما يصلح من الحيل والمكائد ليصرفوك عمّا جاءك من الحق وليصرفوا الناس عنك، وليطلبوا الدين الذي بعثك به الله.[٥]

١٤٣- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾[٦]

أصل اللمز الدفع،[٧] وقيل الطعن والضرب باللسان.[٨] وفي اللسان اللمز: "كالغمز في الوجه تلمزه بفيك بكلام خفي"،[٩] ثم تحوّل المعنى إلى الاغتياب وتتبع المعاب.[١٠] ومن اللغويين من لم يفرّق بين الهمز واللمز كابن السكيت[١١] والزجّاج، فالهُمَزة اللُّمزة عندهما الذي يعيب بالغيب.

---

(١) ينظر الكشاف ٤٢/٢.
(٢) اللسان مادة وضع.
(٣) سورة التوبة/٤٨.
(٤) التاج مادة قلب.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٠٣/١٠، والكشاف ٤٢/٢، وتفسير القرطبي ١٥٧/٨.
(٦) سورة التوبة/٥٨،٧٩ – الحجرات/١١ – الهمزة/١.
(٧) التفسير لابن قتيبة ١٩٠.
(٨) الكشاف ١٥٣/٣.
(٩) مادة لمز.
(١٠) المفردات مادة لمز.
(١١) الذي في إصلاح المنطق قوله: "ورجل هُمزة لُمزة يهمز الناس ويلمزهم أي يعيبهم" ٤٢٨.

وفرّق غيرهما بين المعنيين، فاللمز العيب في الوجه، والهمز العيب بالغيب[1] على أن المعنيين كليهما يرجعان إلى معنى الدفع في اللفظين. فعن الكسائي الهمز واللمز واللهز كلها بمعنى الدفع، والهمز واللمز عند الفراء العيب، وزاد عليهما المرز واللقس والنقس،[2] فقد نظر إلى معنى العيب في هذه الألفاظ المتحوّل من معنى الدفع فيها. وعلى هذا المعنى فسّر قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ أي يعيبك ويطعن عليك.[3] وقد فسّر اللمز في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ بالطعن واللعن والعيب والاغتياب. فعن ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد ابن جبير المعنى لا يطعن، وعن الضحّاك لا يلعن.[4] وقال ابن قتيبة المعنى لا تعيبوا،[5] وقال الطبري: "يقول تعالى ذكره ولا يغتب بعضكم بعضا أيها المؤمنون ولا يطعن بعضكم على بعض".[6]

وأمّا ايقاع اللمز على النفس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾، فقد فسره ابن قتيبة بأن المقصود به إخوانهم من المسلمين لأنهم كأنفسهم.[7] على أن المعنى عند الزمخشري حض النفس على الانتهاء عن عيبها والطعن فيها، لأن "من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة".[8]

---

(١) ينظر اللسان مادة لمز.
(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٣) التفسير لابن قتيبة ١٨٨.
(٤) ينظر تفسير القرطبي ٣٢٧/١٦.
(٥) ينظر التأويل ١٥١، ٣٨٣، والتفسير ٤١٦.
(٦) تفسير الطبري ٨٣/٢٦.
(٧) التأويل ٣٨٣.
(٨) الكشاف ٥٦٦/٣.

١٤٤- ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾(١)

القبض الإنقباض وهو ضد البسط، وأصله في جناح الطائر،[٢] ومعنى الآية أنهم يمسكون أيديهم عن العطاء[٣] والنفقة في سبيل الله والصدقة، فلا يخرجون من أموالهم ما فرض الله فيها من زكاة وما أوجب فيها من حق للسائل والمحروم،[٤] وهو "عبارة عن ترك الجهاد وفيما يجب عليهم من حق".[٥]

١٤٥- ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ ﴾(٦)

السبيل الطريق وما وضح منه،[٧] والمراد بها في هذه الآية العقوبة والمأثم، والمعنى أن العقوبة مستحقة على الذين يريدون أن يتركوا الجهاد معك، ويتخلّفوا ويستأذنونك في ذلك وهم قادرون على الجهاد، وليست على أهل العذر منهم يعني المنافقين.[٨]

١٤٦- ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ﴾(٩)

التربص المكث وانتظار وقوع الشيء خيراً كان أو شراً،[١٠] والدوائر صروف الزمان التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر،[١١] وهي دولة

(١) سورة التوبة/٦٧.
(٢) ينظر اللسان مادة قبض.
(٣) التأويل ١٦٧.
(٤) تفسير الطبري ١٠/١٢٠.
(٥) تفسير القرطبي ٨/١٩٩.
(٦) سورة التوبة/٩٣ – الشورى/٤٢.
(٧) اللسان مادة سبل.
(٨) ينظر تفسير الطبرى ١١/٢، وتفسير القرطبي ٨/٢٣٠.
(٩) سورة التوبة/٩٨.
(١٠) ينظر اللسان مادة ربص.
(١١) ينظر التفسير ١٩١.

وعقبه،[1] والحالة المنقلبة عن النعمة إلى البلية.[2] والمعنى أنهم يمكثون منتظرين أن تدول دولتكم وتؤول حالكم إلى السوء فينقضوا العهد ويتخلصوا مما ألزمهم به الدين الحنيف، من إعطاء الصدقة وغيرها فيجمعون إلى الجهل بالإنفاق سوء الدخلة وخبث القلب.[3]

١٤٧- ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾[4]

للمرد معان منها التدريب والتليين ، ومنها التطاول بالكبر والمعاصي،[5] يقال شيطان مارد ومريد وهو الخبيث العاتي، وتمرد على ربه عتا واعتاد على معصيته.[6]

ومعنى مردوا على النفاق أقاموا عليه ولجّوا فيه واعتادوه متدربين عليه، وتمهروا فيه لطول إقامتهم عليه.[7] وأصل ذلك كله من اللين والملامسة والتجرد، ومنه قولهم "رملة مرداء لا نبت فيها، وغصن أمرد لا ورق عليه، وفرس أمرد لا شعر على ثنيّته، وغلام أمرد بيّن المرد ولا يقال جارية مرداء، وتمريد البناء تمليسه، ومنه قوله صرح ممرد، وتمريد الغصن تجريده من الورق، يقال مرد يمرُدُ مروداً ومرادة".[8]

---

(١) ينظر الكشاف ٥٤/٢

(٢) تفسير القرطبي ٢٣٤/٨.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٤/١١، والكشاف ٥٤/٢، وتفسير القرطبي ٢٣٤/٨.

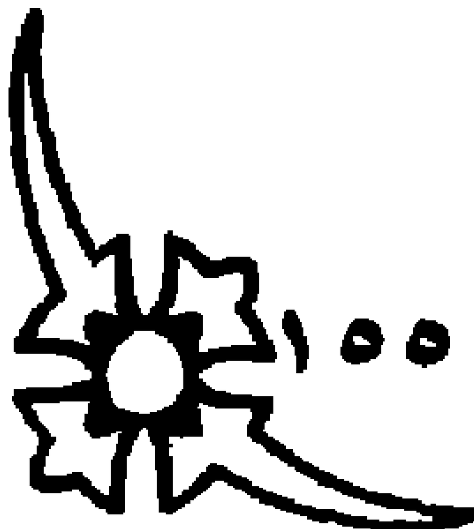
(٤) سورة التوبة/١٠١.

(٥) ينظر اللسان مادة مرد.

(٦) ينظر تفسير الطبري ٨/١١.

(٧) المصدر السابق، نفس الموضع، وينظر الكشاف ٥٥/٢.

(٨) تفسير القرطبي ٢٤١/٨.



١٤٨- ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (١)

القدم هنا السابقة في الأمر والأثرة الحسنة أو التقدم، (٢) وقيل هي المنزلة الرفيعة. وعن ثعلب القدم كل ما قدمت من خير. (٣) وبذلك فسره المفسرون وزاد بعضهم أنه العمل الصالح الذي قدموه، (٤) وأن لهم أجراً حسناً بما قدموه من أعمال صالحة ، وأن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم شفيع لهم. ورجّح الطبري من هذه الأقوال أن معناه "أن لهم أعمالاً صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب وذلك أنه محكيّ عن العرب هؤلاء أهل القدم في الإسلام أي هؤلاء الذين قدموا فيه خيراً فكان لهم فيه تقديم، ويقال له عندي قدم صدق، وقدم سوء وذلك ما قدم إليه من خير أو شر". (٥)

وهذا كله أصله من القدم التي يمشى بها. قال الزمخشري: "فإن قلت لم سُمّيت السابقة قدماً قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً، كما سميت النعمة يداً لأنها تُعطى باليد، وباعاً لأن صاحبها يبوع بها، فقيل لفلان قدم في الخير. وإضافته إلى صدق دلالة على زيادة فضل، وأنه من السوابق العظيمة، وقيل مقام صدق". (٦)

وهذه عند الشريف الرضي استعارة "لأن المراد بالقدم هاهنا السابقة في الإيمان والتقدم في الإخلاص"، (٧) وعند بعضهم تمثيل وتشبيه "كما تقول

---

(١) سورة يونس/٢.
(٢) ينظر اللسان مادة قدم.
(٣) ينظر التاج مادة قدم.
(٤) ينظر التفسير ١٩٤.
(٥) تفسير الطبري ٥٩/١١.
(٦) الكشاف ٦٦/٢.
(٧) تلخيص البيان ٦٧.

العرب قد وضع فلان رجله في الباطل وتخطّى إلى غير الواجب، ومعناه أنه انتقل إلى فعل ذلك كما ينتقل الماشي وإن لم يحرك قدمه ولم ينقل خطاه".[1] وهي عند القرطبي "كناية عن السعي في العمل الصالح، فكنّى عنه بالقدم ، كما يكنّى عن الإنعام باليد وعن الثناء باللسان".[2]

١٤٩- ﴿ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ﴾[3]

اللقاء نقيض الحجاب والاسم منه التلقاء، وقيل هو مصدر لانظير له إلاّ التبيان.[4] ومعنى أنه نقيض الحجاب أنه ما يواجهك من الشيء فلا يخفى عليك. وقد توسعوا في هذا المصدر فاستعملوه ظرفاً منصوباً على الظرفية، أو مجروراً بمن ككثير من الظروف بمعنى من جهة اللقاء والمقابلة. فيقال توجه تلقاء النار وتلقاء فلان وجلست تلقاءه أي حذاءه.[5] وعلى هذا يكون معنى من تلقاء نفسي في الآية من عند نفسي،[6] أي لا يحق لي أن أبدله وآتي بغيره من عند نفسي من غير أن يأمرني به ربي.[7]

---

(١) تلخيص البيان ٦٨.
(٢) تفسير القرطبي ٣٠٧/٨.
(٣) سورة يونس/١٥.
(٤) اللسان مادة لقى.
(٥) التاج مادة لقى.
(٦) ينظر تفسير الطبري ٦٧/١١.
(٧) ينظر الكشاف ٦٩/٢.

١٥٠- ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[١]

الإفاضة في الأصل الصب فاستعيرت للدفع في السير، وأصله أفاض نفسه أو راحلته،[٢] وأفاض القوم في الحديث اندفعوا وانتشروا وخاضوا وأكثروا.[٣] ومعناه في الآية أنكم تأخذون فيه،[٤] وعن ابن عباس تفعلونه وعن غيره تشيعون فيه الكذب،[٥] أو تندفعون،[٦] أو تتكلمون أو تخوضون أو تنشرون القول،[٧] والهاء تعود إلى العمل المذكور في الآية أو إلى القرآن.[٨]

١٥١- ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾[٩]

اللفت ليّ الشيء عن جهته، كما تقبض على عنق إنسان فتلفته.[١٠] ويخرج إلى معنى الصرف، فيقال "لفته عن الشيء يلفته لفتاً صرفه".[١١] وهذا هو معناه في الآية، أي أجئتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا،[١٢] والإلتفات من هذا لأنه إنصراف أو عدل عن الجهة التي بين اليدين.[١٣]

---

(١) سورة يونس/٦١ – النور/١٤ – الأحقاف/٨.
(٢) التاج مادة فيض.
(٣) ينظر اللسان مادة فيض.
(٤) التفسير ١٩٧.
(٥) تفسير الطبري ١١/٩٠.
(٦) الكشاف ٢/٧٩.
(٧) ينظر تفسير القرطبي ٨/٣٥٦.
(٨) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٩) سورة يونس/٧٨.
(١٠) التاج مادة لفت.
(١١) اللسان مادة لفت.
(١٢) ينظر التفسير ١٩٨، وتفسير الطبري ١١/١٠١، والكشاف ٢/٨٢.
(١٣) ينظر تفسير القرطبي ٨/٣٦٧.



١٥٢- ﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (١)

معنى الشدة في الأصل الصلابة نقيض اللين، لذا يقال شدّ الله ملكه أي قوّاه.(٢) واختلف في توجيه الشد في الآية، فقيل معنى اشدد على قلوبهم اجعلها قاسية.(٣) وقيل المعنى اطبع عليها واستوثق منها،(٤) والمعنى واحد إن طبع عليها أو أصبحت قاسية، فإنها لا تنشرح للإيمان ولا تدخلها التقوى.(٥) وقيل المراد تثقيل العقاب على القلوب بالإيلام لها ومضاعفة الغم والكرب عليها. وهذه استعارة على ذلك كله، سواء أريد بها الطبع أو التقسية أو مضاعفة العقاب.(٦)

١٥٣- ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ (٧)

المقصود بالإقامة هنا التقويم بمعنى الاعتدال، أي اجعل وجهك معتدلاً نحو الدين غير ملتفت إلى غيره، وسدده نحو الوجه الذي وجّهك إليه ربك يا محمد لطاعته وهي الدين.(٨) وخص الوجه بالذكر لأن فيه حواس الإنسان وعقله وهو أشرف أعضائه.(٩)

وهذا تمثيل أي استعارة عند الزمخشري، والمراد إقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه. ذلك لأن الذي يهتم بالشيء يعقد عليه طرفه ويسدد إليه نظره ويقوّم له وجهه مقبلاً به عليه.(١٠)

---

(١) سورة يونس/٨٨.
(٢) اللسان مادة شدد.
(٣) ينظر التفسير ١٩٨، وتفسير الطبري ١١/١٠٩.
(٤) ينظر تفسير الطبري ١١/١٠٩، والكشاف ٢/٨٤، والتاج مادة شدد.
(٥) ينظر تفسير القرطبي ٨/٣٧٤.
(٦) تلخيص البيان ٧١.
(٧) سورة يونس/١٠٥ – الروم/٤٣،٣٠.
(٨) ينظر تفسير الطبري ٢١/٢٦، والكشاف ٣/٢٢٢، وتفسير القرطبي ١٤/٢٤.
(٩) ينظر تفسير القرطبي، نفس الموضع.
(١٠) الكشاف ٣/٢٢٢.

وجوز الشريف الرضي معنىً آخر من إقامة الوجه هنا وهو إقامته نحو القبلة التي هي الكعبة.[1] والصحيح المعنى الأول بدليل النص في الآية على أن تكون إقامة الوجه للدين.

١٥٤- ﴿ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾[2]

الغشاوة ما يغطى به الشيء، واستغشى الثياب تغطّى بها وهذا هو معنى استغشاء الثياب في الآية أي حين يستترون بها ويتغطون.[3] وفي اللسان "قيل إن طائفة من المنافقين قالوا إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كيف يعلم بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.[4] وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾أي تغطوا بها لئلا يسمعوا دعائي،[5] فهو زيادة في سد الآذان بعد أن سدوها بأصابعهم أو في تنكيرهم أنفسهم حتى يسكت، أو ليعرّفوه إعراضهم عنه.[6]

ومن العلماء من يرى في هذا القول كناية، إمّا عن العَدْو كما يقال شمّر ذيلاً وألقى ثوبه، ونقله الراغب،[7] وإمّا عن العداوة كما يقال لبس لي فلان ثياب العداوة، نقله القرطبي.[8]

---

(١) تلخيص البيان ٧١.
(٢) سورة هود/٥ – نوح/٧.
(٣) التفسير لابن قتيبة ٢٠٢.
(٤) مادة غشا.
(٥) تفسير الطبري ٥٨/٢٩.
(٦) تفسير القرطبي ٣٠٠/١٨.
(٧) المفردات مادة غشا.
(٨) تفسير القرطبي ٣٠٠/١٨.

١٥٥- ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ [١]

تأتي الأمة بمعان كثيرة، منها القرن من الناس، والجيل والجنس من كل حي، والحين.[٢] والمعنى في الآية وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [٣] بعد حين من الدهر.[٤] وعلى هذا المعنى أكثر المفسرين.[٥]

١٥٦- ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ [٦]

للمفسرين والنحاة في هذه العبارة رأيان، فمنهم من يقول إنها عبارة واحدة بمعنى لا بد ولا محالة ولا منع ولا صد ولا قطع، ولذلك استُعملت في مواضع اليمين بدليل قول العرب (لا جرَم لآتينك، لا جرَم لقد أحسنت) فأكد المضارع بعدها بالنون والماضي باللام وقد، كما يُفعل في جواب القسم،[٧] ولذلك قالوا إن معناها حقاً.[٨] وقد كثر استعمالها في مواضع التحقيق فقالوا "لا جرم ليقومن بمعنى حقاً ليقومن فمعنى الكلام لا منع عن أنهم ولا صد عن أنهم".[٩]

ومنهم من يقول إنها ليست عبارة واحدة، بل إن (لا) ردّ لما قبلها وأن جرم بمعنى كسب أو وجب، فـ(لا) نفي لما قبلها ثم يُبتدأ بـ(جرم).

---

(١) سورة هود/٨ – يوسف/٤٥.
(٢) ينظر اللسان مادة أمم.
(٣) وقرئت بعد أَمَة أي بعد نسيان. ينظر التأويل ٤٠ ، والتفسير ٢١٨.
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٤٧.
(٥) ينظر التأويل ٤٠، والتفسير ٢٠٢، وتفسير الطبري ١١٣٤/١١٢.
(٦) سورة هود/٢٢- النحل/٢٣،٦٦،١٠٩- غافر/٤٣.
(٧) ينظر اللسان مادة جرم.
(٨) التفسير لابن قتيبة ٢٠٢.
(٩) تفسير الطبري ١٢/١٥،١٦.

والمعنى في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ ليس الأمر كما قـالوا وجبت لهم النار، وهذا يُفهم من كلام سيبويه، إذ يقول: "إن جرم عملـت لأنها فعل ومعناها لقد حق أن لهم النار، وقول المفسرين: معناها حقـاً أن لهم النار يدلك على أنها بمنزلة هذا الفعل إذا مثلت، فجرم عملت بعدُ في أنّ".[1] وليس صحيحاً ما نسبه القرطبي إلى سيبويه والخليل حين قال "لا جرم عندهما كلمة واحدة".[2] لأن سيبويه أكد على أن الفعل هـو الـذي عمل. وعند الزجّاج أن فاعل جرم مقدّر وأنّ وما بعـدها فـي موضـع نـصب، والمعنـى فـي قولـه تعـالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾[3] أي كسب ذلك الفعل لهم الخسران، كما تقول كـسب جفاؤك زيدا غضبه عليك.[4]

١٥٧- ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[5]

أصله من الخبت وهو المطمئن مـن الأرض،[6] ومعنـاه التواضـع والوقار أي تواضعوا إلى ربهم.[7] وقيل معناه أيضاً أنابوا إلى ربهـم أو خافوا أو اطمأنوا أو خشعوا.[8] قال الطبري: "وهـذه الأقـوال متقاربـة المعاني وإن اختلفت ألفاظها لأن الإنابة إلى الله مـن خـوف الله ومـن

---

(١) الكتاب ١٣٨/٣، وينظر اللسان مادة جرم.
(٢) تفسير القرطبي ٢٠/٩.
(٣) سورة هود/٢٢.
(٤) ينظر تفسير القرطبي ٢٠/٩.
(٥) سورة هود/٢٣ – الحج/٥٤،٣٤.
(٦) ينظر اللسان مادة خبت.
(٧) التفسير لابن قتيبة ٢٠٢.
(٨) ينظر تفسير الطبري ١٦/١٢.

الخشوع والتواضع لله بالطاعة والطمأنينة إليه من الخشوع لـــه".[1] وقـــد أصبح الإخبات والخبتة بعد ذلك بمعنى التواضع، وأمـــا قولـــه تعـــالى: ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾ فالمعنى أقرب إلى الخشوع وإن تقارب المعنيان.[2]

١٥٨- ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾[3]

بادي الرأي قرأه عامة القرّاء بدون همز وحقّق أبو عمرو الهمـــز،[4] ومن قرأه بدون همز فمعناه ظاهر الرأي أي كما بدا لنا مـــن أن الـــذين اتبعوك هم أراذلنا.[5] أو كما عنّ لهم من غير رويّة ونظر.[6] ولا يختلف المعنى كثيراً في قراءة من حقّق الهمز، إلاّ أنه هنا بمعنى في بادىء الأمر أي ابتداءا، ولو أمعنوا النظر وحققوا فيه لما فعلوا ذلك.[7]

١٥٩- ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[8]

فُسِّر قوله تعالى بأعيننا بمرأى منـــا وحفـــظ،[9] وعـــن ابن عبـــاس بحراستنا.[10] قال القرطبي: "والمعنـــى واحد فعبّر عن الرؤية بالأعين لأن

(١) ينظر تفسير الطبري ١٦/١٢ . وينظر الكـشاف ٩٤/٢، وتفـسير القرطبـي ٢١/٩.
(٢) ينظر التاج مادة خبت.
(٣) سورة هود/٢٧.
(٤) ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ٥٢٦/١.
(٥) ينظر التفسير ٢٠٣، وتفسير الطبري ١٧/١٢.
(٦) الكشاف ٩٥/٢.
(٧) قال الزمخشري: انتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول رأيهم أو وقـت حدوث ظاهر رأيهم ٩٥/٢.
(٨) سورة هود/٣٧ – المؤمنون/٢٧ – الطور/٤٨ – القمر/١٤.
(٩) التفسير لابن قتيبة ٤٣٢.
(١٠) تفسير القرطبي ٣٠/٩.

الرؤية تكون بها". وقيل بأعين ملائكتنا، فعلى المعنى الأول يكون الجمع للتعظيم لا للتكثير، وعلى المعنى الثاني يكون للتكثير.[١] وقيل معنى بأعيننا بعلمنا أو بأمرنا أو بوحينا أو بمعونتنا لك على صنعها.[٢]

وقال بعض المفسرين المعنى "بإشفاقنا عليك، واحتج بقوله تعالى ولتصنع على عيني أي لتغذى بإشفاقي. وتقول العرب على عيني قصدت زيداً يريدون الإشفاق".[٣]

وقال ثعلب في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ "لتربى من حيث أراك"[٤] وعن ابن الأنباري: "قال أصحاب النقل والأخذ بالأثر الأعين يريد به العين، قال وعين الله لا تفسر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحداً أن يقول كيف هي أو ما صفتها".[٥]

وقال الزمخشري "كأن الله معه أعيناً تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب، وأن لا يحول بينه وعمله أحد من أعدائه".[٦]

وهذه استعارة عند الشريف الرضي "كما يقول القائل (أنا بعين الله) أي بمكان من حفظ الله. ومن كلامهم للظاعن المشيع والحميم المودع صحبتك عين الله أي رعايته وحفظه".[٧]

وهي عندنا على الكناية لأن العين التي تبصر هي التي ترعى وتحفظ. وإنما خاطب الله العرب بأساليبهم وطرق كلامهم.

---

(١) تفسير القرطبي ٩/ ٣٠

(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٣) اللسان مادة عين.

(٤) نفس المصدر والمادة.

(٥) نفس المصدر والمادة.

(٦) الكشاف ٢/٩٧.

(٧) تلخيص البيان ٧٥.

١٦٠- ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾[١]

في التنور أقوال، منها أنه وجه الأرض وهذا قول الإمام علي كرّم الله وجهه، وعنه أيضاً أنه تنوير الصبح، أو هو المخبز. وقيل هو عين الماء وكل مفجر ماء تنور. وقيل هو عين ماء بالجزيرة وهي عين الوردة عن ابن عباس.[٢] وعن قتادة أن تنور الأرض هو أشرفها، والتنور أيضاً محفل ماء الوادي وتنانير الوادي محافله.[٣] ورجح الطبري أن المقصود به هو التنور الذي يخبز به وهو المشهور في كلام العرب، قال: "وكلام الله لا يُوَجّه إلاّ إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب إلاّ أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها".[٤]

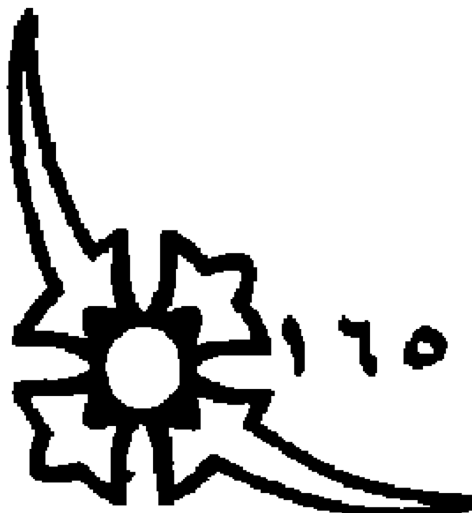
ومعنى فار التنور وصل الأمر غايته وهو تمثيل لحضور العذاب كقولهم حمي الوطيس، ويقال فارت قدر القوم إذا اشتد حربهم.[٥]

١٦١- ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾[٦]

الناصية قصاص الشعر في مقدم الرأس، أو هي منبت ذلك الشعر.[٧] ومعنى الأخذ بالناصية القهر والإذلال. فكل دابة تحت قهره وسلطانه وفي قبضته.[٨] وأمّا قوله تعالى: ﴿ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ ففيه دلالة على

---

(١) سورة هود/٤٠ – المؤمنون/٢٧.
(٢) معجم البلدان ٤/١٨٠.
(٣) ينظر اللسان والتاج مادة تنر.
(٤) تفسير الطبري ١٢/٢٥.
(٥) ينظر تفسير القرطبي ٩/٣٤.
(٦) سورة هود/٥٦ – الرحمن/٤١.
(٧) ينظر اللسان مادة نصا.
(٨) ينظر الكشاف ٢/١٠٣ ط. البابي الحلبي.



هذا المعنى أيضا وهو القهر والإذلال. فهم إنما يفعل ذلك بهم اي يجرّون الى النار بنواصيهم وأرجلهم.[1]

وهذا يشبه قوله تعالى على لسان هارون ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾.[2] وهو أيضا جارٍ على سبيل الكناية، لأن القهر والإذلال يتأتيان من جرّ الرأس واللحية.

١٦٢- ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[3]

الذرع أن يذرع البعير يده إذا مدّها في السير،[4] وحمل الذرع من ذلك على الطاقة، ومعنى الآية "ضاقت نفسه غمّا بمجيئهم".[5] والأصل فيه ان يمد البعير ذراعيه في السير على قدر طاقته ويضيق ذرعه كلما ازداد حمله فيبطر ويمد عنقه.[6] وقيل إن وجه التمثيل في هذا المعنى أن القصير الذراع لا ينال ما يناله طويلها،[7] وقيل في توجيه معنى ضاق ذرعا هو من ذرعه القيء إذا غلبه.[8] والأصل الأول وهو أنه مأخوذ من ذرع البعير هو الوجه. إذ يقال أيضا ضاق به ذراعا. والمعنى كله عبارة عن قلة الحيلة والكره وضعف الطاقة.

---

(١) ينظر التأويل لابن قتيبة ١٥٥.
(٢) ينظر المصطلح ١١٠.
(٣) سورة هود/٧٧ – العنكبوت/٣٣.
(٤) ينظر اللسان مادة ذرع.
(٥) تفسير الطبري ١٢/٤٩.
(٦) ينظر اللسان مادة ذرع.
(٧) ينظر التاج مادة ذرع.
(٨) ينظر تفسير القرطبي ٩/٧٤.

١٦٣- ﴿ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ ﴾ [١]

معنى الآية أنكم لم تلتفتوا إلى ما جئتكم به عن الله تعالى واستخففتم به.[٢] وأصل الظهري[٣] أن يتخذ الجمّال بعيراً أو بعيرين لا يحمل عليهما شيئا ويجعلهما وراء ظهره احتياطاً لعله يحتاج إليهما أثناء السفر.[٤] ثم تحول المعنى إلى النسيان والاستهانة، إذ يقال للشيء الذي لا يعنى به قد جعلت هذا الأمر بظهر ورميته بظهر. وقولهم لا تجعل حاجتي بظهر أي لا تنسها.[٥] ثم أصبح الاستظهار لهذا بمعنى الاحتياط في كل شيء.[٦]

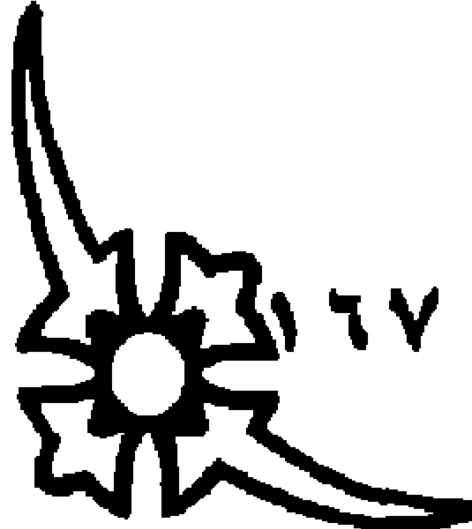
وهذه عند الشريف الرضي استعارة، لأن الآية حكاية عن شعيب عليه السلام، وإنما أراد به أمر الله "لأن الله سبحانه لا يجوز عليه أن يجعل ظهرياً على الحقيقة".[٧]

١٦٤- ﴿ نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [٨]

اختُلف في المراد بتثبيت الفؤاد في آيتي سورة هود وسورة الفرقان، فقالوا في تفسير آية السورة الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ المراد بتثبيت الفؤاد هنا تسكين القلب، "ليس للشك ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر على القلب، كان القلب أسكن وأثبت أبداً، كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ ﴾".[٩]

---

(١) سورة هود/٩٢.
(٢) التفسير ٢٠٩، وتفسير الطبري ١٢/٦٤.
(٣) قال ابن سيده في ما نقله عنه صاحب اللسان (مادة ظهر) كأنه نسبها إلى الظهر على غير قياس، كما قالوا في النسب إلى البصرة بصري.
(٤) ينظر تفسير الطبري ١٢/٦٥.
(٥) ينظر الكشاف ٢/١١٣، واللسان مادة ظهر.
(٦) ينظر التاج مادة ظهر.
(٧) تلخيص البيان ٧٩.
(٨) سورة هود/١٢٠ – الفرقان/٣٢.
(٩) سورة البقرة ٢٦٠، واللسان مادة ثبت.



وأمّا آية سورة الفرقان، وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ فالمراد بتثبيت الفؤاد فيها تقويته وتشجيعه تصحيحا للعزيمة واليقين.[١] "لأن (المتلقن) إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شيء وجزءاً عقيب جزء".[٢]

وهذه الآية رد على الذين أنكروا على القرآن أن ينزل مفرقاً. والخطاب في الآيتين للرسول صلى الله عليه وسلم، والمراد به هو والمؤمنون كما يقول ابن قتيبة "وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتخوّل أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم، أي يتعهدهم بها عند الغفلة ودثور القلوب".[٣]

١٦٥- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾[٤]

معنى الآية أن أنفسكم زيّنت لكم فعلكم وسهّلته عليكم[٥] وأصل التسويل من السول وهو الإسترخاء،[٦] فمنه يأتي معنى التسهيل، أو هو الأمنية التي تزيّن لصاحبها فعل الباطل وغيره من أمور الدنيا،[٧] فتدفعه إلى أن يقتحم ما لا ينبغي ويفعل ما لا يسوغ. ذلك أن هذا من قول يعقوب حين عاد أخوة يوسف بدونه مدّعين أن الذئب أكله، وحين عادوا مرة أخرى بدون أخيه، فكأنه قال إن أنفسكم قد زيّنت لكم أمراً غير محمود بشأنهما وسهلته لكم ففعلتموه. وجعل النفس تزيّن أو تسهّل يدخل في باب الاستعارة كما عدّها الشريف الرضي.[٨]

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٨/١٩.
(٢) الكشاف ٩١/٣، وينظر تفسير القرطبي ٢٨/١٣.
(٣) التأويل ٢٣٢.
(٤) سورة يوسف/١٨،٨٣ – طه/٩٦ – محمد صلى الله عليه وسلم/٢٥.
(٥) التفسير ٢١٣، وتفسير الطبري ٩٨/١٢ ، والكشاف ١٢٧/٢.
(٦) الكشاف ١٢٧/٢.
(٧) اللسان والتاج مادة سول.
(٨) ينظر تلخيص البيان ٨٣.

١٦٦- ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾[١]

اختلف في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ باختلاف توجيه الضمير. فالذي يذهب إلى أن الهاء في أمره تعود إلى الله تعالى، قال المعنى أنه (فعّال)[٢] "ولا يمنع عمّا يشاء ولا يُنازع ما يريد ويقضي"،[٣] أي "لا يغلب الله شيء بل هو الغالب على أمر نفسه في ما يريده أن يقول له: كن فيكون".[٤]

والذي يذهب إلى أن الهاء تعود إلى يوسف قال إن المعنى إن الله مستولٍ على أمر يوسف يسوسه ويدبره ويحوطه، وهو يدبره ولا يكل أمره إلى غيره، وإن كان اخوته قد أرادوا له ما أرادوا فقد نجاه الله من كيدهم.[٥]

والمعنيان فيهما معنى الغلبة والسيادة، وأن الله صاحب الأمر إذا قدّر شيئاً فإنما يقول له كن فيكون. وهذا المعنى يصح أيضاً في قوله تعالى في مكان آخر: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾[٦] سواء أكان الضمير هنا يعود إلى الذين أم إلى أهل الكهف أنفسهم. قال ابن قتيبة تعقيباً على هذه الآية يعني المطاعين والرؤساء.

---

(١) سورة يوسف/٢١ - الكهف/٢١.

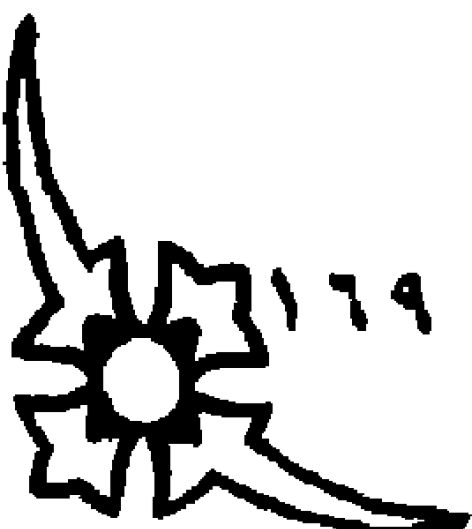
(٢) تفسير الطبري ١٢/١٠٥.

(٣) الكشاف ٢/١٢٩.

(٤) تفسير القرطبي ٩/١٦٠.

(٥) ينظر تفسير الطبري ١٢/١٠٥، والكشاف ٢/١٢٩، وتفسير القرطبي ٩/١٦١.

(٦) سورة الكهف/٢١.



١٦٧- ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [١]

أصل الرود الطلب أو الذهاب والمجيء، يقال راد يرود إذا جاء وذهب ولم يطمئن[٢] وفيه معنى الرفق والتأنّي.[٣] وعلى هذا تكون المراودة بمعنى المراجعة والمرادة، وراودته عن الأمر، وعليه داريته.[٤]

وفي القرآن الكريم يُقصد إلى هذا المعنى إذا لم تتعد المراودة إلى النفس كما في قوله تعالى: ﴿سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ [٥] وتتخصص المراودة بطلب الجماع إذا تعدّت إلى النفس كما في الآية الأولى.[٦] ويكون ذلك بالمخادعة والاحتيال والتجمل.[٧]

١٦٨- ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [٨]

معنى هيت لك: هلم وأقبل، تقول العرب هَيْت لك وهِيت لك،[٩] والأصل فيه حكاية الصوت فهم يقولون في الدعاء والنداء ياه ياه، وهو نداء الراعي لصاحبه من بعيد.[١٠] ويقال هيّت لفلان إذا قال هيت لك.[١١]

---

(١) سورة يوسف/٢٣، ٢٦، ٣٠، ٣٢، ٥١، ٦١ – القمر/٣٧.
(٢) التاج مادة رود.
(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٦٢/٩.
(٤) التاج مادة رود.
(٥) سورة يوسف/٦١.
(٦) ينظر تفسير الطبري ١٠٦/١٢، واللسان مادة رود.
(٧) ينظر الكشاف ١٢٩/٢.
(٨) سورة يوسف/٢٣.
(٩) اللسان مادة هيت.
(١٠) التاج مادة هيت.
(١١) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢١٥.

وقراءة هيت لك بفتح الهاء والتاء هي قراءة عامة القرّاء ومعناه كما أسلفنا هلمّ وأقبل، وزاد الطبري (أدن وتقرّب) وقد قرئت هئت بكسر الهاء وضم التاء والهمز،[1] أي تهيأت لك. يقال هاء يهيء إذا تهيأ.[2]

١٦٩- ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[3]

معنى شغفها حبا أي بلغ حبه شغافها.[4] فدخل تحته حتى غلب على قلبها.[5] وقال ابن عباس علقها وغلبها حبا، وقيل بطنها حبا، وصدقها حبا.[6]

وهذا كله مشتق من الشغاف وهو "غلاف القلب، وهو جلدة دونه كالحجاب وسويداؤه".[7] والعرب تشتق من أعضاء الجسم أفعالا تدل على إصابة ذلك العضو، كما قالوا "كبدته إذا أصبت كبده، وبطنته إذا أصبت بطنه".[8] وقد قرئت الآية قد شعفها حبا بالعين المهملة "من شعف البعير إذا هنأه بالقطران".[9] وهذه كما يقول الشريف الرضي استعارة "والمراد بها أن حبه تغلغل إليها حتى أصاب شغافها وهو غشاء قلبها".[10]

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٢/١٠٦.
(٢) الكشاف ٢/١٢٩.
(٣) سورة يوسف/٣٠.
(٤) التفسير لابن قتيبة ٢١٥.
(٥) تفسير الطبري ٢/١١٧.
(٦) المصدر السابق ١١٨.
(٧) اللسان مادة شغف.
(٨) التفسير لابن قتيبة ٢١٥.
(٩) الكشاف ٢/١٣٣.
(١٠) تلخيص البيان ٨٤.

١٧٠- ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ (١)

معنى أصبو إليهن: أمل إليهن وأطاوعهن فيما يردن من فتنة ومعصية، يقال: "صبا فلان إلى فلانة وصبا لها يصبو صباً منقوص، وصبوة أي مال إليها".(٢)

١٧١- ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾(٣)

معنى الآية: إن كنتم تفسرونها وتخبرون بما يؤول إليه أمرها.(٤) وأصل هذا المعنى إمّا من (العابر) الذي ينظر في الكتاب فيعبره أي يعتبر بعضه ببعض حتى يقع فهمه عليه، وإمّا من (العِبْر) وهو جانب النهر.(٥) قال الزمخشري: "وحقيقة عبرت الرؤيا: ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه".(٦)

١٧٢- ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾(٧)

معنى أضغاث أحلام، أي إنها أخلاط من أحلام مختلفة منها ما يسر ومنها ما لا يسر، وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان.(٨) والضغث إلتباس الشيء بعضه ببعض.(٩) والضغث من الخبر والأمر ما

---

(١) سورة يوسف/٣٣.
(٢) اللسان مادة صبا، وينظر تفسير الطبري ١٢/١٢٥، والكشاف ٢/١٣٦، وتفسير القرطبي ٩/١٨٥.
(٣) سورة يوسف/٤٣.
(٤) ينظر اللسان مادة عبر.
(٥) التاج مادة عبر.
(٦) الكشاف ٢/١٤٠، وينظر تفسير القرطبي ٩/٢٠٠.
(٧) سورة يوسف/٤٤ – الأنبياء/٥.
(٨) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢١٧، وتفسير الطبري١٢/١٣٤، والكشاف ٢/١٤٠.
(٩) اللسان مادة ضغث.

كان مختلطاً لا حقيقة له. وأصل هذا من أضغاث البيوت المختلفة التي يختلط بعضها ببعض فلم تتميّز مخارجها ولم يستقم تأويلها.

أو من الضغث الذي هو قبضة من قضبان مختلفة يجمعها أصل واحد مثل الأسل والكراث والثمام.[١]

وهذه عند الشريف الرضي أبلغ استعارة وأحسن عبارة "شبه سبحانه اختلاط الأحلام وما يراه الإنسان من المحبوب والمكروه والمساءة والسرور باختلاط الحشيش المجموع من أخياف عدة وأصناف كثيرة".[٢]

١٧٣- ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾[٣]

للمفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ مذاهب تبعاً لاختلافهم في أصل الحصحصة.فمنهم من قال إن المعنى وضح وتبيّن،[٤] وأصل ذلك من حصحصت التراب وغيره إذا حركّته وفحصته يميناً وشمالاً.[٥] وقيل الحصحصة الحركة في شيء، وقيل هو تحريك الشيء وتقليبه وترديده.[٦] وقال الطبري: "إن أصل الحصّ استئصال الشيء، يقال منه حصّ شعره إذا استأصله جزّاً، وإنما أُريد في هذا الموضع حصحص الحق ذهب الباطل والكذب فانقطع، وتبيّن الحق فظهر".[٧]

وقال الراغب وضح وذلك بانكشاف ما يضمره،[٨] ومنهم من يقول إن المعنى "ثبت واستقر وأصله من قولهم حصحص البعير إذا ألقى ثفناته

(١) اللسان مادة ضغث، وينظر تفسير الطبري ١٢/١٣٤، والكشاف ٢/١٤٠، وتفسير القرطبي ٩/٢٠٠.
(٢) تلخيص البيان ٨٤.
(٣) سورة يوسف/٥١.
(٤) التفسير لابن قتيبة ٢١٨، وينظر تفسير الطبري ١٢/١٤٠.
(٥) اللسان مادة حصص.
(٦) التاج مادة حصص.
(٧) تفسير الطبري ١٢/١٤٠.
(٨) المفردات مادة حصص، وينظر التاج، نفس المادة.

للإناخة".[1] ومنهم من يقول إن المعنى "مشتق من الحصة، فالمعنى بانت حصة الحق من حصة الباطل".[2]

١٧٤- ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾[3]

المعنى خرجت[4] من البلد وابتعدت، يقال: "فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه"[5] وكأن هذا المعنى أصله من قولهم فصل الكرم إذا خرج حبّه صغيراً كالبلسن،[6] وعلى هذا المعنى الحديث الشريف:"(من فصل في سبيل الله فمات أو قُتل فهو شهيد) أي خرج من منزله وبلده".[7]

١٧٥- ﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ ﴾[8]

النزغ "شبه الوخز والطعن"،[9] ونزغ الرائض دابته إذا نخسها وحملها على الجري.[10] ومعنى الآية من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين

---

(١) الكشاف ٢/١٤١، وهذا المعنى عنده متأت من قراءة حصحص بالبناء للمفعول.
(٢) تفسير القرطبي ٩/٢٠٨.
(٣) سورة يوسف/٩٤.
(٤) تفسير الطبري ١٣/٣٨.
(٥) الكشاف ٢/١٥٤.
(٦) ينظر التاج مادة فصل.
(٧) الحديث في سنن أبي داؤود برقم ٢٤٩٩ جـ٢ ص ١٢ وينظر اللسان مادة فصل.
(٨) سورة يوسف/١٠٠ – الإسراء/٥٣.
(٩) اللسان مادة نزغ.
(١٠) ينظر الكشاف ٢/١٥٥.



اخوتي.[١] وجهل بعضنا على بعض[٢] وذلك بالوسوسة والإغراء، والنخس في القلب بما يزيّن للإنسان معاصيه والإغراء بالأخوّة وحمل بعضهم على بعض.

١٧٦- ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾[٣]

البسط نقيض القبض وهو أصلاً النشر، وما عداه يتفرّع عليه.[٤] ومعنى يبسط الرزق لمن يشاء أي يوسّع عليه.[٥] ومن أسماء الله الحسنى (الباسط).

١٧٧- ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾[٦]

طوبى فعلى من الطيب، وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾،فقالوا معناها نعم مالهم، أو غبطة لهم، أو فرح وقرّة عين، أو حسنى لهم، أو خير لهم، أو الجنة لهم. لأن طوبى اسم من أسماء الجنة أو شجرة فيها.[٧] قال الزمخشري: "المعنى أصبت خيراً وطيباً"،[٨] وعند سيبويه أن الآية دعاء.[٩]

---

(١) ينظر التفسير لابن قتيبة ١٧٦.

(٢) تفسير الطبري ١٣/٤٧.

(٣) سورة الرعد/٢٦ -الإسراء/٣٠- القصص/٨٢- العنكبوت/٦٢- الروم/٣٧- سبأ/٣٦،٣٩- الزمر/٥٢ - الشورى/١٢،٢٧.

(٤) ينظر اللسان والتاج مادة بسط، ومصطلح ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾

(٥) التفسير ٢٥٤.

(٦) سورة الرعد/٢٩.

(٧) ينظر تفسير الطبري ١٣/٩٨،٩٩.

(٨) الكشاف ٢/١٦٦.

(٩) الكتاب ١/٣٣١، وينظر اللسان مادة طيب.

١٧٨- ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[١]

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية باختلاف توجيههم لمعنى أيديهم فيها، فمنهم من قال إن الأيدي هنا محمولة على الجوارح، ومنهم من قال إن معنى الأيدي هو النعم. فالذين قالوا إن الأيدي محمولة على الحقيقة، أي هي الجوارح التي في الأبدان ذهبوا في توجيه المعنى مذاهب، فمنهم من قال إن المعنى أنهم عضّوا على أصابعهم تغيّظاً عليهم وضجراً منهم في دعائهم إياهم إلى ما دعوهم إليه، وردّ آخرون المعنى إلى التعجب مما سمعوا من كتاب الله، وذهب آخرون إلى أن الكفار ردّوا أيديهم إلى أفواه الرسل ردّاً عليهم وتكذيباً لهم وإشارة لهم بالسكوت، وقال آخرون إنه مثل يراد به أنهم كفّوا عمّا أُمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا. والعرب تقول للرجل إذا أمسك عن الجواب وسكت قد ردّ يده في فيه.[٢]

والذين ذهبوا إلى أن المقصود بالأيدي هنا النعم، قالوا إن المعنى أن هؤلاء الكفار "ردّوا نعم الأنبياء التي هي أجلّ النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردّوها في أفواههم ورجعوها منه".[٣]

وحمل المعنى على أن الأيدي هي النعم وهي حجج الأنبياء ومواعظهم يعدّه الشريف الرضي من باب الاستعارة "لأن المراد بذلك ردّ حججهم من حيث جاءت، وطريق مجيئها أفواههم فكأنهم ردّوا عليها أقوالهم وكذبوا دعواهم".[٤] على أن الشريف الرضي نفسه لا يرضى بهذا التوجيه ويعده

---

(١) سورة إبراهيم/٩.

(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٣٠، وتفسير الطبري ١٢٦/١٣، ١٢٧، والكشاف ١٧٣/٢، وتفسير القرطبي ٣٤٦/٩، ٣٤٥، وينظر أيضاً اللسان والتاج مادة يدي.

(٣) الكشاف ١٧٣/٢

(٤) تلخيص البيان ٩٣.

من باب التعسف وإن كان ذكره للحاجة إليه.[1] على أن المعنى الإصطلاحي للآية يتأتى من حمل الأيدي على الحقيقة فيكون ردّ الأيدي إلى الأفواه مصطلحاً يراد به التعبير عن الغيظ والحنق والضجر، أو العجب أو الإشارة بالسكوت أو الإمساك عن الجواب، وهذا كله من باب الكناية.

١٧٩- ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[2]

شخص الرجل ببصره يشخص شخوصا إذا رفعه فلم يطرف، وكذلك شخص البصر،[3] ويكون ذلك عند الموت بخاصة فترتفع الأجفان ويتحدد النظر،[4] فمعنى تشخص فيه الأبصار أنها ترى أهوالاً فلا تقرّ في أماكنها ولا تغمض،[5] وتصاب بالحيرة والقلق حتى كأنها ترى الموت بعينها. والمعنى الكنائي واضح في هذا المصطلح، ذلك أن الإنسان إذا شخص بصره فقد أصيب بالهول والحيرة والقلق.

١٨٠- ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾[6]

الطرف اسم جامع للبصر،[7] وارتداد الطرف إلتقاء الجفنين بعد افتراقهما ،[8] وقد استعمل في القرآن في معنيين . الأول هو قوله في

(١) ينظر تلخيص البيان ٩٣.
(٢) سورة إبراهيم/٤٢ -الأنبياء/٩٧.
(٣) اللسان مادة شخص.
(٤) ينظر التاج مادة شخص.
(٥) ينظر الكشاف ١٨٣/٢، وتفسير القرطبي ٣٧٦/٩.
(٦) سورة إبراهيم /٤٣ – النمل/٤٠.
(٧) اللسان مادة طرف.
(٨) تلخيص البيان ١٧١.

الآية ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي لا يرجع إليهم بصرهم لأنها تبقى مفتوحة شاخصة من شدة النظر كأنهم يتوقعون هولاً وعذاباً كبيراً،[1] ولذا قال بعد ذلك وأفئدتهم هواء أي خائفين من هول يوم القيامة.

والمعنى الثاني في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي بسرعة، قال الفراء: "معناه قبل أن يأتيك الشيء من مدّ بصرك، وقيل بمقدار ما تفتح عينك ثم تطرف".[2] وقيل بمقدار ما يبلغ البالغ إلى نهاية نظرك".[3] ولهذه الآية توجيه آخر، فعدم ارتداد الطرف يدل على الانتظار على نحو قولهم "أنا ممدود الطرف إليك وشاخص البصر نحوك".[4] ويرى الشريف الرضي أن الاستعارة في المعنى الأول لهذه الآية، إذ ليس هناك شيء يذهب ثم يرجع على الحقيقة "ولكن جفن العين لما كان ينفتح وينطبق أقام الانفتاح مقام الخروج والانطباق مقام الرجوع".[5]

وأما المعنى في الآية الأولى وهو توقع الهول فهو على سبيل الكناية لأن الإنسان إذا توقع هولاً وخشي عذاباً فتح جفنيه وشخص ببصره.

١٨١- ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[6]

وصف الشيء بالهواء معناه أنه فارغ خال لا تشغله الأجرام،[7] فيقال للبيت الذي ليس فيه شيء هواء.[8] والآية عند المفسرين تحتمل معنيين،

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٥٨/١٣، والكشاف ١٨٤/٢، وتفسير القرطبي ٣٧٧/٩.
(٢) معاني القرآن ٢٩٤/٢.
(٣) ينظر التفسير لابن قتيبة ٣٢٤، والتاج مادة طرف.
(٤) تلخيص البيان ١٧١.
(٥) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٦) سورة إبراهيم/٤٣.
(٧) ينظر الكشاف ١٨٤/٢، واللسان مادة هوا.
(٨) ينظر تفسير الطبري ١٥٨/١٣.

الأول أنها فارغة لا تعي شيئاً ولا تعقل وليس فيها خير ولا منفعة فهي متمزقة، وهذا اختيار الطبري.(١) والمعنى الثاني أنها خائفة جبانة فهي لا تستقر في مكان وتتردد في أجوافهم وخرجت من أماكنها فنشبت بالحلوق. وهذا المعنى أشبه بسياق الآية، لأنها في وصف الكفار يوم القيامة، فهم خائفون ينتظرون العذاب ويتوقعون الأهوال، لذلك يقول العرب قلب فلان هواء إذا كان جباناً ويسمونه يراعة جوفاء أي ليس بين جوانحه قلب.(٢) ولذلك قال الشريف الرضي إن "هذه استعارة والمراد بها صفة قلوبهم بالخلوّ من عزائم الصبر والجَلَد لعظيم الإشفاق والوجل".(٣) وهي كذلك على معنى أنها فارغة لا عقل فيها ولا خير ولا منفعة، تشبيهاً لها بالشيء الفارغ والبيت الهواء.

١٨٢- ﴿ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ ﴾(٤)

الدبر من كل شيء (بضمة أو ضمتين) عقبه ومؤخره،(٥) ومعنى قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ ﴾ أي كن من ورائهم حين تسري بهم،(٦) لأن اتباع الدبر لا يكون إلاّ بالسير في الخلف، وإنما أمر لوط بذلك لأن الله كتب على قومه الهلاك ونجّاه وأهله فأمر بأن يقدّمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه، وليطّلع عليهم وعلى أحوالهم، ولئلا يتخلف منهم أحد فيناله العذاب.(٧)

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٣/١٥٩
(٢) ينظر الكشاف ٢/١٨٤، وتلخيص البيان ٩٨.
(٣) تلخيص البيان ٩٨.
(٤) سورة الحجر/٦٥.
(٥) التاج مادة دبر.
(٦) ينظر تفسير الطبري ١٤/٢٩.
(٧) ينظر الكشاف ٢/١٩٣، وتفسير القرطبي ١٠/٣٨.

١٨٣- ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (١)

المعنى ألِن لهم جانبك وكن بهم رفيقاً لا تقسو ولا تغلظ عليهم (٢) وتواضع لفقرائهم وضعفائهم. (٣)

وأصله من خفض الطائر جناحه إذا بسطه ليضم فرخه. (٤) وهذه استعارة لما فيها من التشبيه بالطائر حين يخفض جناحه ثم يقبضهما على أفراخه رفقاً بهم وحرصاً عليهم وخوفاً. وقيل إن في خفض الجناح معنى الوقار والسكون، وهذا كما يقول الشريف الرضي في مقابل قولهم في وصف الرجل بالحدة والغضب طار طيره وهفا حلمه وطاش وقاره. (٥)

١٨٤- ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ (٦)

للآية عند المفسرين ثلاثة معانٍ تبعاً لاختلافهم في اشتقاق الفعل (اصدع)، فمنهم من يقول إنه من الصديع وهو الصبح (٧) أي أجهر به وأظهره. يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جِهارا. (٨)

ومنهم من يقول إنها من الصدع وهو الشق، يقال تصدّع القوم أي تفرقوا، ومنه ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴾ أي يتفرقون، وصدعته فانصدع أي

---

(١) سورة الحجر/٨٨ – الإسراء/٢٤ – الشعراء/٢١٥.
(٢) ينظر تفسير الطبري ١٤/٤٣، واللسان والتاج مادة جنح.
(٣) ينظر الكشاف ٢/١٩٥.
(٤) ينظر تفسير القرطبي ١٠/٥٧.
(٥) ينظر تلخيص البيان ١٠٣.
(٦) سورة الحجر/٩٤.
(٧) ينظر تلخيص البيان ١٠٥، والكشاف ٢/١٩٦، واللسان مادة صدع.
(٨) ينظر الكشاف ٢/١٩٦.

انشق.[١] والمعنى في الآية اصدع الباطل بحقك،[٢] أي شق جماعتهم بالتوحيد.[٣]

ومنهم من يقول إنه مأخوذ من المصدع وهو السهم العريض الذي ينفذ في الرمايا، والمعنى امض وانفذ وكن في طاعة الله سهماً نافذاً،[٤] ولعل إلى هذا الأصل يعود تفسير أحد الأعراب حين قال المعنى اقصد ما تؤمر، لأن العرب تقول "اصدع فلاناً أي اقصده لأنه كريم".[٥] وهذه المعاني جميعاً محمولة على الاستعارة سواء أكان ذلك من الصديع وهو الصبح، أم من الصدع وهو الشق، أم من المصدع وهو السهم النافذ.[٦]

١٨٥- ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾[٧]

للمفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ معنيان، الأول: على أن التخوف محمول على أصله أي من الخوف، والمعنى يأخذهم العذاب متخوفين مما نال قوماً غيرهم من العذاب فيتخوفون ذلك ويتوقعونه بما قدمت أيديهم.[٨]

---

(١) تفسير القرطبي ٦١/١٠.
(٢) التفسير لابن قتيبة ٢٤٠.
(٣) اللسان مادة صدع.
(٤) ينظر تلخيص البيان ١٠٥، وقد جمع الطبري بين المعنيين وقال: المعنى امضي وافرق ٤٦/١٤.
(٥) اللسان مادة صدع.
(٦) ينظر تلخيص البيان ١٠٤،١٠٥.
(٧) سورة النحل/٤٧.
(٨) ينظر الكشاف ٢٠٥/٢.

والثاني: أن التخوف هنا بمعنى التنقص ومثله التخون، "يقال تخوّفته الدهور وتخوّنته إذا نقصته وأخذت من ماله أو جسمه".[1] وهي لغة لأزد شنوءة، يقال تخوف مال فلان الإنفاق إذا انتقصه، والمعنى أنه يهلكهم بالنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلكوا جميعهم.[2]

١٨٦- ﴿ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [3]

أصل يجأرون من جؤار الثور، يقال جأر الثور يجأر إذا رفع صوتاً شديداً من جوع أو غيره.[4]

وعلى هذا يكون المعنى أنهم يرفعون أصواتهم بالدعاء متضرعين مستغيثين.[5] وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾ [6] إذا هم يجزعون أو يصيحون.[7]

---

(١) التفسير لابن قتيبة ٢٤٣.
(٢) ينظر تفسير الطبري ١٤/٧٧، والكشاف ٢/٢٠٥.
(٣) سورة النحل/٥٣ – المؤمنون/٦٤، ٦٥.
(٤) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٤٣، وتفسير الطبري ١٤/٨٢.
(٥) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٤٣، وتفسير الطبري ١٤/٨٢، واللسان مادة جأر، وتفسير القرطبي ١٠/١١٥.
(٦) سورة المؤمنون/٦٤.
(٧) ينظر اللسان مادة جأر.

١٨٧- ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ (١)

اختلف في معنى الهون، فقيل هو الهوان بلغة قريش(٢) وهـو نقـيض العز، ولذلك قالوا في تفسيره على خزي.(٣) والهون في لغة تميم القليـل، قال الفراء وبعض بني تميم يجعل الهون مصدراً للشيء الهيّن، ونقل عن الكسائي أنه سمع العرب تقول " إن كنت لقليل هوْن المؤونة مذ اليوم".(٤) وقيل معنى الهون البلاء والمشقة. وقرأ الأعمش: أيمسكه على سوء.(٥)

١٨٨- ﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ (٦)

معنى يلحدون إليه يميلون، وأصل الإلحـاد الميـل والعـدول عـن الشيء،(٧) ومنه اللحد وهو الشق الذي يكون في عرض القبـر موضـع الميت لأنه قد أُميل عن وسطه إلى جانبه،(٨) وكل إلحاد إمالة وعدول عن الحق، قال ابن السكيت: "الملحد العادل عن الحق المدخل فيه مـا لـيس فيه"،(٩) وقال الزمخشري: "أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين".(١٠) ومعنى الآية ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ

---

(١) سورة النحل/٥٩.
(٢) ينظر تفسير الطبري ١٤/٨٤، واللسان مادة هون، وتفسير القرطبي ١٠/١١٧.
(٣) اللسان مادة هون.
(٤) معاني القرآن ٢/١٠٦، وينظر اللسان مادة هون.
(٥) ينظر تفسير القرطبي ١٠/١١٧.
(٦) سورة النحل/١٠٣.
(٧) اللسان مادة لحد.
(٨) التاج مادة لحد.
(٩) المصدر السابق، نفس المادة.
(١٠) الكشاف ٢/٢١٨.

﴿عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ أن لسان الذي يلحدون إليه بألسنتهم أي يميلون ويزعمون أنه يعلمهم هو لسان أعجمي وهذا القرآن عربي مبين.[1]

وفسر الشريف الرضي اللسان في هذه الآية بأنه القرآن ولذلك عدّه من باب الاستعارة، قال: "لأن المراد باللسان ههنا جملة القرآن وطريقته، لا العضو المخصوص الذي يقع الكلام به".[2] وهذا يتناقض مع وصف اللسان بالأعجمي، والصحيح أن المراد باسم الإشارة هو القرآن الكريم. أما (اللسان) فهو لسان الرجل الأعجمي الذي زعموا أنه كان يعلم النبي صلى الله عليه وسلم.

١٨٩- ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾[3]

معنى جاسوا خلال الديار ترددوا وطافوا يقتلون ويعيثون فساداً وأصله من الجوس، وهو الطواف بالليل وكذلك الجوسان. وأهل اللغة يقولون جاسوا قتلوا، وقال الجوهري: "الجوس مصدر قولك جاسوا خلال الديار أي تخللوها، فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الأخبار أي يطلبها".[4] وقد جمع المفسرون بين هذه المعاني أي الطوفان وطلب الأخبار والقتل، فقالوا إنهم ذهبوا وجاءوا بين المنازل ينظرون ويطلبون الأخبار ويقتلون.[5]

---

(١) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٤٩، وتفسير الطبري ١٤/١١٩.
(٢) تلخيص البيان ١١١.
(٣) سورة الإسراء/٥.
(٤) الصحاح مادة جوس، وينظر اللسان نفس المادة، وتفسير القرطبي ١٠/٢١٦.
(٥) ينظر التفسير لابن قتيبة٢٥١، وتفسير الطبري ١٥/٢٢، وتفسير القرطبي ١٠/٢١٦.

١٩٠- ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[١]

القفو مصدر قولك قفا يقفو قفْواً وقُفُوّاً، وهو أن يتبع الشيء[٢] معنى الآية "لا تتبعه الحدس والظنون ثم تقول رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم"[٣] وهذا عن الحسن، قال: "لا تقف أخاك المسلم إذا مرّ بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع".[٤] وعن ابن الحنفية المنهي عنه في هذه الآية هو شهادة الزور،[٥] وأصل القفو "العضه[٦] والبهت ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر ابن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا".[٧] أي "لا نسبّ أمنا"،[٨] ومنه التقافي يعني التقاذف.[٩] وأُخذ ذلك كله من القفا وهو ما وراء العنق، قال ابن قتيبة: "كأنك تقفو الأمور أي تكون في أقفائها وأواخرها تتعقبها".[١٠] ومنه الاقتفاء وهو اتباع القفاء، كما أن الارتداف اتباع الردف؛[١١] وقافية كل شيء آخره ومنه قافية الشعر لأنها تقفو البيت، ولذلك سمي النبي صلى الله عليه وسلم (المقفّى) لأنه جاء آخر الأنبياء.[١٢]

(١) سورة الإسراء/٣٦.
(٢) ينظر اللسان مادة قفا.
(٣) التفسير لابن قتيبة ٢٥٤.
(٤) الكشاف ٢/٢٣٢.
(٥) المصدر السابق، وينظر اللسان مادة قفا.
(٦) العضة الكذب والبهتان والسحر. القاموس المحيط مادة عضه.
(٧) تفسير الطبري ١٥/٦٢.
(٨) تفسير القرطبي ١٠/٢٥٨.
(٩) تفسير الطبري ١٥/٦٢، والكشاف ٢/٢٣٢.
(١٠) التفسير ٢٥٥.
(١١) المفردات مادة قفا.
(١٢) ينظر تفسير القرطبي ١٠/٢٥٨.

وقد ردّ بعض اللغويين المعنى إلى قيافة الأثر،[1] وقد قرئت الآية ﴿ وَلَا تَقُفْ ﴾ (بضم القاف).[2]

قلنا إن القيافة نفسها مردودة بالأصل إلى القفا لأن معناها اتباع الأثر، والقائف مقلوب عن القافي كما أثبت ذلك ابن قتيبة،[3] والعرب أحدثت في هذا الفعل قلباً آخر فقالوا فقوت الأثر بتقديم الفاء على القاف.[4]

١٩١- ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾[5]

أصل المرح شدة الفرح والتوسع فيه،[6] وقيل معناه الأشر والبطر،[7] وهذه الألفاظ الثلاثة مترادفة[8] ومعنى الآية لا تظهر المرح في مشيك بالكبر والفخر والاختيال.[9] وهذا نهي عن الخيلاء وأمر بالتواضع.[10]

وهي كناية لأن المراد ليس النهي عن إظهار المرح والنشاط في المشي فحسب، بل الاختيال والتكبر والتبختر أيضاً.

١٩٢- ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾[11]

قال الراغب أصل الصفاء خلوص الشيء من الشوب، ومنه الصفا للحجارة الصافية.[12] والصواب أن يقال إن الصفاء مشتق من الصفا، لأن

---

(١) تفسير الطبري ٦٢/١٥.
(٢) الكشاف ٢٣٢/٢، وقال ابن حيان في البحر المحيط٦/٣٦ هي قراءة معاذ.
(٣) التفسير ٢٥٥، وينظر المفردات مادة قفا.
(٤) ينظر تفسير القرطبي٢٥٨/١٠.
(٥) سورة الإسراء/ ٣٧.
(٦) المفردات مادة مرح، وينظر اللسان نفس المادة.
(٧) اللسان مادة مرح.
(٨) التاج مادة مرح.
(٩) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٥٥، وتفسير الطبري ٦٣/١٥.
(١٠) تفسير القرطبي ٢٦٠/١٠.
(١١) سورة الاسراء/٤٠ – الزخرف/١٦.
(١٢) المفردات مادة صفو.

الأصل أن تكون أسماء المعاني مشتقة من الأعيان. ومعنى أصفاكم بالبنين على هذا أفأخلصكم بهم،(١) وآثركم على نفسه بالبنين.(٢) "يقال أصفيته بكذا أي آثرته به، وأصفيته الود أخلصته له، وصافيته وتصافينا تخالصنا".(٣) والصفيّ والصفيّة: ما يصطفيه الرئيس لنفسه. وقد يقالان للناقة الكثيرة اللبن، والنخلة الكثيرة الحمل.(٤)

١٩٣- ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾(٥)

نغض الشيء ينغضُ نغضاً ونغوضا ونغضاناً وتنغّض وأنغض: تحرك واضطرب.(٦) قال الفراء: "أنغض رأسه إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل، والرأس ينغُض وينغض لغتان.(٧) وكل حركة في ارتجاف نغض،(٨) والنغض "إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض، أو انخفاض ثم ارتفاع. ولذلك سمي الظليم نغضاً لأنه إذا عجّل المشي ارتفع وانخفض وحرك رأسه".(٩)

---

(١) ينظر تفسير الطبري٢٥/٣٤.
(٢) ينظر الكشاف ٣/٤٨٢.
(٣) تفسير القرطبي ١٦/٧٠، وينظر اللسان والتاج مادة صفا.
(٤) المفردات مادة صفو.
(٥) سورة الإسراء/٥١.
(٦) اللسان مادة نغض.
(٧) معاني القرآن ٢/١٢٥، وينظر اللسان مادة نغض.
(٨) التاج مادة نغض.
(٩) تفسير الطبري ١٥/٦٩.

ونغض الرأس في الآية كناية عن اليأس والاستبعاد،[1] أو التكذيب والاستهزاء،[2] أو التعجب والاستهزاء،[3] أو الإنكار.[4] وهذه المعاني متقاربة.

١٩٤- ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [5]

الشاكلة في الأصل الشكل،[6] وكذلك الناحية والطبيعة والدين،[7] أوالطريقة المتشعبة عن المحجة العظمى أو العلامة.[8] والمعنى أن كل إنسان يعمل على ماجُبل عليه طبعه، وعلى الطريقة التي نشأ فيها والخليقة التي اتسم بها.[9]

والمعنى في كل ذلك محمول على الاستعارة، لأن العمل الذي يتفق مع طبيعة الإنسان مشبه بالسير في الطريق المختطة له، وأعماله متشعبة من خلقه العام، كما تتشعب الطرق عن المحجة العظمى التي تشبه بها الدنيا "وعادات الناس فيها وطبائعهم التي جبلوا عليها مشبهة بالطرق المختلجة من ذلك الطريق الذي هو العمود وإليه الرجوع.[10] وكذلك إذا كانت الشاكلة بمعنى العلامة والدلالة" فكانه تعالى قال:

---

(١) التفسير لابن قتيبة ٢٥٧.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٥/٧٠.

(٣) ينظر الكشاف ٢/٢٣٥، وتفسير القرطبي ١٠/٢٧٤،٢٧٥.

(٤) ينظر اللسان مادة نغض.

(٥) سورة الإسراء/٨٤.

(٦) التفسير لابن قتيبة ٢٦٠.

(٧) ينظر تفسير الطبري ١٥/١٠٤.

(٨) تلخيص البيان ١٢٠

(٩) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٦٠، واللسان مادة شكل، والكشاف ٢/٢٤٤.

(١٠) تلخيص البيان ١٢٠، وينظر الكشاف ٢/٢٤٤.

﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي على الدلالة التي نصبت لاستدلاله، والأمارة التي رفعت لاهتدائه". [1]

١٩٥- ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [2]

المعنى ولو كان بعضهم لبعض معينا. [3] وأصله من الظهر الجارحة الذي ينصرف إلى معان منها هذا المعنى. والظهير بمعنى العون يلازم حالة الإفراد كما في الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾. [4] قال الفراء: "يريد أعواناً ولم يقل ظهراء". [5] وخالف أبو عبيدة في ذلك جمهور المفسرين فقال: "الظهير هنا هو المظهور به أي هيّناً على ربه كالشيء الذي خلفته من قولك ظهرت بكذا. أي خلفته ولم ألتفت إليه". [6]

ويؤخذ الفعل من هذا، فيقال تظاهر بمعنى تعاون، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي تتعاونا عليه. [7] والوصف مظاهر، وقد فسر (ظهير) به في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾، [8] وهو قول ابن عرفة. [9] والمصدر الظهرة والظهرة بالكسر والضم.

---

(١) تلخيص البيان ١٢٠

(٢) سورة الإسراء/٨٨ – الفرقان/٥٥- القصص/٨٦،١٧- سبأ/٢٢- التحريم/٤.

(٣) ينظر التفسير ٢٦١، ٣١٤، ٤٧٢، وتفسير الطبري ٣١/٢٠.

(٤) سورة التحريم/٤.

(٥) معاني القرآن ١٦٧/٣، وينظر اللسان مادة ظهر.

(٦) المفردات مادة ظهر.

(٧) التفسير لابن قتيبة ٤٧٢.

(٨) سورة الفرقان/٥٥.

(٩) ينظر التاج مادة ظهر.

١٩٦- ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[(١)]

الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره، والتصريف كالصرف إلا في التكثير.[(٢)] والمعنى وجّهنا القول فيه من كل مثل،[(٣)] وزاد الزمخشري أننا رددنا وكررنا.[(٤)]

والتصريف يأتي بمعنى التوجيه، ومنه تصريف الرياح، ويخرج إلى التبيين. ومنه تصريف الآيات وعليه حمل تصريف الأمثال وتصريف الوعيد.[(٥)] قال ابن قتيبة: "وهو من قولك صرفت إليك كذا أي عدلت به إليك، وشدّد ذلك للتكثير. كما يقال فتحت الأبواب".[(٦)]

١٩٧- ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[(٧)]

السبيل معروفة وهي الطّريق، وابتغاء السبيل معناه في هذه الآية وغيرها القصد والانتماء. والمعنى في الآية أن تكون قراءتك وسطاً بين الجهر والإخفاء، لأنه سبقها النهي عن الجهر والإخفاء، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ ، وهذا جار على المثل عند الزمخشري،[(٨)] يريد الاستعارة التمثيلية لأن المعنى في انتماء الوسط بين الجهر والمخافتة، كمن يسير في طريق وسط بين طريقين متطرفين.

---

(١) سورة الإسراء /٨٩- الكهف/٥٤- طه/١١٣.

(٢) ينظر المفردات مادة صرف.

(٣) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٦١، وتفسير الطبري ١٥٩/١٦.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٦٥.

(٥) ينظر تفسير القرطبي ٢٥٠/١١

(٦) التفسير ٢٦٢، وينظر تفسير الطبري ١٢٣/١٥، وتفسير القرطبي ٣٤٣/١٠.

(٧) سورة الاسراء/ ١١٠.

(٨) الكشاف ٢٤٩/٢.

١٩٨- ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ [(١)]

البخع قتل النفس وإخراجها.[(٢)] وإهلاكها.[(٣)] وزاد الراغب[(٤)] أن يكون ذلك غمّاً وقال إنه "حث على ترك التأسف نحو ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ .[(٥)] وأصله من قولهم بخع الركيّة إذا حفرها حتى ظهر ماؤها، أو من قولهم بخع الأرض بالزراعة إذا نهكها ولم يُرحها عاماً،[(٦)] أو من قولهم بخع بالشاة إذا بالغ في ذبحها حتى بلغ البخاع،[(٧)] وهو عرق في الصلب ويجري في عظم الرقبة وهو غير النخاع بالنون.[(٨)] ونقل الزبيدي عن الزمخشري قوله هذا أصله ثم استعمل في كل مبالغة.[(٩)] ومنه "بخع فلان بالطاعة وبما عليه من الحق إذا أقرّ به وأذعن مع كراهة شديدة تجري مجرى بخع نفسه في شدته".[(١٠)]

(١) سورة الكهف/٦- الشعراء/٣.
(٢) اللسان والتاج مادة بخع، وينظر معاني القرآن ١٣٤/٢، وفيه (قاتل نفسك ومخرج نفسك).
(٣) التفسير لابن قتيبة ٢٦٣، وتفسير الطبري ١٢٩/١٥، والكشاف ٢٥١/٢.
(٤) المفردات مادة بخع.
(٥) سورة فاطر /٨.
(٦) التاج مادة بخع.
(٧) الموضع السابق.
(٨) القاموس المحيط مادة بخع.
(٩) التاج مادة بخع، ولم أجده في الكشاف ولا في الأساس.
(١٠) المفردات مادة بخع.

١٩٩- ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾[١]

المعنى أنمناهم وذلك بأننا منعنا آذانهم من أن تسمع كي لا تنتبه.[٢] واختلف في توجيه الضرب في هذه الآية، أهو حقيقة أم مجاز؟ والذين يذهبون إلى أنه من الضرب الحقيقي، وجّهوا المعنى على أنه "تشبيه بمن ضرب على صماخه فهو موقوذ مأموم ومشدوه مغمور، أو تشبيه بالضرب على الكتاب لتشكل حروفه فتمتنع على القاريء قراءته".[٣] وأغلب المفسرين على أنه من الضرب المجازي، فهو عند قطرب "كقول العرب ضرب الأمير على يد الرعيّة إذا منعهم الفساد، وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة إذا منعه من التصرف".[٤] أي كضرب الحجاب، أي ضرب على آذانهم حجاب فناموا نوماً ثقيلاً منعهم السمع.[٥]

والأصل عند الزمخشر ضربنا على آذانهم حجاباً "فحذف المفعول الذي هو الحجاب، كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة".[٦] ومثل هذا توجيه الراغب، فهو عنده مستعار من ضرب الخيمة اعتباراً بضرب أوتادها.[٧]

---

(١) سورة الكهف / ١١- النور/ ٣١.
(٢) ينظر التأويل لابن قتيبة ٢٠١، والتفسيرله ٢٦٤، وتفسير الطبري ١٣٧/١٥.
(٣) تلخيص البيان ١٢٣،١٢٢.
(٤) تفسير القرطبي ٢٦٣/١٠.
(٥) اللسان مادة ضرب.
(٦) الكشاف ٢٥١/٢.
(٧) المفردات مادة ضرب.

٢٠٠ - ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[١]

المرفق ما يرتفق به، وهو أيضاً مابين الساعد والعضد من اليد. والمعنى يهيء لكم ماترتفقون به وييسر لكم من أمركم ما أنتم فيه من غمّ وكرب خوفاً منكم على أنفسكم ودينكم.[٢] وللشريف الرضي توجيه حسن للمعنى في هذه الآية الكريمة، فمعنى الارتفاق عنده مأخوذ من المرفقة وهي التي يعتمد عليها بالمرفق، "فكأنه سبحانه قال يهيء لكم من أمركم ماتعتمدون عليه وتستندون إليه ويكون لظهوركم عماداً ولأعضادكم سناداً". [٣]

٢٠١ - ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [٤]

اللحد حفرة مائلة عن الوسط،[٥] ولذلك قيل في تفسير الملتحد أقوال متشابهة يجمعها الميل، منها الملتجأ، قاله قتادة.[٦] وعن الكلبي هو المدخل في الأرض مثل السرب.[٧] وقال الفراء أي ملجأ ولا سرباً ألجأ إليه.[٨] وقال ابن قتيبة هو المعدل والموئل،[٩] وقد ذهب قتادة أيضاً إلى أن المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ إني لن أجد من دون الله

---

(١) سورة الكهف / ١٦.
(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٦٤، وتفسير الطبري ١٣٨/١٥.
(٣) تلخيص البيان ١٢٤.
(٤) سورة الكهف / ٢٧- الجن/٢٢.
(٥) المفردات مادة لحد.
(٦) ينظر تفسيرالطبري ٧٦/٢٩. وتفسير القرطبي ٢٦/١٩.
(٧) تفسير الطبري ٢٩/ ٧٦. وينظر الكشاف ١٧١/٤.
(٨) معاني القرآن ١٩٥/٣. وينظر اللسان مادة لجأ.
(٩) التفسير ٤٩٢،٢٦٦.

نصيراً ومولى.[1] وعن السدّي لن أجد من دونه حرزاً. وحكى ابن شجرة مذهباً ولا مسلكاً.[2]

٢٠٢- ﴿ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ [3]

تقليب الكفين ضربهما ببعضهما ظهراً لبطن.[4] **والمعنى أنه أصابه الندم**[5] لما أنفق في جنتيه وجحد نعمة الله عليه. وقال الطبري فعل ذلك تلهفا وأسفاً.[6] والمعنيان متقاربان، وتقليب الكفين كناية عن ذلك، لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن. ومثل هذه الكناية عضّ الكف والسقوط في اليد.[7]

وقيل إن المعني بالكف هنا الملك، لأن الملك يعبر عنه بالكف كما يقال في يده مال، أي في ملكه مال. والمعنى أن هذا الكافر أصبح يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق.[8]

٢٠٣- ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾[9]

المعنى أن هذا الجدار كان يوشك أن يسقط فجعله العبد الصالح قائماً معتدلاً. وللعلماء في هذه الآية أقوال تخص الإرادة والنقض أو

(١) ينظر تفسير الطبري ٧٦/٢٩، وتفسير القرطبي ٢٦/١٩.
(٢) ينظر تفسير القرطبي ٢٦/١٩.
(٣) سورة الكهف / ٤٢.
(٤) ينظر تفسير الطبري ١٦٣/١٥، وتفسير القرطبي ٤٠٩/١٠.
(٥) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٦٨.
(٦) تفسير الطبري ١٦٣/١٥.
(٧) ينظر الكشاف ٢٦٠/٢
(٨) ينظر تفسير القرطبي ٤٠٩/١٠، ٤١٠.
(٩) سورة الكهف / ٧٧.

الإنقضاض، فمعنى (يريد) يوشك أو يقارب أو يهم.[1] وإضافة الإرادة إلى الحائط من باب المجاز، وكذلك كل فعل حقه أن يكون لعاقل إذا أسند لجماد أو حيوان فهو استعارة.[2]

قال الشريف الرضي توضيحاً لهذه الاستعارة: "لأن الإرادة على حقيقتها لاتصح على الجماد، والمعنى يكاد أن ينقضّ على التشبيه بحال من يريد أن يفعل في المباني لأنه لما ظهرت فيه أمارات الانقضاض من ميل بعد انتصاب، واضطراب بعد ثبات، حسن أن يطلق عليه إرادة الوقوع على طريق الاتساع".[3]

واختلف في معنى ينقضّ، فقيل هو من الانقضاض أي السقوط.[4] يقال انقضّت الدار إذا انهدمت وسقطت، ومنه انقضاض الطائر.[5] وقيل هو من النقض وهو انتثار العقد مــن البناء والحبل.[6] غير أن الراغب الذي ذكر هذا المعنى للنقض وجّه الآية على أنها من السقوط وليس على هذا المعنى.

---

(١) التأويل ١٣٣.

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٢٥/١١. وذكر أن من العلماء من يمنع ورود المجاز في القرآن الكريم، قال: "ومما احتجوا به أن قالوا لو خاطبنا الله تعالى بالمجاز لزم وصفه بأنه متجوّز أيضاً، فإن العدول عن الحقيقة إلى المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة، وهو على الله تعالى محال".

(٣) تلخيص البيان ١٣٠.

(٤) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٧٠، وتفسير الطبري ١٨٧/١٨٦/١٥، والكشاف ٢٦٧/٢، والمفردات مادة نقض، وتفسير القرطبي ٢٥/١١.

(٥) ينظر تفسير الطبري ١٨٦/١٥، والكشاف ٢٦٧/٢.

(٦) المفردات مادة نقض.



٢٠٤- ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾[١]

إقامة الوزن في الآية حملت على الحقيقة والمجاز. فالذين حملوه على الحقيقة، قالوا المعنى أن هؤلاء ليس لهم من الأعمال الصالحة التي تثقل الموازين، أو أنهم ليسوا من الموحدين الذين لهم حسنات وسيئات فتوزن.[٢] أي "لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة"[٣]!

والذين حملوه على المجاز قالوا إن المعنى ليس لهم قدر فلا اعتداد بهم ولا نباهة لذكرهم يوم القيامة،[٤] ويُزدري بهم حينئذ.[٥] والعرب تقول: ما لفلان عندي وزن أي قدر لخسّته. قاله أبو العباس ثعلب عن ابن الأعرابي[٦] وهو تحقير له يقابله قولك هو عندي بالميزان الراجح، إذا كان كريماً عليك وحبيباً إليك.[٧]

٢٠٥- ﴿ وَقَرِّي عَيْنًا ﴾[٨]

قري عيناً معناه طيبي نفساً وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني.[٩] واختلف في أصله أهو من القرّ أي البرد، ومنه القرور أي الماء البارد، أم من القرار بمعنى السكون؟ قال الفراء إن حقيقته أبرد الله دمعة عينيه لأن

---

(١) سورة الكهف / ١٠٥.
(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٩/١٦، الكشاف ٢٧٢/٢
(٣) تفسير القرطبي ٦٦/١١.
(٤) تلخيص البيان ١٣٢.
(٥) ينظر الكشاف ٢٧٢/٢.
(٦) اللسان مادة وزن.
(٧) تلخيص البيان ١٣٣.
(٨) سورة مريم/٢٦- طه/٤٠- الفرقان/٧٤- القصص/١٣،٩- السجدة/١٧- الأحزاب/٥١.
(٩) تفسير الطبري ٦٥/١٦

دمعة الفرح باردة.[1] وللسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة. [2]وقيل إنه من القرار أي السكون، فمعنى قرّي عيناً إفرحي ولا تحزني لأنك صادفت ما يرضيك فتقرّ به عينك من النظر إلى غيره.[3] ومثله القول إن المعنى صادف سروراً يذهب سهره فينام.[4] أو رأت عينه ما كانت متشوّقة إليه فقرّت ونامت. [5]

وهذا المصطلح يتصرف تصرفاً تاماً، يقال: قرّت به عينه تقرّ بفتح القاف وكسرها والفتح أعلى، وفي التنزيل ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾[6] وهو قرير العين، وأقر الله عينه. [7]

٢٠٦- ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ [8]

قال الأصمعي: "فري يفري إذا نظر فلم يدر مايصنع".[9] وقال الفراء الفريّ الشيء العظيم،[10] وقال الأخفش مختلق مفتعل،[11] وقال أبو عبيدة العجيب النادر،[12] وعن أبي عبيد "فري الرجل بالكسر يفري فرى

---

(١) لم أجد هذا الكلام في معاني القرآن في المواضع التي تعرّض فيها لهذا المصطلح في الآيات المذكورة، وينظر اللسان مادة قرر.

(٢) المفردات مادة قرّ، وتفسير القرطبي ١١/١٩٧، والتاج مادة قرر.

(٣) ينظر اللسان مادة قرر.

(٤) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٥) التاج مادة قرر، وينظر تفسير القرطبي ١١/١٩٧.

(٦) سورة القصص / ٩.

(٧) ينظر المفردات واللسان والتاج مادة قرر.

(٨) سورة مريم / ٢٧.

(٩) اللسان مادة فرا.

(١٠) معاني القرآن ٢/١٦٦، وينظر اللسان مادة فرا.

(١١) معاني القرآن وينظر اللسان القرطبي ١١/٩٩.

(١٢) ينظر تفسير القرطبي الموضع السابق.

مقصور، إذا بهت ودهش وتحيّر".[1] وقال ابن قتيبة العظيم العجيب.[2] قال الطبري: "كل عامل عمل عملاً أجاده وأحسنه فقد فراه".[3] وقال الزمخشري: "الفريّ البديع وهو من فري الجلد".[4] وهذه المعاني المتقاربة ترجع جميعاً إلى معنى الجدّة في الفريّ، قال قطرب الفريّ الجديد من الأسقية،[5] أي إنك جئت شيئاً لم تسبقي إليه فهو مختلق وغريب ونادر.

ومعنى المجيء هنا القصد، قال الراغب: "المجيء كالإتيان، ولكن المجيء أعمّ لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول".[6] وعلى هذا يكون المعنى: قد قصدت أمراً عجيباً وعظيماً لم تسبقي اليه وقد حصل منك ذلك، والمجيء بهذا المعنى أي بالقصد مع الحصول ورد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾.[7]

٢٠٧- ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾[8]

أكثر المفسرين على أن المقصود بالعقدة هنا رتّة أو عجمة عن الكلام نجمت من إلقائه الجمرة في فمه عندما همّ فرعون بقتله.[9] غير أن

---

(١) اللسان مادة فرا.
(٢) ينظر التفسير ٢٧٤.
(٣) تفسير الطبري ٥٨/١٦.
(٤) الكشاف ٥٠٧/٢.
(٥) ينظر تفسير القرطبي ٩٩/١١.
(٦) المفردات مادة جاء.
(٧) سورة الكهف / ٧١، ٧٤.
(٨) سورة طه / ٢٧.
(٩) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٧٨، وتفسير الطبري ١٢٠/١٦.

الشريف الرضي بعد أن ذكر هذا المعنى جوّز أن يكون المراد بذلك إزالة التقية عن لسانه فينطلق في الكلام لايمنعه خوف من بطش أو انتقام. قال "وذلك كقول القائل (لسان فلان معقود) إذا كان خائفاً من الكلام، (ولسان فلان منطلق) إذا كان مقداماً على المقال."[1] إذ يقال عقّد كلامه أعوصه وعمّاه وكلام معقّد أي مغمض.[2]

٢٠٨- ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾[3]

معنى اشدد به أزري قوّني به واجعله لي عوناً وذلك بأن تجعله شريكاً لي في الرسالة، كي نتعاون على حملها والتبشير بها.[4] والأزر في الأصل موضع الإزار من الحقوين،[5] ويطلق على الظهر أيضاً،[6] ولذلك يكون مرة دالاً على القوة ومرة على الضعف فهو من الأضداد،[7] فيكون معنى شد الأزر بذلك تقويته. ومنه يقال "آزرت فلاناً على الأمر أي قوّيته عليه وكنت له ظهيراً،[8] وقد يكون بمعنى العون أيضاً.[9] وأثبت الراغب أن أصله من الأزر وهو شدّ الإزار[10] ومقتضى كلام الجوهري وغيره أن

---

(١) تلخيص البيان ١٣٧.
(٢) اللسان مادة عقد.
(٣) سورة طه / ٣١.
(٤) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٧٨، وتفسير الطبري ١٢١/١٦، والكشاف ٥٣٦/٢، وتفسير القرطبي ١٩٣/١١.
(٥) الصحاح، وينظر اللسان مادة أزر، وتفسير القرطبي ١٩٣/١١.
(٦) ينظر المصادر السابقة.
(٧) ينظر اللسان والتاج مادة أزر.
(٨) التفسير ٢٧٨.
(٩) تفسير القرطبي ١٩٣/١١.
(١٠) المفردات مادة أزر.

الأزر موضع شد الإزار، ثم أخذ منه المصدر الدال على الشد وهو الصواب.

٢٠٩- ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [١]

معنى لتصنع هنا لتربى وتغذى ويحسن إليك.[٢] ومنه صنعت الفرس وأصنعته إذا أحسنت القيام عليه،[٣] ومثله صنع فلان جاريته إذا ربّاها.[٤] وعلى هذا يكون الصنع هنا من باب المجاز، ومثله قولهم "هو صنيعي وصنيعتي أي اصطنعته وربيته وخرجته وأدبته".[٥]

ومعنى على عيني بمرأى مني على محبتي فيك،[٦] أي أنا مراعيك وراقبك كما يراغي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، وكما ينظر إلى الصانع حين يصنع كي لايخالف المراد منه.[٧]

وهذا الكلام يفيد الاختصاص بشدة الرعاية وفرط الحفظ والكلاءة لأنه ما من شيء يغيب عن عينه تعالى.[٨]

---

(١) سورة طه / ٣٩.
(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٧٨، وتفسير الطبري ١٢٣/١٦، والكشاف ٣٥٦/٢، وتفسير القرطبي ١٩٧/١١.
(٣) تفسير القرطبي ١٩٧/١١.
(٤) اللسان مادة صنع.
(٥) التاج مادة صنع.
(٦) التفسير ٢٧٨، وينظر تفسير الطبري ١٢٣/١٦.
(٧) ينظر الكشاف ٣٥٦/٢، ٥٣٧.
(٨) ينظر تلخيص البيان ١٣٨.

٢١٠- ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[١]

المعنى أني اصطفيتك لنفسي واجتبيتك واخترتك لرسالتي وربيتك لخاصة أمري فأنعمت عليك هذه النعم.[٢] والاصطناع هو الاصطفاء عن ابن عباس.[٣]

قال الراغب: "الاصطناع المبالغة في إصلاح الشيء،[٤] وفي اللسان الاصطناع هو الاتخاذ، وقيل افتعال من الصنيعة وهي العطية والكرامة والإحسان.[٥] ويفهم من كلام الزمخشري أن فيه معنى الاستخلاص، قال: "فيصطنعه بالكرامة والأثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع إلاّ بعينه وأذنه، ولا يأتمن على مكنون سره إلاّ سواء ضميره".[٦] وعن ابن الأثير هذا تمثيل لما أعطاه الله من منزلة التقريب والتكريم.[٧]

ومعنى لنفسي: لمحبتي، قال الرضي: "وإنما جاز أن يوقع النفس موقع المحبة لأن المحبة أخص شيء بالنفس فحسن أن تسمى بالنفس".[٨]

---

(١) سورة طه/ ٤١.
(٢) ينظر تفسير الطبري ١٢٨/١٦، واللسان مادة صنع، وتفسير القرطبي ١٩٨/١١.
(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٩٨/١١.
(٤) المفردات مادة صنع، وينظر التاج نفس المادة.
(٥) مادة صنع.
(٦) الكشاف ٥٣٧/٢،٥٣٨.
(٧) ينظر اللسان مادة صنع.
(٨) تلخيص البيان ١٣٨.

٢١١- ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ [(١)]

المعنى أن يبادرنا أو يعجل علينا بالعقوبة.[(٢)] والعرب تقول فرط منه أي بدر وسبق.[(٣)] وأصل الفرط: التقدم إلى الورد لإصلاح الأرشية والدلاء ومدر الحياض والسقي فيها.[(٤)] وفرس فرط يسبق الخيل،[(٥)] وتحول المعنى بعد ذلك إلى الإسراف في الشيء، فيقال فرط عليه في القول أسرف وتقدم ثم أصبح الفُرُط الظلم والاعتداء[(٦)] وقد فسر قوله تعالى بهذا كله أي التعجيل بالعقوبة والظلم والاعتداء والشطط.

٢١٢- ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [(٧)]

المعنى اتخذ لهم في البحر طريقاً يابسا.[(٨)] والضرب كما مرّ إيقاع الشيء على الشيء. قال الراغب: "ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها، كضرب الشيء باليد والعصا والسيف ونحوها".[(٩)] ثم قال: "والضرب في الارض الذهاب فيها وهو ضربها بالأرجل... ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ﴾.[(١٠)] وفي التاج أن ضرب يرد

---

(١) سورة طه/٤٥.
(٢) ينظر التفسير ٢٧٩، وتفسير الطبري ١٦/ ١٣٠، والكشاف ٢/ ٥٣٨.
(٣) ينظر التاج مادة فرط.
(٤) اللسان مادة فرط.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٣٨.
(٦) ينظر اللسان مادة فرط.
(٧) سورة طه/ ٧٧.
(٨) تفسير الطبري ١٦/ ١٤٣.
(٩) المفردات مادة ضرب.
(١٠) المصدر السابق، نفس الموضع.

بمعنى وصف وبيّن وجعل.[1] وعلى هذا يكون المعنى اجعل لهم طريقاً في البحر. وبه فسره الزمخشري، وقال إنه من قولهم "ضرب له في ماله سهماً وضرب اللبن عمله". [2]

٢١٣- ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾[3]

"النكس: قلب الشيء على رأسه، نكسه ينكسُه نكساً فانتكس. ونكس رأسه: أماله".[4] قال الفراء في معنى الآية "رجعوا عندما عرفوا من حجة ابراهيم عليه السلام"[5] أي رُدّوا الى أول ما كانوا يعرفونها به من أنها لا تنطق فقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾،[6] وقال قتادة في معناها أنهم أدركتهم حيرة سوء.[7] وتوضيح هذا المعني في قول الزمخشري "قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلاً وانكساراً وانخزالاً مما بهتهم به ابراهيم عليه السلام، فما أحاروا جواباً إلاّ ما هو حجة عليهم".[8] ونقل الطبري قولاً ثالثاً عن مفسرين آخرين، قالوا إن المعنى أنهم نكسوا في الفتنة. [9]

وهذه المعاني عندنا كلها مأخوذة من النكسْ وهو "السهم الذي انكسر فُوقُه فجعل أعلاه أسفله".[10] وقال الشريف الرضي: "هذه استعارة والمراد

---

(١) مادة ضرب.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٤٦.
(٣) سورة الأنبياء/ ٦٥ – السجدة/ ١٢.
(٤) اللسان مادة نكس.
(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٠٧، وينظر اللسان والتاج مادة نكس.
(٦) التفسير لابن قتيبة ٢٨٧، وينظر تفسير الطبري ١٧/ ٣١، والكشاف ٢/ ٥٧٧
(٧) ينظر تفسير الطبري نفس الموضع.
(٨) الكشاف ٢/ ٥٧٧.
(٩) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٣١.
(١٠) المفردات مادة نكس.

بها وصف ما لحقهم من الخضوع والاستكانة والاطراق عند لزوم الحجة فكأنهم شبهوا بالمتردي على رأسه ترويخاً بنصوع البيان وإبلاساً عند وضوح البرهان".(١)

وهو عندنا على هذا المعنى كناية لأن المراد أنهم قد مالوا برؤوسهم فعلا، يقال نكس رأسه إذا طأطأه من ذل.(٢) وإنما الاستعارة تكون في المعنى الأول أي أنهم عادوا من الحق الى الباطل ومن الباطل الى الحق في مجادلتهم ابراهيم عليه السلام.

٢١٤- ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ (٣)

القطع فصل الشيء الموصول كالحبل ونحوه، ويكون مدركاً بالبصر كالأجسام، أو بالبصيرة كالأشياء المعقولة.(٤)

وفسّر قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ بمعنى تفرقوا فيه واختلفوا،(٥) أي في دينهم "فصاروا فيه أحزابا فتهوّدت اليهود وتنصرت النصارى وعبدت الأوثان".(٦) وقيل معنى تقطعوا تقاسموا، والمعنى "جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه".(٧)

قال الشريف الرضي: "وهذه استعارة، والمراد بها أنهم تفرقوا في الأهواء واختلفوا في الآراء وتقسمتهم المذاهب وتشعبت بهم الولائج".(٨)

---

(١) تلخيص البيان ١٤٤.
(٢) اللسان مادة نكس.
(٣) سورة الأنبياء/ ٩٣ – المؤمنون/ ٥٣ – النمل/ ٣٢.
(٤) ينظر المفردات مادة قطع.
(٥) التفسير ٢٨٨، ٢٩٨.
(٦) تفسير الطبري ١٧/ ٦٨.
(٧) الكشاف ٢/ ٥٨٣، وينظر اللسان مادة قطع، وتفسير القرطبي ١١/ ٣٣٩.
(٨) تلخيص البيان ١٤٥.

٢١٥- ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[١]

الحدب ما احدودب من وجه الأرض، وقد يكون من حدب الظهر.[٢] وأصل النسل الانفصال عن الشيء، ومنه نسل الوبر عن البعير والقميص عن الانسان،[٣] ثم تحول المعنى الى الاسراع، ومنه نسلان الذنب وهو مقاربة الخطو مع الاسراع.[٤] وقد فسّر معنى الآية بناء على هذين المعنيين. فالمعنى أنهم يخرجون من كل جهة مشاة مسرعين.[٥] ومنهم من فرّق بين المعنيين وقال المعنى يخرجون بالنظر الى الأصل، وقال اخرون يسرعون بالنظر الى ما آل إليه معنى النسلان وهو مقارنة الخطى في المشي.[٦]

٢١٦- ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾[٧]

العطف منكب الرجل وإبطه، ثم أطلق على الجانب من لدن الرأس الى الورك،[٨] وكذلك يطلق على جانب القميص.[٩]

وقد فسّر معنى قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾ بأنه متكبّر معرض.[١٠] يقال جاء فلان ثاني عطفه إذا جاء متبخترا من الكبر وبهذا فسره ابن عباس

(١) سورة الأنبياء/ ٩٦.
(٢) ينظر المفردات مادة حدب. وتفسير القرطبي ١١/ ٣٤١.
(٣) المفردات مادة نسل.
(٤) ينظر التفسير لابن قتيبة ٢٨٨.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٧٣. وينظر التاج مادة نسل. وهو قول أبي اسحق الزجاج أيضاً.
(٦) ينظر تفسير القرطبي ١١/ ٣٤١.
(٧) سورة الحج/ ٩.
(٨) ينظر اللسان مادة عطف.
(٩) ينظر تلخيص البيان ١٤٨.
(١٠) التفسير لابن قتيبة ٢٩٠.



أي مستكبراً، وقال آخرون لاوٍ رقبته، أي يُعرض عما يُدعى إليه فلا يسمع له. وقد جمع الطبري بين المعنيين بعد أن أورد الأقوال الآنفة فقال: "والصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دعي الى الله أعرض عن داعيه ولوى عنقه ولم يسمع ما يقال له استكباراً."[1] فالاعراض من التكبر، وقد استعمل في القرآن تعبيرات بهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾،[2] وقوله تعالى: ﴿ أَعْرَضَ وَنَئَا بِجَانِبِهِۦ ﴾،[3] وقوله تعالى: ﴿ وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ﴾.[4] وقال الزمخشري: "ثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء، كتصعير الخد وليّ الجيد"،[5] وفي ثني العطف معنى آخر، فيقال مرّ ثاني عطفه أي جاء رخِيّ البال،[6] وهو أشبه بالاعراض. وقرأ الحسن بفتح العين فيكون المعنى مانع تعطفه.[7]

وحمل الشريف الرضي المعنى على الاستعارة سواء أكان المعنى الوصف بالتكبر أم الاعراض.[8] وحمله على الكناية أصح، لأن ثنى العطف يقع حقيقة ثم يراد به التكبر والاعراض.

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٩٢.
(٢) سورة المنافقون/ ٥.
(٣) سورة الإسراء/ ٨٣.
(٤) سورة لقمان/ ٧.
(٥) الكشاف ٣/ ٦.
(٦) اللسان والتاج مادة عطف.
(٧) الكشاف ٣/ ٦.
(٨) ينظر تلخيص البيان ١٤٨.

٢١٧- ﴿ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾[١]

حرف كل شيء طرفه وشفيره وحدّه وناحيته.[٢] وقد فسّر قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ أي على جهة واحدة وهي السرّاء اي يعبده على الخير يصيبه من تثمير المال وعافية البدن وإعطاء السؤل،[٣] ومصداق هذا قوله تعالى بعد ذلك في الآية نفسها: ﴿ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ . قال ابن قتيبة: "ولو عبدالله على الشكر للنعمة والصبر للمصيبة، والرضا بالقضاء لم يكن عبده على حرف".[٤] وقيل معنى على حرف على وشك، وهو قول مجاهد والزجاج،[٥] ذلك أن قوماً كانوا يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرين من باديتهم فإن نالوا رخاء أقاموا على الاسلام وإلا ارتدوا على أعقابهم.[٦] ومثل هذا القول تأويل الزمخشري الذي ذهب الى أن معنى (على حرف) على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، ذلك لأنهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة، وقد شبههم بمن يكون "على طرف من العسكر فإن أحسّ بظفر وغنيمة قرّ واطمأن، وإلا فرّ وطار على وجهه".[٧] وقيل معنى ﴿ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ : (على شرط)[٨] وهو معنى مقارب للمعاني الآنفة.

---

(١) سورة الحج/ ١١.
(٢) اللسان مادة حرف.
(٣) التأويل ٣٦.
(٤) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٩٣، واللسان مادة حرف، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٧، والتاج مادة حرف.
(٦) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٩٣.
(٧) ينظر الكشاف ٣/٧.
(٨) تفسير القرطبي ١٢/ ١٧.

وحمل الشريف الرضي هذا المعنى على الاستعارة تشبيها لمن يفعل ذلك بالواقف على "طرف مهواة فأدنى عارض يزلقه وأضعف دافع يطرحه".[١]

٢١٨- ﴿ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾[٢]

الانقلاب الانصراف،[٣] ومعنى انقلب على وجهه: ارتدَّ من حيث أتى،[٤] كأن المراد بقوله ﴿ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ الجهة التي جاء منها. يفسر هذا ما ذكره الطبري عن الأعراب الذين يهاجرون من باديتهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم فإن وجدوا ما يرضيهم أقاموا على الإسلام وإلاّ ارتدوا على أعقابهم،[٥] ومثله ما رواه عن ابن جريج أن ناساً "من قبائل العرب وممن حولهم من أهل القرى يقولون نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فإن صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه وإلاّ لحقنا بأهلنا".[٦]

٢١٩- ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾[٧]

للوجوب معنيان، الأول هو الثبوت[٨] والآخر السقوط، ومنه وجب الحائط وجبة اذا سقط، وعن اللحياني وجب البيت وكل شيء سقط وجْبا ووجبة،[٩] ووجبت الشمس جبة إذا سقطت للتغيّب.[١٠]

---

(١) تلخيص البيان ١٤٩.
(٢) سورة الحج/١١.
(٣) المفردات مادة قلب.
(٤) ينظر التفسير ٢٩١، وتفسير الطبري١٧/٩٣، وتفسير القرطبي ١٢/١٨.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٧/٩٣.
(٦) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٧) سورة الحج/٣٦.
(٨) المفردات مادة وجب.
(٩) اللسان مادة وجب.
(١٠)ينظر تفسير الطبري ١٧/١١٩، والكشاف ٣/١٥.

وقد حُمِلت الآيــة علــى هــذا المعنى،[1] أي إذا سقطت جنوبها على الارض، وقد ورد هذا في حديث الضحية أيضاً (فلما وجبت جنوبها) أي سقطت الى الأرض، لأن المستحب أن تنحر الإبل قياماً معلّقة[2] وقد أشار الزمخشري الى أن معنى الوجوب السكون فيحمل المعنى على الثبوت، قال: "فإذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الأكل منها والاطعام".[3] والسكون في الذبيحة يكون بعد السقوط أي بعد أن تموت وتخرج أنفسها، ولذلك قيل معنى وجبت ماتت أو خرجت أنفسها.[4]

والحقيقة أن الموت قد كُنّي عنه بسقوط الذبيحة الى الأرض كما صرّح به القرطبي.[5]

٢٢٠- ﴿ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾[6]

أي في جهالتهم وعمايتهم وحيرتم وغفلتهم، وبهذا فُسِّر أيضاً قوله تعالى: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ قال ابن قتيبة: "أي في غطاء وغفلة"،[7] وقال الطبري: "وعنى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج".[8]

وأصله من الغمرة وهي معظم الماء الساترة لمقرها[9] فهي تغطي ما تحتها، والغمر هو الماء الذي يزيل أثر سيله وكذلك الغامر. لذلك قال

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١١٩/١٧، والكشاف ١٥/٣، وتفسير القرطبي ٦٣/١٢

(٢) اللسان مادة وجب.

(٣) الكشاف ١٥/٣

(٤) ينظر تفسير الطبري ١١٩/١٧، واللسان مادة وجب.

(٥) ٦٣/١٢.

(٦) سورة المؤمنون/٦٣،٥٤- الذاريات/١١.

(٧) التفسير ٢٩٨.

(٨) تفسيرالطبري ٢٨/١٨، وينظر الكشاف ٣٥/٣، وتفسير القرطبي ١٣٤/١٢.

(٩) المفردات مادة غمر.

الراغب أصل الغمر: "إزالة أثر الشيء"[١] ولذلك جُعلت الغمرة مثلا للجهالة، فيقال "هو في غمرة من لهو وشبيبة سكر".[٢] كما يقال "هو يضرب في غمرة اللهو ويتسكع في غمرة الفتنة وغمرة الموت شدة همومه".[٣] قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾[٤]

قال الشريف الرضي: "وهذه استعارة والمراد بها أن القوم الذين قال الله تعالى فيهم هذه الآية ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ أي في حيرة تغمرها وغمة تسترها... ومشبهة بغمرات الماء التي تغمر الواقع فيها وتأخذ بكظم المغمور بها".[٥].

٢٢١- ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[٦]

المعنى: وليسبلن خمُرهن على فرجات الجيوب ليخفين شعورهن وأعناقهن وما حولها.[٧] والخمُر جمع خمار وهو كل ما يستر به ثم أصبح عرفاً ما تغطي به المرأة رأسها.[٨] والجيب فتحة الثوب حول العنق، وقد يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها.[٩] ومعنى ضرب

---

(١) المفردات مادة غمر.
(٢) التاج مادة غمر.
(٣) اللسان مادة غمر.
(٤) سورة الأنعام/ ٩٣.
(٥) تلخيص البيان ١٥٤.
(٦) سورة النور/ ٣١.
(٧) ينظر تفسير الطبري ١٨/ ٩٤.
(٨) ينظر المفردات مادة خمر.
(٩) ينظر الكشاف ٣/ ٦٢.

الخمار القاؤه، وأصل الضرب إيقاع الشيء على الشيء. قال الراغب: "ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها"[١] ويختلف المعنى باختلاف آلة الضرب، ومن ذلك ضرب الخيمة اعتباراً بضرب الأوتاد. وقد حُمل ضرب الخمار هنا على هذا المعنى، لذلك عدّه الشريف الرضي استعارةً.[٢]

٢٢٢- ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[٣]

التقلّب التحول، يقال: "وتقلّب ظهراً لبطن وجنباً لجنب تحول"[٤]، ومعنى قوله تعالى: ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ ترجف وتخف من الجزع والخوف[٥]، ذلك لأن القلوب يوم القيامة تتحول فيه من الشك والكفر إلى اليقين والإيمان، وأما الأبصار فإنها تزول عنها غشاوتها فترى الحقائق بأعيانها[٦]. "فتقلّب القلوب انتزاعها من أماكنها إلى الحناجر، فلا هي ترجع إلى أماكنها، ولا هي تخرج[٧]".

وفي هذا استعارة لأن القلوب لاتتحول عن أماكنها ولاتتغير، وإنما الذي يتغيّر الإدراك والفهم، أو أنها تكون في حيرة وخوف من هول مايقع يوم القيامة. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾[٨]، فالأفئدة "مسترجفة لتعاظم أسباب المخاوف وتكون الأبصار منزعجة لتوقّع طلوع المكاره[٩]".

---

(١) المفردات مادة ضرب.
(٢) ينظر تلخيص البيان ١٥٧.
(٣) سورة النور / ٣٧، الأنعام / ١١٠.
(٤) اللسان مادة قلب.
(٥) التاج مادة قلب.
(٦) التأويل ٣٢٩.
(٧) تفسير القرطبي ١٢/٢٨٠.
(٨) سورة الأنعام / ١١٠.
(٩) تلخيص البيان ٣٩.

٢٢٣ـ ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾(١)

القوام بالفتح العدل(٢)، ونظيره السواء من الاستواء(٣) وقرأ الجمهور هذه الآية بالفتح، والمراد أن تكون النفقة بالعدل والمعروف، بين الاسراف والتقتير،(٤) بحيث لا يرجح أحدهما على الآخر.

وقرىء بكسر القاف.(٥) "والقيام والقوام اسم لما يقوّم به الشيء أي يثبت كالعماد والسناد لما يعمد ويسند به".(٦) وهو ما يدوم عليه الأمر ويستقر. والمعنى أن تكون النفقة بين الاسراف والتقتير أي مبلغاً وسداداً وملاك حال.(٧)

---

(١) سورة الفرقان/ ٦٧.

(٢) اللسان مادة قوم.

(٣) ينظر الكشاف ٣/ ١٠٠.

(٤) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٣، وتفسير الطبري ٩/ ٢٥.

(٥) هي قراءة حسان بن عبدالرحمن، ينظر مختصر في شواذ القراءات ١٠٥، وينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٧٤.

(٦) المفردات مادة قوم.

(٧) ينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٧٤.

٢٢٤-﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾[1]

الانطلاق التحرر من الوثاق، يقال: "أطلقت البعير من عقاله، وطلقته وهو طالق وطلق بلا قيد".[2] وفي الآية إشارة الى ما كان في لسان موسى من حبسة أي لا ينطلق لساني "بالعبارة عما ترسلني به إليهم"[3] فأعجز عن تبليغها. وهذا من قولهم لسان طلق أي فصيح وهو مجاز،[4] أي استعارة لما فيه من تشبيه اللسان بالشيء المقيّد كالبعير ونحوه فينطلق إذا أزيل عنه الوثاق.

٢٢٥﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [5]

للايزاع معانٍ متقاربة منها الدفع والكف والمنع. فالكف والدفع مأخوذ من وازع الجيش وهو الذي يكفهم عن التفرق ويرد من شذّ منهم، ويقال وزعتُ الرجل إذا كففته،[6] ثم تحول المعنى الى الاغراء، فيقال أوزعته بكذا أي أغريته به وهو موزع بكذا ومولع بكذا.[7] وبهذا المعنى فسر الطبري قوله تعالى﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ [8] ثم تحول المعنى الى الايلاع والالهام.[9] وقيل المعنى ألهمني، وتحقيقه أولعني ذلك واجعلني بحيث أزع نفسي عن الكفران.[10]

---

(١) سورة الشعراء/ ١٣.
(٢) المفردات مادة طلق.
(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٤٠.
(٤) ينظر التاج مادة طلق.
(٥) سورة النمل/ ١٧، ١٩، ٨٣ ـ فصلت/ ١٩ ـ الأحقاف/ ١٥.
(٦) التفسير لابن قتيبة ٤٠٧.
(٧) ينظر المصدر السابق، نفس الموضع.
(٨) ينظر تفسير الطبري ٢٦/ ١٢.
(٩) ينظر التفسير ٤٠٧، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٩٤.
(١٠) المفردات مادة وزع.



٢٢٦- ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[١]

الردف من المرأة عجيزتها،[٢] وردف كل شيء تبعه،[٣] وحقيقة الردف "هي حمل الانسان غيره مما يلي ظهره على مركوب تحته".[٤] واختلف في معنى ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ لاختلافهم في اللام أهي زائدة أم غير زائدة. فالذين قالوا إن اللام زائدة، قالوا إن المعنى تبعكم أي ردفكم، يقال: "نزل بهم أمر فردف لهم آخر أعظم منه".[٥] والذين ذهبوا الى أن اللام ليست زائدة قالوا إن الفعل تضمّن معنى دنا أو قرب، أي دنا بعض الذي تستعجلون من عذاب الله.[٦] وقيل المعنى دهمكم[٧] أو أعجل لكم[٨] وهذان محمولان على المعنى الأول. وفرّق الشريف الرضي بين الردف والتابع، لأن في التابع عنده "معنى الطلب لموافقته الأول وليس ذلك في الردف".[٩]

والأمر محمول على الاستعارة أيضاً لما فيه من تشبيه العذاب الداني أو اللاصق بالتابع أو الردف.[١٠]

---

(١) سورة النمل/ ٧٢.
(٢) المفردات مادة ردف.
(٣) ينظر اللسان مادة ردف.
(٤) تلخيص البيان ١٧٢.
(٥) التاج مادة ردف.
(٦) ينظر في هذين المعنيين التفسير لابن قتيبة ٣٢٦، وتفسير الطبري ٢٠/ ٧، والكشاف ٣/ ١٥٨، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٠.
(٧) اللسان مادة ردف.
(٨) تفسير الطبري ٢٠/ ٧.
(٩) تلخيص البيان ١٧٢.
(١٠) ينظر المصدر السابق، نفس الموضع.

٢٢٧- ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾[١]

الفراغ خلاف الشغل[٢] وهو الخلاء.[٣] واختلف في معنى الآية فقيل إن المعنى أنّ فؤادها أصبح خالياً من الحزن وهو قول أبي عبيدة والأخفش أيضاً،[٤] وأنكر عليه ابن قتيبة هذا التفسير، قال: "وهذا من أعجب التفسير. كيف يكون فؤادها من الحزن فارغاً في وقتها ذلك،والله سبحانه يقول: ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ وهل يُربط إلا على قلب الجازع والمحزون؟"[٥] وقيل إن المعنى أصبح خالياً إلا من ذكر موسى،[٦] وقيل المعنى أصبح فؤادها خالياً من وحي الله إليها حين أمرها بأن لا تخاف ولا تحزن وأن تلقيه في اليم وأن الله سيرده إليها، ولكنها خافت وحزنت،[٧] ورُوي عن ابن عباس أنها كادت تقول: (وا إبناه) وهذا يشبه قول من قال إن المعنى أصبح خالياً من الصبر.[٨]

وقيل إن المعنى ذهاب العقل، وهذا قول مالك ومعناه أنها حين سمعت أنه وقع في يد فرعون طار عقلها،[٩] وهو اختيار الزمخشري، قال: "وذلك أن القلوب مراكز العقول، ألا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها... يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها".[١٠] وقال الكسائي المعنى ناسياً ذاهلاً، وقيل فارغاً نافراً.[١١]

---

(١) سورة القصص/ ١٠.
(٢) المفردات مادة فرغ.
(٣) اللسان مادة فرغ.
(٤) ينظر التفسير لابن قتيبة ٣٢٨، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٥.
(٥) التفسير ٣٢٨.
(٦) ينظر التفسير ٣٢٩، وتفسير الطبري ٢٠/ ٢٣.
(٧) ينظر تفسير الطبري، نفس الموضع.
(٨) ينظر اللسان والتاج مادة فرغ.
(٩) ينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٥.
(١٠) الكشاف ٣/ ١٦٧.
(١١) ينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٥.

وهذه المعاني متقاربة إلا ما ذهب إليه أبو عبيدة والأخفش. ويمكن القول إن هذا تعبير عن ذهاب العقل سبّبه الجزع والحزن والنفور ونسيان ما أوحي إليها. والعرب تستعمل هذا في موضع الجبن والخوف، فتقول فؤاده هواء،[1] وكذلك تقول أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء.[2]

والأصل في توجيه هذا المعنى أن الأفئدة مشبهة عندهم بالأوعية، والوعاء يكون فارغاً ويكون ممتلئاً. فالأمر محمول على الاستعارة، ولكن فراغ الأفئدة هنا لا يعني إنها خاوية من كل شيء، ففؤادها مملوء بالغم والحزن كما يقول الشريف الرضي. وحسن وصفه بالفراغ من الصبر والثبات والتماسك والوقار، وإن كان ممتلئاً بأضداد هذه الأشياء. قال: "والممتلىء من الأشياء المذمومة كالفارغ إذا كان امتلاؤه مما لا فائدة فيه ولا عائدة له".[3]

٢٢٨- ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ ﴾ [4]

أصل الجنب الجارحة، وهي جنب الانسان ويستعار للناحية، واشتق منه الفعل على وجهين أحدهما الذهاب على ناحيته، والثاني الذهاب إليه. وعلى المعنى الأول قوله تعالى ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾[5] أي البعيد.[6] وعلى معنى البُعد فسر قوله تعالى ﴿عَن جُنُبٍ﴾ في الآية، أي عن بعد منها عنه وإعراض،[7] وهو مذهب أكثر المفسرين أي لم تدن منه ولم تقرب لئلا يعلم

(١) ينظر التفسير ٣٢٩.
(٢) ينظر الكشاف ٣/ ١٦٧.
(٣) تلخيص البيان ١٧٤.
(٤) سورة القصص/ ١١.
(٥) سورة النساء/ ٣٦.
(٦) ينظر المفردات مادة جنب.
(٧) التفسير ٣٢٩.

أنها منه بسبيل،[1] فنظرت إليه مزورّة متجانفة مخاتلة،[2] ومنهم من يقدّر أن في الآية حذفاً أي عن مكان جُنُب.[3]

وقيل إن المعنى أنها بصرت به عن شوق. "وحكى أبو عمرو بن العلاء أنها لغة جذام، يقولون جنبت إليك أي اشتقت"[4] وعلى هذا فهو مأخوذ عن المعنى الثاني للفعل وهو الذهاب إليه. وفيه معنى القرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ أي القريب.[5]

٢٢٩- ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [6]

المعنى قتله،[7] والقضاء يأتي على ثلاثة معان. الأول بمعنى الحتم وهو الأصل عند ابن قتيبة. ثم يصير الحتم بمعان منها أمر كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾،[8] ومنها أعلم كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾،[9] ومنها صنع كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾.[10] والمعنى الثاني: الفراغ من الشيء، قاله ابن قتيبة في التفسير،[11] وهذا يشبه قول الزجاج: "القضاء في اللغة على ضروب كلها ترجع الى معنى انقطاع الشيء وتمامه".[12]

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٢٦.

(٢) الكشاف ٣/ ١٦٧.

(٣) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٧.

(٤) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٥) ينظر المفردات مادة جنب.

(٦) سورة القصص/ ١٥ ـ الزمر/ ٤٢ ـ الزخرف/ ٧٧ ـ فاطر/ ٣٦.

(٧) التفسير ٣٣٠، والكشاف ٣/ ١٦٨.

(٨) سورة الاسراء/ ٢٣.

(٩) سورة الاسراء/ ٤.

(١٠) سورة فصلت/ ١٢، وينظر التأويل ٤٤١.

(١١) ٣٣٠، وينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦١.

(١٢) التاج مادة قضى.

والمعنى الثالث: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً قاله الراغب كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾.[1]

وقد وجه معنى قضى عليه على المعنى الثاني، أي فرغ من قتله.[2] ومنه قولهم قضى نحبه أي مات، وقولهم ضربه فقضى عليه أي قتله كأنه فرغ منه.[3] ولذلك قيل للمنية القاضية أي التي تقضي.[4]

٢٣٠- ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾[5]

الأمر مصدر أمرته إذا كلفته أن يفعل شيئاً، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها.[6] وائتمر القوم أي أمر بعضهم بعضاً. واختلف في معناه في الآية، فقيل معناه التشاور وهذا هو قول أبي عبيدة والزمخشري.[7] وغلط القتيبي[8] أن يكون الائتمار بمعنى التشاور، وذهب الى أن المعنى يهمّون بك وعنده أن المعنى لو كان كما قال أبو عبيدة لقال إن الملأ يتأمّرون بك، ويتضح هذا عنده في توجيه معنى البيت:

أحارُ بن عمرو فؤادي خمرْ ويعدو على المرء مايأتمر

فعنده لا يجوز أن يكون الائتمار هنا بمعنى التشاور، إذ كيف يعدو على المرء تشاوره، والتشاور بركة.[9] وقال الزجاج المعنى يأمر بعضهم بعضاً

---

(١) سورة غافر/ ٢٠، والمفردات مادة قضى.
(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٠.
(٣) التاج مادة قضى.
(٤) ينظر اللسان والتاج مادة قضى.
(٥) سورة القصص/ ٢٠.
(٦) المفردات مادة أمر.
(٧) الكشاف ٣/١٧٠، وينظر اللسان مادة أمر.
(٨) اللسان مادة أمر.
(٩) ينظر اللسان مادة أمر.

بقتلك.[1] ووجّه الطبري المعنى على هذين المعنيين جميعاً، أعني التآمر والتشاور، وزاد معنى يرتؤون. قال: "يا موسى إن أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك ويتشاورون ويرتؤون فيك".[2] ومعنى يرتؤون عنده مقارب لمعنى يهمّون، ووجّه معنى البيت:

ما تــأتمــر فينـــا فأمـــ ـــرك في يمينك أو شمالك

على هذا، قال: "يعني ماترتئي وتهم به".[3]

٢٣١- ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾[4]

العضد ما بين المرفق الى الكتف،[5] ومعنى شد العضد التقوية والإعانة، أي نقويك ونعينك بأخيك.[6] قال الزمخشري: "فإمّا أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد، والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور، وإمّا لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة".[7]

والعرب تقول شدّ فلان على عضد فلان إذا أعزه ومنعه ممن أراده بظلم وأعانه وهو من عاضده على أمره.[8] وهذا عند الزجاج مثل أي استعارة، لأن اليد قوامها عضدها. وكل معين فهو عضد.[9]

---

(١) ينظر اللسان مادة أمر.
(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٣.
(٣) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٤) سورة القصص/ ٣٥.
(٥) المفردات مادة عضد.
(٦) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٨، وينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٢٨٧.
(٧) الكشاف ٣/ ١٧٦.
(٨) ينظر تفسير الطبري ٢٠/ ٤٨.
(٩) واللسان مادة عضد.

ووضح الشريف الرضي هذه الاستعارة، فذكر أن المراد بها "تقويته على إنفاذ الأمر وتأدية الوحي بأخيه، لأن اشتداد العضد والساعد في قولهم عبارة عن القوة والجَلَد والقدرة على العمل".(١)

٢٣٢-﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾(٢)

معنى الآية النهي عن الاعراض تكبراً عن الفراء،(٣) وعدم إيلاء الناس شق الوجه وصفحته من التكبر أيضاً،(٤) وقيل هو النهي عن ليّ الشدق إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره.(٥)

"وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها"(٦) والصَعَر يكون في الانسان والابل والظليم خلقة،(٧) والتصعير إمالة العنق عن النظر كبراً،(٨) وقيل هو التشدق،(٩) وقيل هو انقلاب الوجه الى أحد الشقين.(١٠)

---

(١) تلخيص البيان ١٧٥.
(٢) سورة لقمان/ ١٨.
(٣) هذا ما نقله صاحب اللسان عن الفراء، ولم أجده في موضعه والذي قاله: "لا تميّل خدك عن الناس" ٢/ ٣٢٨. وينظر التفسير لابن قتيبة ٣٤٤، وتفسير الطبري ٢١/ ٤٧.
(٤) ينظر الكشاف ٢/ ٥١٧.
(٥) ينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٧٠.
(٦) تفسير الطبري ٢١/ ٤٧.
(٧) ينظر المفردات واللسان مادة صعر.
(٨) المفردات مادة صعر.
(٩) تفسير الطبري ٢١/ ٤٧.
(١٠) ينظر اللسان مادة صعر.

وهذا المعنى أي الاعراض تكبراً أو التشدق كذلك محمول على الكناية، لأن إشاحة الوجه ورفع النظر من صفات المتكبر. قال الشريف الرضي: "ومن صفات الكبر رفع الطرف حتى كأنه معقود بالسماء".(١)

٢٣٣- ﴿تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ﴾(٢)

الظهار "أن يقول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي".(٣) وفي اللسان إذا قال: "هي عليّ كظهر ذات رحم"،(٤) أي يحرمها تحريم ظهور الأمهات.(٥) وهذا كان طلاق الرجل امرأته في الجاهلية الذي إذا قاله رجل لامرأته لم يرجع إليها أبداً.(٦)

وقد قُصِد الظهر بالتحريم هنا إمّا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل فهو مجاز، وإما من باب الكناية عن المركوب. قال ابن قتيبة الذي يذهب الى المعنى الأول: "ثم تبع هذا كل ما كان من الأم محرماً على الابن أن يطأه كالبطن والفخذ وأشباه ذلك".(٧) وقال القرطبي في توضيح المعنى الثاني: "ومعنى أنت عليّ محرمة لا يحل لي ركوبك. حقيقة الظهار تشبيه ظهر بظهر والموجب للحكم منه تشبيه ظهر محلل بظهر محرم".(٨)

وقد عُدّي الظهار بمن لأنه ضمّن معنى التجنب. قال ابن الأثير: "وإنما عدي الظهار بمن لأنهم كانوا إذا ظاهروا المرأة تجنبوها كما يتجنبون المطلقة ويحترزون منها".(٩)

---

(١) تلخيص البيان ١٨٦.
(٢) سورة الأحزاب/ ٤ ـ المجادلة/ ٢، ٣.
(٣) المفردات مادة ظهر.
(٤) مادة ظهر.
(٥) ينظر التفسير لابن قتيبة ٤٥٦.
(٦) ينظر تفسير الطبري ٢٨/ ٦.
(٧) التفسير ٤٥٦.
(٨) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٧٣.
(٩) اللسان مادة ظهر.

٢٣٤- ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[١]

الزيغ الميل عن الاستقامة،[٢] وزيغ الأبصار عدولها أو كلالها.[٣] وقيل أيضاً شخوصها عن قتادة.[٤] والمعنى أن الأبصار عدلت عن مكانها وشخصت طامحة.[٥] قال الراغب: "يصح أن يكون (أي البصر) إشارة الى ما قال: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ "[٦] وسبب هذا هو الخوف، فالأبصار حينئذ إمّا أن تشخص لهول ما ترى، أو تضطرب وتتلفت حيرة.[٧] ومن عادة الخائف "أن يكثر التفاته وتتقسم ألحاظه"، كما يقول الشريف الرضي.[٨] وهذه كناية من الكنايات القرآنية البليغة.

٢٣٥- ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾[٩]

المعنى أنها كادت تبلغ الحلوق من الخوف،[١٠] وذلك لأن القلب عند الخوف ينبو عن مكانه فيطلب الصعود، وقيل إن المقصود بالقلب الرئة لتجاورهما، إذ يقال للخائف الجبان انتفخ سحره، والسحر هو الرئة.[١١] ويحتمل أن المراد بالقلوب هنا وجيبها. قال ابن قتيبة: "إنها ترجف من شدة الفزع وتجف ويتصل وجيفها بالحلوق، فكأنها بلغت الحلوق بالوجيب".[١٢]

---

(١) سورة الأحزاب/ ١٠ – ص/ ٦٣ – النجم/ ١٧.
(٢) المفردات مادة زيغ.
(٣) ينظر التفسير لابن قتيبة ٣٤٨، واللسان مادة زيغ.
(٤) ينظر تفسير الطبري ٢١/ ٨٣.
(٥) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٦) المفردات مادة زيغ.
(٧) ينظر الكشاف ٢/ ٥٣٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٤٤.
(٨) تلخيص البيان ١٩٠.
(٩) سورة الأحزاب/ ١٠ – غافر/ ١٨.
(١٠) ينظر التأويل ١٧١، والتفسير لابن قتيبة ٣٤٨، وتفسير الطبري ٢١/ ٨٣.
(١١) ينظر تلخيص البيان ١٩٠، والكشاف ٢/ ٥٣٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٤٥.
(١٢) التأويل ١٧١، وينظر تلخيص البيان ١٩٠، والكشاف ٢/ ٥٣٢.

وهذا مثل يضرب لشدة الخوف والفزع، وإن كانت القلوب لا تزول عن أماكنها ولا تبلغ الحناجر.(١)

وأجاز الشريف الرضي أن يكون المراد بالقلوب هنا النفوس فهي توشك أن تخرج من شدة الفزع وعظيم الكرب.(٢)

٢٣٦- ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ (٣)

يراد بدوران العين هنا تحركها وعدم إستقرارها. والمعنى كما يقول الطبري أن أعينهم تدور خوفاً من القتل، وفراراً منه كدوران عين الذي يُغشى عليه من الموت النازل به،(٤) وزاد الزمخشري أنهم يفعلون ذلك حذراً وخوفاً ولواذاً.(٥) وعند القرطبي أنهم يفعلون ذلك "لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر الى جهة".(٦)

وهذه كناية سواء أكانت عن الحذر والخوف، أم عن ذهاب العقل.

٢٣٧- ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾(٧)

للسلق معان منها شدة الصوت، وفيه لغة أخرى وهو الصلق وأصله الضرب.(٨) وعلى هذا حُمِل معنى الآية. قال الفراء معناه عضوكم، يقول آذوكم بالكلام في الأمر بألسنة سليطة ذربة.(٩) ومن معاني السلق أيضاً

---

(١) ينظر الكشاف ٢/ ٥٣٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٤٥.

(٢) تلخيص البيان ١٩٠.

(٣) سورة الأحزاب/ ١٩.

(٤) التفسير ٢١/ ٨٩.

(٥) الكشاف ٢/ ٥٣٤.

(٦) تفسير القرطبي ١٤/ ١٥٤.

(٧) سورة الأحزاب/ ١٩.

(٨) التفسير لابن قتيبة ٣٤٩، وينظر اللسان مادة سلق.

(٩) معاني القرآن ٢/ ٣٣٩ وليس فيه عبارة عضوكم كما نقل صاحب اللسان، وينظر التفسير لابن قتيبة ٣٤٩، وتفسير الطبري ٢١/ ٩٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٥٤.

ركوب البعير إدباراً. وعلى هذا حمل الشريف الرضي معنى الآية أي طعنوكم بألسنتهم وغمروكم بذمهم وعيبهم، وأثروا فيكم بأقوالهم وحزّوا في قلوبكم بكلامهم، كما يؤثر الراكب في ظهر البعير بإدمان السير وإنماط الرحل.(١) ومن معانيه البسط بقهر، إمّا باليد أو باللسان، وعلى هذا حمل الراغب معنى الآية.

قال ومنه التسلق على الحائط.(٢) وهذا القول أشبه بقول الشريف الرضي.

والسلق باللسان استعارة لما فيها من تشبيهه بالسوط أو نحوه من آلات الضرب، أو كما يقال علاه بسيفه إذا أجهز عليه به. وفي وصف الألسنة بالحدة استعارة أوضح، أو هي كما يقول الشريف الرضي محض استعارة "تشبيهاً لها بمضارب الصفاح ولهاذم الرماح لشدة وخزها في القلوب وحزّها في الجنوب".(٣)

٢٣٨- ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾(٤)

للنحب في العربية معان منها النذر والأجل والموت والحاجة والهمة والبرهان والمدة والوقت.(٥) وقد وُجِّه معنى الآية على بعض هذه المعاني. فالمعنى عند الفراء والزجاج قضى أجله.(٦) غير أن ابن قتيبة والطبري والزمخشري وجّهوه على معنى النذر. قال ابن قتيبة: "والنحب النذر. وأصل هذا أن رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نذروا إن لقوا العدو ليصدقنّ القتال أو ليقتلنّ هذا أو نحوه، فقتلوا فقيل لمن قُتل قضى نحبه".(٧) وعنده أن معنى الأجل في النحب قد استعير من معناه النذر، لأن

(١) ينظر تلخيص البيان ١٩٠، ١٩١.

(٢) ينظر المفردات مادة سلق.

(٣) تلخيص البيان ١٩١.

(٤) سورة الأحزاب/ ٢٣.

(٥) ينظر اللسان والتاج مادة نحب.

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٤٠، وينظر اللسان والتاج مادة نحب.

(٧) التأويل ١٨٣، ١٨٤، وينظر التفسير ٣٤٩.

النذر سبب فيه.[١] وقد استشهد هؤلاء الناذرون بعض في بدر، وبعض في أُحُد، وبعض في غير ذلك من المواطن، ففرغوا بذلك من العمل الذي أوجبوه على أنفسهم.[٢]

والمعنى عند الزمخشري يحتمل الموت استشهاداً، ويحتمل الوفاء بالنذر، أي منهم من قضى أجله شهيداً، أو منهم من قضى نذره لأن قضاء النحب عنده عبارة عن الموت. فكل حي لابد له أن يموت، فكأنه نذر لازم في رقبته.[٣]

٢٣٩- ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[٤]

القطمير الفوفة التي فيها النواة، أو هو ما بين القمع والنواة.[٥] وفي اللسان القطمير والقطمار شق النواة. والفوفة قشرة دقيقة بين النواة والتمر. وقيل هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة التي تنبت منها النخلة.[٦] ومعنى الآية ما يملكون من شيء أي فما يملكون قشر نواة فما فوقها.[٧] قال ابن قتيبة: "وهو من الاستعارة في قلة الشيء وتحقيره".[٨]

---

(١) التأويل ١٨٤.
(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٩٢.
(٣) ينظر الكشاف ٢/ ٥٣٥.
(٤) سورة فاطر/ ١٣.
(٥) التأويل ١٣٨، والتفسير ٣٦٠.
(٦) ينظر اللسان مادة قطمر.
(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٨٢.
(٨) التفسير ٣٦٠.

٢٤٠-﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾[(١)]

الختم هو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء.[(٢)] ومعنى الآية "نطبع على أفواه المشركين وذلك يوم القيامة".[(٣)] أي نمنعهم من الكلام.[(٤)]

٢٤١-﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ ﴾[(٥)]

الطمس إزالة الأثر بالمحو.[(٦)] ومعنىَ الطمس على الأعين إزالة أبصارها، ومثله طموس النجم والقمر وهو ذهاب ضوئه.[(٧)] وقد يكون طمس الأبصار بالمسخ، إذ يقال أعمى مطموس وهو الذي لا يكون بين جفنيه شق.[(٨)] هذا عند من أوله على ذهاب البصر حقيقة، وعن الطبري أن بعضهم قال إن المعنى لو نشاء لأعميناهم عن الهدى وأضللناهم عن قصد المحجة.[(٩)] وكذا قال الشريف الرضي، فهي كما يقول "استعارة والمراد بالطمس هاهنا إذهاب نور الأبصار حتى يبطل إدراكها تشبيها بطمس حروف الكتاب حتى تشكل قراءتها".[(١٠)]

---

(١) سورة يس/ ٦٥.

(٢) اللسان مادة ختم، وينظر قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ سورة البقرة/ ٧ في هذا الكتاب.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ١٧.

(٤) المفردات مادة ختم.

(٥) سورة يس/ ٦٦ – القمر/ ٣٧.

(٦) المفردات مادة طمس، وينظر التاج نفس المادة.

(٧) ينظر اللسان مادة طمس.

(٨) ينظر التفسير لابن قتيبة ٣٦٧، والكشاف ٢/ ٥٩٢.

(٩) تفسير الطبري ٢٣/ ١٧.

(١٠) تلخيص البيان ٢٠١.

٢٤٢- ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾[١]

أصل اليمين الجارحة،[٢] أي اليد اليمنى. ولها في الكلام العربي معانٍ منها الدلالة على الدين والحق والخير والقوة.[٣] والمعنى أنكم كنتم تخدعوننا وتفتنوننا،[٤] فتلبسون علينا الحق لأنكم كنتم تأتوننا من جهة الدين فتخدعوننا بأنكم تريدون لنا الخير وأنتم تريدون لنا الشر، وهذا قول المشركين لشياطينهم. قال ابن قتيبة: "قال المفسرون فمن أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبّس عليه الحق، ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات، ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بيوم القيامة والثواب والعقاب، ومن أتاه من خلفه خوّفه الفقر على نفسه وعلى من يخلّف بعده، فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة. فقال المشركون لقرنائهم إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا من جهة الدين فتشبهون علينا فيه حتى أضللتمونا".[٥]

وكون اليمين بمعنى الحق والخير من باب غلبة المجاز حتى يلحق بالحقائق، وبذلك رد الزمخشري على من أنكر هذاالمعنى حين تساءل: "كيف يكون اليمين مجازاً عن المجاز"؟[٦] وعنده أيضاً يمكن أن يحمل معنى اليمين على القوة والقهر، لأنها موصوفة بالقوة أي أن المشركين يقولون لشياطينهم" انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر، وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه".[٧]

---

(١) سورة الصافات/ ٢٨.
(٢) المفردات مادة يمن.
(٣) ينظر المصدر السابق، والتأويل ٣٤٨، وتفسير الطبري ٢٣/ ٣٢، والكشاف ٢/ ٦٠٠، واللسان مادة يمن.
(٤) التفسير لابن قتيبة ٣٧٠.
(٥) التأويل ٣٤٨، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢، والكشاف ٢/ ٦٠٠.
(٦) الكشاف ٢/ ٦٠٠.
(٧) المصدر السابق نفس الموضع.

٢٤٣- ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [١]

القصر الحبس[٢] والمراد بالطرف البصر. ومعنى قاصرات الطرف: الحابسات أبصارهم على أزواجهن ولايطمحن الى غيرهم. [٣]وقال الفراء:" قاصرات الطرف حور قد قصرن أنفسهن على أزواجهن فلا يطمحن الى غيرهم".[٤]يقال قصرت نفسي على الشيء اذا حبستهاعليه وألزمتها اياه،[٥] فالمعنى عند الفراء أنهن يقصرن أنفسهن على أزواجهن ولا يطمحن في غيرهم.

أما ابن قتيبة والطبري والزمخشري فالنظر عندهم هو المقصود فهُن لا يمددنه الى غير أزواجهن. وحصر الراغب في المعنى أنهن لايمددن طرفهن الى ما لا يجوز.[٦]

وجمع الشريف الرضي بين المعنيين، وذهب الى أن في (الطرف) استعارة، قال:"وجيء بذكر الطرف على طريق المجاز،"والا فحقيقة المعنى أنهن حبسن الأنفس على الازواج عفة وديناً وطلقاً وصوناً[٧] وقد وضح هذا المعنى بأن الذي يقصر نفسه على شيء يقصر نظره عليه، لأن طماح الأعين كما يقول يكون في الأكثر سببا لتتبع النفوس.

---

(١) سورة الصافات/٤٨- ص/٥٢ - الرحمن/ ٥٦ .
(٢) التفسير لابن قتيبة ٣٧١، والتاج مادة قصر.
(٣) التفسير لابن قتيبة ٣٧١، وتفسير الطبري ٨٧/٢٧، والكشاف ٦٠١/٢.
(٤) اللسان مادة قصر، ولم أجده في موضعه في معاني القرآن.
(٥) التاج مادة قصر .
(٦) ينظر المفردات مادة قصر .
(٧) تلخيص البيان ٢٠٢.

٢٤٤- ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴾ (١)

يأتي الترك بمعنى الإبقاء،(٢) وبه فُسّر الترك في الآية. وفيه اختصار بالحذف أي أبقينا له ثناءً حسناً في من يأتي بعده من الأمم، فحذف الثناء الحسن للعلم به.(٣)

٢٤٥- ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ (٤)

الروغ والروغان للثعلب إذا مال ليخدع من خلفه (٥).وعند الراغب أنه الميل على سبيل الاحتيال، وطريق رائغ إذا لم يكن مستقيماً.(٦) والمعنى أن إبراهيم أقبل على هذه الآلهة خفية يكسرها بفأسه.(٧) وقد فسر الروغان في الآية بالذهاب أو الإقبال أو المجيء أو الميل أو العدول، والمعنى في كل هذا متقارب.(٨) قال الفراء : "أي مال عليهم ضرباً واغتنم خلوتهم من أهل دينهم، وكأن الروغ هاهنا أنه اعتل روغاً ليفعل بآلهتهم ما فعل".(٩)

---

(١) سورة الصافات/٧٨، ١٠٨، ١١٩، ١٢٩.
(٢) ينظر اللسان مادة ترك.
(٣) ينظر التأويل ٢٣٠، والتفسير ٣٧٢، وتفسير الطبري ٤٣/٢٣، ٥٦، وتفسير القرطبي ٩٠/١٥.
(٤) سورة الصافات /٩١، ٩٣-الذاريات /٢٦ .
(٥) ينظر التاج مادة روغ.
(٦) المفردات مادة روغ.
(٧) ينظر تفسير الطبري ٤٦/٢٣.
(٨) ينظر تفسير القرطبي ٩٤/١٥.
(٩) معاني القرآن ٣٨٨/٢، ونقل عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ " معناه رجع إلى أهله في حال إخفاء منه لرجوعه ولا يقال للذي رجع قد راغ إلا أن يكون مخفياً لرجوعه". اللسان مادة روغ، ونصه في النسخة المطبوعة: رجع إليهم. والروغ وإن كان على هذا المعنى فإنه لاينطق به حتى يكون صاحبه مخفياً لذهابه أو مجيئه٣ /٨٦. وينظر في هذا المعنى أيضاً التفسير ٣٧٢.

٢٤٦ - ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [١]

الفصل إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى تكون بينهما فرجة، ويستعمل في الأقوال والأفعال.[٢] وفسر ابن قتيبة ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ بأنه قولهم" أما بعد. ويقال الشهود والأيمان، لأن القطع في الحكم بهم".[٣] وإنما سميت عبارة (أما بعد) بذلك لأنها تفصل بين الكلامين.[٤] وفسر أيضاً بأنه علم القضاء والفهم به، أو بأنه تكليف المدَّعي البيّنة واليمين على المدّعى عليه.[٥]

وأعمّ الراغب ذلك فقال هو" مافيه قطع الحكم"[٦] ووجهه الزمخشري إلى أنه نقيض الملتبس أي المختلط، لأنهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس." فمعنى فصل الخطاب البيّن من الكلام الملخص الذي يتبيّنه من يخاطب به لايلتبس عليه".[٧] وقيل المعنى أنه يفصل بين الحق والباطل.[٨] وكل ذلك محمول على معنى القطع، فهو إذن استعارة تشبيهاً له بالقاطع الذي يفرّق الأشياء ويفصلها، فلا تلتبس ولايتداخل بعضها ببعض.

٢٤٧- ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [٩]

المسح إمرار اليد على الشيء وإزالة الأثر عنه.[١٠] وفسر المسح في الآية بأنه ضرب السوق والأعناق،[١١] والمقصود الضرب بالسيف، أي

---

(١) سورة ص/٢٠.
(٢) المفردات مادة فصل.
(٣) التفسير لابن قتيبة ٣٧٨.
(٤) ينظر التاج مادة فصل
(٥) ينظر تفسير الطبري ٢٣/٨٨.
(٦) المفردات مادة فصل.
(٧) الكشاف ٣/٧.
(٨) اللسان مادة فصل.
(٩) سورة ص/٣٣.
(١٠) المفردات مادة مسح.
(١١) التفسير لابن قتيبة ٣٧٩.

يقطع أعناقها ويعرقبها، يقال مسح علاوته إذا ضرب عنقه،[1] ويقال أيضاً مسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه. ونقل الزمخشري عن الحسن قوله كسف عراقيبها وضرب أعناقها قال:" أراد بالكسف القطع، ومنه الكسف في ألقاب الزحاف في العروض، ومن قاله بالشين المعجمة فمـــصحّف".[2]

وهذا تفسير أكثر المفسرين، أي إنهم حملوا المعنى على المجاز. قال الشريف الرضي:" وهذه استعارة لأن المسح هاهنا في أكثر أقوال أهل التأويل كناية عن الضرب بالسيف... وهذه الباء هاهنا للإلصاق فكأنه تعالى قال فألصق السيف بسوقها وأعناقها، كما يقول القائل مسحت يدي بالمنديل أي ألصقتها به".[3]

ومن المفسرين من حمل المعنى على الحقيقة، فقال:" جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حباً لها"،[4] وقيل مسحها بالماء. وردّ الزجّاج ذلك بأنه يتنافى مع شغلها إياه عن ذكر الله. قال:" وإنما قال ذلك قوم لأن قتلها كان عندهم منكراً، وما أباحه الله فليس بمنكر، وجائز أن يبيح ذلك لسليمان عليه السلام في وقته، ويحظره في هذا الوقت".[5]

٢٤٨ - ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾[6]

قال الراغب:" أصل الجنب الجارحة، ثم يستعار في الناحية التي تليها كعادتهم في استعارة سائر الجوارح لذلك.[7] واختلف في تفسير مراده في

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٣/١٠٠.

(٢) الكشاف ٣/١٤، وورد بالسين (الكسف) في التعريفات للجرجاني، والظاهر أنه بالشين أيضاً، وهو إسقاط سابع (مفعولات) ليبقى (مفعولاً) فينقل إلى (مفعولن). معجم مصطلحات العروض والقوافي ٢٢٠.

(٣) تلخيص البيان ٢٠٤.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/١٠٠، وينظر الكشاف ٣/١٤.

(٥) التاج مادة مسح.

(٦) سورة الزمر/٥٦.

(٧) المفردات مادة جنب



الآية،" فقال الفراء أي على ما فرّطت في قرب الله وجواره، يقال فلان يعيش في جنب فلان أي في جواره، ومنه والصاحب بالجنب، أي على ما فرطت في طلب جواره وقربه وهو الجنة".[1]

وقال الزجّاج المعنى على ما فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه. والعرب تسمي السبب والطريق إلى الشيء جنباً، تقول تجرّعت في جنبك غصصاً أي لأجلك وسببك ولأجل مرضاتك. نقله القرطبي[2] وقد وضح الشريف الرضي هذا المعنى بأنه" لما كان الأمر كله يتشعب إلى طريقين: إحداهما هدى ورشاد، والأخرى غيّ وضلال، وكل واحد منهما مجانب لصاحبه أي هو في جانب والآخر في جانب، وكان الجنب والجانب بمعنى واحد، حسنت العبارة ها هنا عن سبيل الله بجنب الله.[3] وقيل المراد طاعة الله أو أمـــره، أي على ماقصرت في طاعة الله أو على ما تركت من أمر الله،[4] وقيل المراد ذات الله وذكر الجنب على مجرى العادة في قولهم هذا الأمر صغير في جنب ذلك الأمر، أي في جهته.[5] والشريف الرضي نصّ على معنى الاستعارة في هذه الآية مهما اختلفت تأويلاتهـــا على نحو ماذكرنا.[6]

٢٤٩- ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ ﴾ [7]

قال الراغب:" الخيانة والنفاق واحد، إلاّ أن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتباراً بالدين ثم يتداخلان[8] وقد يأتي المصدر

---

(١) اللسان مادة جنب، وما نقل عن الفراء هنا ليس في تفسير هذه الآيـــة ولا آيـــة سورة النساء، وتفسير القرطبي ٢٧١/١٥.
(٢) تفسير القرطبي ، نفس الموضع.
(٣) تلخيص البيان ٢٠٨.
(٤) يظر تفسير الطبري ١٣/٢٤.
(٥) ينظر تلخيص البيان ٢٠٧، والكشاف ٣٧/٣.
(٦) تلخيص البيان، نفس الموضع .
(٧) سورة غافر/ ١٩.
(٨) المفردات مادة خون.

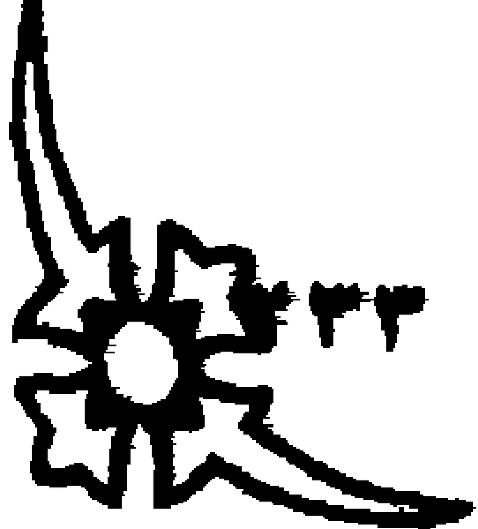
على فاعلة كالخائنة والعافية واللاغية.[1] والمعنى عن قتادة هو الهمز بالعين وإغماضها فيما لا يحب الله.[2] وقد فسر الراغب الآية على هذا المعنى أي مخالفة العهد، والخائنة هنا بمعنى الخيانة. ومن العلماء من يفسره على معنى استراق النظر إلى ما لا يحلّ النظر إليه، قال ثعلب أن ينظر نظرة بريبة وهو نحو ذلك. وهذا مأخوذ من الخون وهو فتور في النظر، ومنه قولهم للأسد خوّان وخائن العين.[3] وأكّد الزمخشري هذا المعنى وقال إن الخائنة" صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر إلى ما لا يحلّ كما يفعل أهل الريب، ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين، لأن قوله تعالى ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ لا يساعد عليه".[4] يريد أن قوله تعالى ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ يؤكد معنى استراق النظر، أي أن صاحب النظرة الخائنة يفعل ذلك خفية، ولكن الله لا يخفى عليه شيء.

٢٥٠- ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ﴾ [5]

القبض القشر الأعلى على البيض.[6] والقيض أيضاً العوض، يقال قاضه يقيضه إذا عاضه. والقيض أيضاً المثل والتمثيل والمساوي، يقال تقيضه إذا نزع إليه في الشبه. قال أبو زيد تقيّض فلان أباه وتقيّله تقيّضاً وتقيّلاً إذا نزع إليه في الشبه. وقال أبو عبيد هما قيضان أي مثلان.[7]

---

(١) ينظر اللسان مادة خون.
(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة ٣٨٦.
(٣) ينظر اللسان مادة خون.
(٤) الكشاف ٤٩/٣.
(٥) سورة فصلت /٢٥- الزخرف/٣٦.
(٦) المفردات مادة قيض.
(٧) ينظر التاج مادة قيض.



وقد حمل الطبري معنى الآية على هذا، قال:" وبعثنا لهم نظراء من الشياطين".[1] قال الزمخشري:" المقايضة المعاوضة"[2] أي يصلح أن يكون كل منهما عوضاً عن الآخر. وحمله الراغب على المعنى الأول أي فتح ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض.[3]

وقال الزجاج في قوله تعالى:﴿ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا ﴾ أي نسبب له شيطاناً يجعل الله ذلك جزاءه".[4] وقيل إنه لا يقال قيّض إلا في الشر، وردّه ابن بري بالحديث الشريف: (ما أكرم شابٌ شيخاً لسنّه إلا قيّض الله له من يكرمه عند سنّه).[5]

٢٥١ - ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾[6]

الإضراب عن الشيء الإمساك عنه وتركه والكفّ عنه.[7] ومعنى الصفح ترك التثريب وهو أبلغ من العفو،[8] وهو من قولهم صفحت عن فلان إذا ولّيته صفحة عنقك،[9] وصفح كل شيء جانباه،[10] ويكون هذا بمعنى الإعراض عنه. وللآية عند المفسرين معنيان، أحدهما: الإمساك عنهم وعدم ذكرهم إعراضاً،[11] أي فلا نذكّركم بعقابنا من أجل أنكم

---

(١) تفسير الطبري ٧١/٢٤.
(٢) الكشاف ٧٠/٣.
(٣) المفردات مادة قيض.
(٤) اللسان مادة قيض.
(٥) المصدر السابق ، نفس الموضع .والحديث في سنن الترمذي برقم ٢٠٢٢ ج٤ ص٣٧٢.
(٦) سورة الزخرف / ٥.
(٧) ينظر التفسير لابن قتيبة ٣٩٥، واللسان مادة صفح
(٨) المفردات مادة صفح.
(٩) ينظر التفسير ٣٩٥، وتفسير القرطبي ٦٣/١٦.
(١٠) ينظر التاج مادة صفح.
(١١) ينظر التفسير ٣٩٥.

مشركون،[1] ومثل هذا توجيه معنى الذكر إلى القرآن، أي أفنترك تذكيركم بهذا القرآن ولانذكّركم به لأن كنتم قوماً مسرفين.[2] وهذا المعنى عند الزمخشري من قولهم (ضرب الغرائب عن الحوض) وحمل عليه قول الحجاج: (ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل) أي ننحيه عنكم ونذوده.[3]

والمعنى الآخر مأخوذ من الصفح بمعنى العفو، والصفوح من صفات الله معناه العفُوّ عن ذنوب العباد مُعرضاً عن مجازاتهم بالعقوبة تكرّماً.[4] أي أنترككم ونعرض عنكم ونعفو عن ذنوبكم، والمعنى الأول أقرب إلى المعنى لوجود الذكر سواء أريد به التذكير أم القرآن الكريم.

والمعنيان يجريان على الاستعارة، فعلى المعنى الأول يقول الشريف الرضي: "لما كان سبحانه يستحيل أن يصف نفسه بإعراض الصفحة كان الكلام محمولاً على وصف الذكر بذلك على طريق الاستعارة".[5] وهو كذلك على المعنى الثاني، لأن الصفح بمعنى العفو متأتٍ من إيلائك صفحة العنق بمعنى الإعراض عن الشيء، والإعراض عنه عبارة عن العفو كذلك.

٢٥٢ ـ ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾[6]

الإبرام إحكام الأمر، وأصله من إبرام الحبل وهو ترديد فتله.[7] وقال أبو حنيفة: "أبرم الحبل جعله طاقين ثم فتله".[8] ومعنى أبرموا أمراً أي

(١) تفسير الطبري ٢٥/٣٠.
(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٣) الكشاف ٣ / ٩٩.
(٤) اللسان مادة صفح.
(٥) تلخيص البيان ٢١٨.
(٦) سورة الزخرف / ٧٩.
(٧) المفردات مادة برم.
(٨) اللسان مادة برم.



أحكموه.[١] وهذا من نتيجة الإبرام وهو الإحكام. ومن المفسرين من نظر إلى المعنى من حيث الجمع. لأن الإبرام لا يكون إلاّ بجعل الحبل طاقين. قال مجاهد: "مجمعون إن كادوا شراً كدنا مثله".[٢] وعن قتادة "أم أجمعوا على التكذيب فإنّا مجمعون على الجزاء بالبعث".[٣] ومن المفسرين من ذهب إلى أن معنى الإبرام القضاء. قال الكلبي: "أم قضوا أمراً فإنّا قاضون عليهم بالعذاب".[٤]

٢٥٣ ـ ﴿ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [٥]

الإجتراح هنا بمعنى الاكتساب. واختلف في أصله فقيل هو من الجارحة، وهي كل انثى تحمل من جارية وفرس وناقة وأتان، وجوارح المال ما ولد. يقال ماله جارحة أي ماله كاسب،[٦] ويقال أيضاً فلان جارحة أهله وجارحهم أي كاسبهم.[٧]

وقيل أصل الاجتراح من الجراحة، كما أن الاقتراف من قرف القرحة،[٨] فيقال بئسما اجترحت يداك، أي بئسما عملت يداك. قال الزمخشري مستعار من تأثير الجارح.[٩] ويطلق على كلاب الصيد الجوارح إمّا لأنها تجرح، وإمّا لأنها تكسب.[١٠]

---

(١) التفسير لابن قتيبة ٤٠٠، وينظر تفسير الطبري ٥٩/٢٥.
(٢) تفسير الطبري ٥٩/٢٥.
(٣) تفسير القرطبي ١١٨/١٦.
(٤) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٥) سورة الجاثية / ٢١.
(٦) اللسان مادة جرح.
(٧) ينظر الكشاف ١١٤/٣، وينظر اللسان مادة جرح.
(٨) المفردات مادة جرح.
(٩) أساس البلاغة مادة جرح، وينظر التاج نفس المادة.
(١٠) ينظر التفسير لابن قتيبة ٤٠٥، والمفردات مادة جرح.

٢٥٤ - ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾[١]

فُسّر البال هنا بالحال والشأن والأمر والنيّة،[٢] وهو من أسماء النفس.[٣] وقال الراغب البال هو الحال التي يكترث بها.[٤]

فمعنى﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ كما يقول الطبري: "أصلح شانهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه".[٥] ومثله قول ابن سيده: "أي يصلح أمر معاشهم في الدنيا مع ما يجازيهم به في الآخرة".[٦]

٢٥٥ - ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ ﴾[٧]

قال الراغب: "يقال ثخن الشيء فهو ثخين إذا غلظ فلم يسل، ولم يستمر في ذهابه، ومنه استعير قولهم أثخنته ضرباً واستخفافاً".[٨] فالإثخان في قوله تعالى مؤول بمعان متقاربة كلها تعود إلى هذا المعنى المستعار. فهو عند ابن الأعرابي غلب وقهر، وعند أبي العباس ثعلب "معناه غلبتموهم وكثر فيهم الجراح فاعطوا بأيديهم".[٩] ولذلك قال الطبري في تفسيره: "حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم فصاروا في أيديكم أسرى".[١٠] فالإثخان عنده بالغلبة والقهر قتلاً وتأسيراً. وقال الأزهري

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وسلم / ٢،٥.

(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة ٤٠٩، وتفسير الطبري ٢٦/٢٥، والكشاف ٣/١٢٧، وتفسير القرطبي ١٦/٢٢٤.

(٣) ينظر اللسان مادة بال.

(٤) المفردات مادة بال.

(٥) تفسير انطبري ٢٦/٢٥.

(٦) اللسان مادة بال.

(٧) سورة محمد صلى الله عليه وسلم /٤.

(٨) المفردات مادة ثخن.

(٩) اللسان مادة ثخن.

(١٠) ٢٦/٢٦.

أثخنه أثقله.[1] وفي الصحاح أثخنته الجراحة أوهنته.[2] وقال الزمخشري: "أثخنتموهم أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ، أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض".[3]

على أن ابن سيده يرى أن معنى الإثخان المبالغة من قولهم أثخن في العدو (من عدا يعدو) إذا بالغ.[4] وهذه المعاني جميعاً متقاربة ومحصلتها واحدة.

٢٥٦- ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾[5]

أصل الوزر ما حملته،[6] أو هو الحمل الثقيل،[7] تشبيهاً له بوَزَرِ الجبل وهو الملجأ الذي يلتجأ إليه[8] وعلى هذا المعنى حمل بعض المفسرين معنى الآية أي حتى تضع الحرب أثقالها وهي الآلات، قاله أبو عبيد،[9] وقال ابن قتيبة: "أي يضع أهل الحرب السلاح، قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها   رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا
ومن نسج داود يُحدى بــها   على أثر الحيِّ عيراً فعيرا"[10]

(١) ينظر التاج مادة ثخن.
(٢) المصدر السابق، نفس المادة.
(٣) الكشاف ١٢٧/٣.
(٤) التاج مادة ثخن.
(٥) سورة محمد صلى الله عليه وسلم/٤.
(٦) التفسير لابن قتيبة ٤٠٩.
(٧) اللسان والتاج مادة وزر.
(٨) المفردات مادة وزر.
(٩) ينظر اللسان مادة وزر.
(١٠) التفسير لابن قتيبة ٤٠٩.

وإنما سمي سلاح الحربة من الدروع والمغافر والرماح والمناصل وما يجري هذا المجرى أوزاراً، لأنه ثقيل على حامله وشاق على مستعمله.(١)

ومعنى وضع الحرب أوزارها انقضاؤها، فهو كناية عن انقضاء الأمر وعدم القتال، لأن المقاتلين إذا انتهت الحرب ألقوا بأسلحتهم ومؤونتهم فيتخففون منها.(٢) ومن المفسرين من يذهب إلى أن معنى الأوزار هنا الآثام. قال الفراء: "أوزارها آثامها وشركها حت لايبقى إلاّ مسلم أو مسالم... والهاء في أوزارها للحرب، وأنت بمعنى أوزار أهلها"،(٣) وهذا هو تفسير الطبري، قال: "حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم فيؤمنوا به وبرسوله ويطيعوه في أمره ونهيه".(٤)

واستعمال الوزر بمعنى الذنب معروف وهو من المجاز، لأن الذنب ثقل، وفي التنزيل العزيز ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾.(٥) ومنهم من ذهب إلى أن المقصود بالأوزار أثقال الشهداء لأن الله سبحانه وتعالى يمحصهم من الذنوب.(٦)

٢٥٧ - ﴿ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾(٧)

أصل القطع فصل الشيء مدركاً بالبصر كالأجسام، ثم استعير لفصل الأشياء المدركة بالعقل وهو ضد الوصل.(٨) ومنه تقطيع الأرحام وهو

---

(١) ينظر تلخيص البيان ٢٢٣.
(٢) ينظر الكشاف ١٢٨/٣، وتفسير القرطبي ٢٢٩/١٦، والتاج مادة وزر.
(٣) معاني القرآن ٥٧/٣، واللسان مادة وزر.
(٤) تفسير الطبري ٢٧/٢٦.
(٥) سورة فاطر / ١٨.
(٦) اللسان مادة وزر.
(٧) سورة محمد صلى الله عليه وسلم /٢٢.
(٨) ينظر المفردات مادة قطع، واللسان مادة قطع.

فعل كل مايؤدي إلى خلاف الوصل من هجران وقطع البر،[١] وعليه قوله تعالى في الآية. وقيل في تفسيرها أن ترجعوا إلى ماكنتم عليه في الجاهلية بأن يقتل بعضكم بعضاً، فتقتل قريش بني هاشم وبنو هاشم قريشاً.[٢]

٢٥٨ـ ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٣]

القفل "قفل الحديد الذي يغلق به الباب مما ليس بكثيف ونحوه جمع أقفال وأقفل".[٤] والمعنى "أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر".[٥] فهي "كالأبواب المقفلة لاتنفتح لوعظ واعظ ولايلج فيها عذل عاذل".[٦] وهذا مما تعرفه العرب في كلامها، فيقول قائلهم: قلبي مقفل وصدري ضيق في وصف نفسه بضيق الصدروتشعّب الفكر. وفي ضد هذا المعنى يصف القلب بالانفتاح والصدر بالانفساح.[٧] ويحتمل عند الشريف الرضي أن المقصود بالأقفال الأسماع لأنها أبواب على القلوب وطرق فهمها، فإذا انغلقت الأسماع لم تع القلوب.

وهذا المصطلح كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٨] وكقوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.[٩] فالختم والطبع والاقفال جميعها بمعنى واحد، أي أنها مغلقة لا تعي شيئاً ولا تعقل. وقال تعالى هنا ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾

---

(١) المفردات مادة قطع.
(٢) ينظر الكشاف ٣/١٣٢، واللسان مادة قطع.
(٣) سورة محمد صلى الله عليه وسلم/ ٢٤.
(٤) التاج مادة قفل.
(٥) تفسير الطبري ٢٦/ ٣٦.
(٦) تلخيص البيان ٢٢٤.
(٧) تلخيص البيان ٢٢٤.
(٨) سورة البقرة/ ٧.
(٩) سورة التوبة/ ٩٣ ـ النحل/ ١٠٨ ـ محمد صلى الله عليه وسلم/ ١٦.

بالتنكير، ولم يقل على قلوبهم لئلا يفهم أن المراد قلوبهم وحدها، والمقصود قلوبهم وقلوب غيرهم ممن كانوا بهذه الصفة.[1]

٢٥٩- ﴿ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ ﴾[2]

أهل الرجل في الأصل: "من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوّز به فقيل: أهل الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب. والدابة إذا ألِفت مكاناً يقال لها أهلٌ وأهلي.[3] قال الكسائي والفراء "أهِلتُ به وودقت به إذا استأنست به.[4] ومنه أخِذ قولهم هو أهل لذلك وأهل ذاك أي مستوجب له، وبه فسر قوله تعالى في الآية.[5] قال الطبري: "يقول تعالى ذكره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أحق بكلمة التقوى من المشركين وأهلها".[6]

٢٦٠- ﴿ حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[7]

الفيْ الظل، ولا يقال إلاّ للراجع منه، ثم استعير الى كل راجع الى حالة محمودة،[8] وعليه فسر قوله تعالى في الآية أي ترجع[9] الى حكم الله.[10] وقد سميت الغنيمة فيئاً لهذا المعنى أيضاً، أي ما يعود من أموال الكفار الى المسلمين عفواً بلا قتال.[11]

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٦/ ٢٤٧.
(٢) سورة الفتح/ ٢٦.
(٣) المفردات مادة أهل.
(٤) اللسان مادة أهل.
(٥) المصدر السابق، نفس المادة.
(٦) تفسير الطبري ٢٦/ ٢٧.
(٧) سورة الحجرات/ ٩.
(٨) ينظر المفردات مادة فيا.
(٩) ينظر التفسير لابن قتيبة ٤١٦.
(١٠) تفسير الطبري ٢٦/ ٨٠.
(١١) ينظر الكشاف ٣/١٥١، وينظر اللسان مادة فيأ.

٢٦١- ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾ (١)

الغطاء ما يغطى به الشيء، أو هو ما يجعل فوق الشيء من طبق ونحوه.[٢] ومعنى الآية أننا أريناك ما كان مستوراً عنك في الدنيا.[٣] إذ جلينا ذلك وأظهرناه لعينيك فزالت الغفلة عنك.[٤]

وهذه عند الرضي استعارة لأن المراد بها رؤية أعلام الساعة وأشراط القيامة، حين يزول التكليف عن الانسان فتزول عنه اعتراضات الشكوك ومشبهات الأمور، وعندئذ يصدّق بما كذّب ويقرّ بما جحد.[٥] وهذا أفضل من قول الراغب إن الغطاء قد استعير للجهالة،[٦] لأن الاستعارة هنا لا تتحقق بتشبيه الجهالة بالغطاء فحسب، بل في الكشف أيضاً. فيكون معنى المصطلح (كشفنا عنك غطاءك) متكاملاً في معناه ولفظه.

٢٦٢- ﴿ فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ (٧)

النقب في الحائط والجلد كالثقب في الخشب،[٨] والنقب الطريق في الجبل وكذلك المنقب والمنقبة.[٩] وقد أوّلت الآية اعتباراً بأحد هذين المعنيين، فقيل المعنى أثروا في البلاد قاله ابن عباس،[١٠] وعند الفراء خرقوا البلاد فساروا فيها [طلباً للمهرب] .[١١] وهذا باعتبار المعنى الأول، لأن النقب في الحائط

(١) سورة ق/ ٢٢.
(٢) ينظر المفردات والتاج مادة غطا.
(٣) ينظر التأويل ٤٢٢.
(٤) تفسير الطبري ٢٦/ ١٠٢.
(٥) ينظر تلخيص البيان ٢٢٩.
(٦) المفردات مادة غطا.
(٧) سورة ق/ ٣٦.
(٨) المفردات مادة نقب.
(٩) ينظر تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢.
(١٠) المصدر السابق، نفس الموضع.
(١١) معاني القرآن ٣/ ٧٩، وليس فيه (طلباً المهرب)، واللسان مادة نقب.

والجلد لا يكون إلا بآلة فهو من أثرها. وقيل المعنى عن مجاهد خربوا وطافوا، وعن النضر بن شميل دوّروا، وعن قتادة طوّفوا، وعن المؤرج[1] تباعدوا[2] وقال ابن الأعرابي أنقب الرجل إذا سار في البلاد، ونقّب مشددا إذا سار في البلاد طلباً للمهرب،[3] ومثل هذا تفسير ابن قتيبة والطبري لمعنى الآية.[4] وزاد الزمخشري أن في التنقيب معنى آخر وهو التنقير عن الأمر والبحث والطلب.[5] وهذه المعاني كلها مأخوذة من أصل معنى النقب وهو الطريق في الجبل، فالسير والتطواف والتباعد والتوغل، ثم البحث والطلب، كل ذلك لا يكون إلا على اعتبار معنى الطريق في النقب.

٢٦٣- ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾[6]

"الصكّ الضرب الشديد بالشيء العريض، وقيل هو الضرب عامة بأي شيء كان".[7] وقد فسّر الصك في الآية بأنه اللطم عن ابن عباس، وعن سفيان الثوري أنها ضربت يدها على وجهها.[8] وقال ابن قتيبة: "أي ضربت بجميع أصابعها جبهتها".[9] وقيل إنها جمعت أصابعها فضربت

---

(١) مؤرج بن عمر بن منيع بن حصين السدوسي النحوي أبو فيد البصري من أصحاب الخليل، عالم بالعربية والحديث والأنساب والأخبار، توفي سنة خمس وتسعين ومائة. ترجمته في بغية الوعاة ٢/ ٣٠٥.

(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢.

(٣) التاج مادة نقب.

(٤) ينظر التفسير ٤١٩، وتفسير الطبري ٢٦/ ١١٠.

(٥) الكشاف ٣/ ١٦٤.

(٦) سورة الذاريات/ ٢٩.

(٧) اللسان مادة صكك.

(٨) ينظر تفسير القرطبي ١٧/ ٤٧.

(٩) التفسير ٤٢١.

وجهها.[1] وصك الوجه هنا كناية عن التعجب، وهذه من عادات النساء القديمة أشار إليها سفيان الثوري ومفسرون آخرون.[2]

٢٦٤-﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾ (٣)

ركن الشيء جانبه الذي يسكن إليه،[4] وهو أيضاً ما يقوى به من ملك وجند وغيره.[5] وهذا المعنى مستعار كما قال الراغب،[6] وهو الصحيح.

وقد فسرت الآية اعتباراً بالمعنيين، فعلى الأول يصبح معنى (تولى بركنه) أعرض، لأن الركن هنا بمعنى الجانب. يقال تولى بركنه وبجانبه.[7]. وفسره الطبري بالإدبار،[8] والزمخشري بالازورار والإعراض،[9] وهي معانٍ متقاربة. ونقل القرطبي عن القشيري أن هذا مبالغة في الإعراض عن الشيء.[10]

وعلى الثاني يكون المعنى تولى بقوته وسلطانه وبما كان يتقوى به من جنود وملك.[11]

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٦/ ١٢٩.

(٢) ينظر المصدر السابق، نفس الموضع، الكشاف ٣/ ١٦٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧.

(٣) سورة الذاريات/ ٣٩.

(٤) المفردات مادة ركن.

(٥) التاج مادة ركن.

(٦) المفردات مادة ركن.

(٧) التفسير لابن قتيبة ٤٢٢.

(٨) تفسير الطبري ٢٧/ ٣.

(٩) الكشاف ١٧/٤.

(١٠) ينظر تفسير القرطبي ١٧/ ٩ .

(١١) ينظر تلخيص البيان ٢٣١، والكشاف ٣/ ١٧٠.

ويتحقق المعنى الاصطلاحي على المعنى الأول، فالإعراض مستفاد من إضافة التولي الى الركن الذي هو بمعنى الجانب. وعلى الثاني يكون معنى التولي الذهاب والابتعاد اعتماداً على ما يملك من قوة وسلطان.

٢٦٥- ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾ [١]

الذنوب الدلو التي لها ذنب، وهي الدلو العظيمة،[٢] ومعناه في الآية الحظ والنصيب. قال الفراء: "الذنوب في كلام العرب الدلو العظيمة، ولكن العرب تذهب بها الى النصيب والحظ، وبذلك أتى التفسير فإن للذين ظلموا حظاً من العذاب كما نزل بالذين من قبلهم. وقال الشاعر:

لنا ذنوبٌ ولكم ذنوب ... فإن أبَيْتم فلنا القليب"[٣]

وقال ابن قتيبة: "وكانوا يستقون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب، فاستعير في موضع النصيب".[٤]

وقد صرّح ابن قتيبة بأن هذا المعنى في الذنوب استعارة، وسمّاه الزمخشري تمثيلاً. والتمثيل عنده هو الاستعارة، وقد ورد الذنوب بمعنى النصيب في كلام العرب، ومنه البيت الذي أنشده الفراء الآنف الذكر، وقال علقمة بن عبدة:

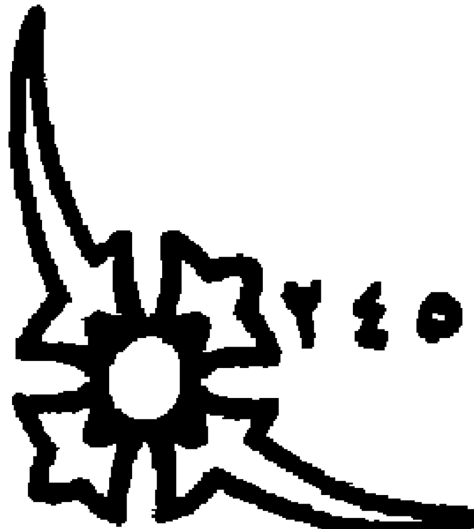
---

(١) سورة الذاريات/ ٥٩.

(٢) ينظر التفسير لابن قتيبة ٤٢٣، والمفردات مادة ذنب.

(٣) معاني القرآن ٣/ ٩٠، واللسان مادة ذنب، وما ورد فيه عن الفراء فيه شيء من الاختلاف.

(٤) التأويل ١٥٠، والتفسير ٤٢٣، وينظر تفسير الطبري ٢٧/ ٩، والكشاف ٣/ ١٧٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٥٧.



وفـــي كل قوم قد خبطت بنعمة ٭ فحق لشأس مـــن نـــداك ذنوب[1]

وقال آخر:

لعمـــرك والمنـــايا طارقـــات لكـــل بنـــي أب منـــها ذنـــوبُ[2]

٢٦٦- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ﴾[3]

قال الزمخشري التقوّل افتعال القول، لأن فيه تكلفاً من المفتعل.[4] وفي اللسان: "تقوّل قولاً ابتدعه كذباً. وتقوّل فلان عليّ باطلاً أي قال عليّ ما لم أكن قلت وكذب عليّ.[5] قال الطبري في قوله تعالى: "ولو تقوّل علينا محمد بعض الأقاويل الباطلة وتكذّب علينا".[6] وقال الزمخشري: "والمعنى ولو ادّعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه".[7]

٢٦٧- ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾[8]

أصل الطمث المسّ، يقال هذا بعير ما طمثه حبل أي لم يمسّه، وكذلك ما طمث هذه الناقة حبل قط أي ما مسّها عقال.[9] وقد فُسِّر قوله تعالى في الآية على هذا المعنى، أي لم يمسسهن وهو قول أبي عبيدة وبعض المفسرين.[10]

---

(١) تفسير الطبري ٢٧/ ٩.
(٢) تفسير القرطبي ١٧/ ٥٧.
(٣) سورة الطور/ ٣٣ – الحاقة/ ٤٤.
(٤) الكشاف ٤/ ١٥٤، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٧.
(٥) اللسان مادة قول.
(٦) تفسير الطبري ٢٩/ ٤٢.
(٧) الكشاف ٤/ ١٥٥.
(٨) سورة الرحمن/ ٥٦، ٧٤.
(٩) ينظر اللسان والتاج مادة طمث.
(١٠) ينظر التفسير لابن قتيبة، ٤٤٢، وتفسير الطبري ٢٧/ ٨٧.

والمعنى عند الفراء (لم يفتضهن) والطمث عنده النكاح بالتدمية،[1] وعند ثعلب (لم ينكح).[2] وذهب الراغب مذهب الفراء، أي لم يفتضهن من الطمث وهو دم الحيض والافتضاض، ومنه استعير ما طمث هذه الروضة أحد قبلنا أي ما افتضها.[3]

وهذا المعنى الأخير للطمث وهو الافتضاض أو النكاح معنىً جارٍ على الكناية، والقول فيه كالقول في المسّ والملامسة وهو معروف.

٢٦٨- ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾[4]

اختلف في أصل الإدهان، فقيل الإدهان المقاربة في الكلام والتليين في القول، وقيل أصله الإبقاء وهو قول ابي بكر الأنباري، وعن اللحياني يقال ما أدهنت إلا على نفسك أي ما أبقيت،[5] وقيل الإدهان كالتدهين.[6] وخير ما قيل في أصل الإدهان ما نقله الزبيدي عن شيخه، قال: "الإدهان في الأصل جعل نحو الأديم مدهوناً بشيء ما من الدهن، ولما كان ذلك مليناً له محسوساً استعمل في اللين المعنوي على التجوّز به في مطلق اللين أو الاستعارة له".[7] ولذلك فسر قوله تعالى: بتفسيرات مختلفة في ألفاظها متقاربة في معانيها. قال الخليل: " الإدهان اللين

---

(١) معاني القرآن ٣/ ١١٩، والتفسير ٤٤٢.

(٢) اللسان مادة طمث.

(٣) المفردات مادة طمث.

(٤) سورة الواقعة /٨١. القلم/٩.

(٥) ينظر اللسان مادة دهن.

(٦) المفردات مادة دهن.

(٧)التاج مادة دهن.

والمداهن المصانــع"،[1] وقال الفراء: "ودّوا لو تكفرفيكفرون.[2] وقال ابن قتيبة : "أي تداهن وتلين لهم في دينك فيدينون فيلينون في أديانهم.[3]

وفسّر بعض أهل اللغة الإدهان بالغش، وإظهار خلاف ما يضمر.[4] وقال الطبري في تفسير قوله تعالى:﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾"أفبهذا القرآن..أنتم تلينون القول للمكذبين به ممالأة منكم لهم على التكــذيب به والكفر،[5] ونقل معنى الممالأة عن مجاهد والتكذيب عن مفسرين آخرين. وعن الزمخشري المعنى متهاونون[6] وقال القرطبي:"الادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق".[7]

٢٦٩- ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾[8]

الجنة كل ما وقاك، ومنه الدرع، أو كل ما يستتر به كجنّة المرأة وهي خرقة تلبسها فتغطي رأسها.[9] وقد قرئت أيمانهم بفتح الهمزة جمع يمين، وبكسرها مصدر آمن.[10]فاختلف المعنى على هاتين القراءتين. فالمعنى على قراءة الفتح: استتروا بحلفهم كلما ظهر النبي على شيء منهم يوجب معاقبتهم حلفوا كاذبين. والمعنى على قراءة الكسر: جعلوا إيمانهم بالله وقاية لهم من القتل.[11]

---

(١) كتاب العين ٤/ ٢٧، وينظر اللسان مادة دهن.
(٢) معاني القرآن ٣/ ١٧٣، واللسان مادة دهن.
(٣) التأويل ٢٣٧، والتفسير ٤٧٨، وينظر ٤٥١ أيضاً.
(٤) ينظر اللسان مادة دهن، وينظر تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢٨.
(٥) تفسير الطبري ٢٧/ ١١٩.
(٦) الكشاف ٣/ ١٩٨.
(٧) تفسير القرطبي ٢٢٨/١٧.
(٨) سورة المجادلة/ ١٦ – المنافقون/ ٢،
(٩) اللسان مادة جنن.
(١٠) قرأ الحسن إيمانهم بالكسر، ينظر مختصر في شواذ القراءات ١٥٧.
(١١) التفسير لابن قتيبة ٤٦٧، وينظر تفسير الطبري ٢٨/ ٦٩، والكشاف ٣/ ٢١١.

وهذه استعارة لأن المقصود بهذه الآية المنافقون، "والمراد أنهم جعلوا إظهار الايمان الذي يبطنون ضده جُنّة يعتصمون بها ويستلئمون فيها نفوذاً بظاهر الاسلام الذي يسع من دخل فيه ويعيذ من تعوّذ به".[١]

٢٧٠- ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[٢]

العصم جمع عصمة، وهي الحبل والسبب عن أن أبي عبيدة. وقال غيره العصم العقد،[٣] وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه عن الزجّاج.[٤] ومعنى الآية لا ترغبوا فيهن ولا تتمسكوا بهن، قال الطبري: "وهذا نهي من الله للمؤمنين عن الاقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان وأمر لهم بفراقهنّ".[٥]

وهذه استعارة فقد شبه عقد النكاح بالعصم وهي الحبال، لأنها تربط بعضهم ببعض وتصل بعضاً ببعض كما يقول الشريف الرضي.[٦]

---

(١) تلخيص البيان ٢٤٦.
(٢) سورة الممتحنة/ ١٠.
(٣) ينظر تلخيص البيان ٢٤٦.
(٤) اللسان مادة عصم.
(٥) تفسير الطبري ٤٧/٢٨، وينظر الكشاف ٢٢٣/٣.
(٦) ينظر تلخيص البيان ٢٤٦.

٢٧١- ﴿ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾[(١)]

اللّيّ فتل الحبل ولوى يده ولوى رأسه وبرأسه أماله.[(٢)] ومعنى لووا رؤوسهم أمالوها وحرّكوها استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وباستغفاره،[(٣)] وإعراضًا واستكبارا.[(٤)] ويقال لوى رأسه وذنبه وعطفه عنك إذا ثناه وصرفه، وهو مثل لترك المكارم والروغان عن المعروف وإيلاء الجميل.[(٥)] وقرأ القرّاء بالتشديد على المبالغة وتكرار اللي إلا نافعا قرأ بالتخفيف على أنهم فعلوا ذلك مرة واحدة.[(٦)]

٢٧٢- ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾[(٧)]

الميز والتمييز الفصل بين المتشابهات،[(٨)] وتميّز تقطّع،[(٩)] ومعنى تكاد تميّز من الغيظ تتقطّع غيظا عليهم كما تقول فلان يكاد يتقد غيظا عليك أي ينشقّ.[(١٠)] وعن ابن عباس تكاد يفارق بعضها بعضاً وتنفطر.[(١١)] وهذا من وصف جهنم جُعِلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم، وهذا من أساليب العرب في وصف شدة الغيظ والغضب، فيقولون "فلان يتميز غيظاً ويتقصّف غضباً، وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء إذا

(١) سورة المنافقون /٥.
(٢) المفردات مادة لوى.
(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٨/ ٧٠.
(٤) ينظر الكشاف ٣/ ٢٣٤.
(٥) اللسان مادة لوى.
(٦) ينظر تفسير الطبري ٢٨/ ٧٠.
(٧) سورة الملك/ ٨.
(٨) المفردات مادة ميز.
(٩) اللسان مادة ميز.
(١٠) التأويل ١١٣، وينظر التفسير ٤٧٤.
(١١) ينظر تفسير الطبري ٢٩/ ٤.

وصفوه بالإفراط فيه".[1] وهذه استعارة من قولهم "تغيّظت القدر إذا اشتد غليانها ثم صارت الصفة به مخصوصة بالانسان المغضب، فكأن الله تعالى وصفها بصفة المغيظ الذي من شأنه إذا بلغ ذلك الحد أن يبالغ في الانتقام ويتجاوز الغايات في الايقاع والايلام".[2]

٢٧٣-﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾[3]

المناكب جمع منكب وهو مجتمع ما بين العضد والكتف،[4] ومنكبا الرجل جانباه[5] ولذلك فسر الفراء الآية بأن معناها امشوا في جوانبها،[6] وقال الزجّاج في جبالها،[7] أي "سهل لكم السلوك في جبالها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ التذليل"،[8] وقيل أطرافها ونواحيها. واختار الطبري أن المعنى امشوا في نواحيها وجوانبها، لأن نواحيها عنده نظير مناكب الانسان التي هي من أطرافه.[9] وقال الأزهري: "وأشبه التفسير والله أعلم تفسير من قال في جبالها لأن قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولًا ﴾ معناه سهل لكم السلوك فيها فأمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ في التذليل".[10] وقال الزمخشري: "المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٥٣.
(٢) تلخيص البيان ٢٥٣.
(٣) سورة الملك/ ١٥.
(٤) المفردات مادة نكب، وينظر اللسان نفس المادة.
(٥) التفسير لابن قتيبة ٤٧٥.
(٦) ينظر معاني القرآن ٣/ ١٧١، واللسان مادة نكب.
(٧) اللسان مادة نكب.
(٨) الكشاف ٣/ ٢٥٤.
(٩) تفسير الطبري ٢٩/ ٥.
(١٠) تهذيب اللغة ١٠/ ٢٨٦، وينظر اللسان مادة نكب.

ومجاوزته الغاية، لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه".[1]

وهذه الاقوال جميعها مستفادة من قوله تعالى قبل ذلك ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾. ونقل الشريف الرضي عن بعض المفسرين أن الله سبحانه وتعالى "أعلمنا أنه لولا ما أنعم به علينا من تسكين الأرض وتوطينها ونفي الحزون والوعوث عن أكثرها حتى أمكنت من التصرف على ظهرها لما كان عليها مثبت قدم ولا مسرح نعم".[2]

٢٧٤- ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [3]

قال الراغب الزلق والزلل متقاربان.[4] يقال أزلقه ببصره أحدَ النظر إليه، وكذلك زلقه زلقاً عن الزجاجي.[5] وفُسِّرت الآية على هذا تفسيرين، الأول: أنهم يحدّون النظر إليك حتى يكادون يرمون بك ويزيلونك عن موضعك بأبصارهم. وهو قول الفراء، كما تقول "كاد يصرعني شدة نظره وهو بيّن من كلام العرب كثير".[6] وقال ابن قتيبة: "إنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يزلقك أي يسقطك"،[7] ومثل قول الفراء قول الزجّاج، قال: "مذهب أهل اللغة في مثل هذا أن الكفار من شدة إبغاضهم لك وعداوتهم يكادون بنظرهم إليك نظر البُغضاء أن يصرعوك، يقال نظر فلان إليّ نظراً كاد يأكلني وكاد يصرعني".[8] والتفسير الثاني أنهم يصيبونك بالعين. قال الطبري بعد أن ذكر المعنى الأول: "وقد قيل إنه عنى

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٥٤.
(٢) تلخيص البيان ٢٥٤.
(٣) سورة القلم/ ٥١.
(٤) المفردات مادة زلق.
(٥) اللسان مادة زلق.
(٦) معاني القرآن ٣/ ١٧٩، وينظر اللسان مادة زلق.
(٧) التأويل ١٧٠، والتفسير ٤٨٢.
(٨) اللسان مادة زلق، وينظر في مثل هذا قول الطبري في تفسيره ٢٩/ ٢٩.

بذلك وإن يكاد الذين كفروا مما عانوك بأبصارهم ليرمون بك يامحمد ويصرعونك"[١] أي "يصيبونك بأعينهم فيزيلونك عن مقامك الذي جعله الله لك".[٢]

وهذا موافق لقراءة ابن عباس وعبدالله اللذين قرآها بالهاء (ليزهقونك)، كما روى الفراء عنهما ومعناه ليلقونك، قال: "وذلك أن العرب كان أحدهم إذا أراد أن يعتان المال أي يصيبه بالعين تجوّع ثلاثاً ثم يتعرض لذلك المال فيقول : تالله مالا أكثر ولا أحسن يعني مارأيت أكثر فتسقط منه الأباعر، فأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقالوا مارأينا مثل حججه ونظروا إليه ليعينوه، فقالوا مارأينا مثله وإنه لمجنون، فقال الله عز وجلّ: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾.[٣]

وقد أنكر بعض العلماء أن يكون المعنى محمولاً على الاصابة بالعين، لأن الإصابة بالعين تكون من نظر الاستحسان والمحبة، وأما المقصود بالآية فهو نظر السخط والعداوة[٤]. قلت إذا كان الاعتيان على نحو مارواه الفراء من التجوّع ثلاثاً والتصدي للمال لاعتيانه فهي ليست من المحبة في شيء.

وقد حمل المعنى الأول على الاستعارة لأن الإزلاق يكون بالقدم فتزل عن موضعها، وقد جُعل النظر الحاد عن بغض وكراهية سبباً لهذا الزلل. وهذا خارج على طريقة العرب في قولهم نظر إليّ فلان نظراً كاد يصرعني به، وهذا النظر لايكون إلاّ في النزاع والخصام كما يقول الشريف الرضي.[٥]

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/٢٩.
(٢) اللسان مادة زلق.
(٣) معاني القرآن ١٧٩/٣.
(٤) ينظر تلخيص البيان ٢٥٦.
(٥) المصدر السابق، نفس الموضع.

٢٧٥- ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ (١)

يراد باليمين اليد اليمنى. وللمفسرين في تأويل الآية قولان، الأول: أن المراد باليمين هنا القدرة والقوة، لأن كل شيء في ميامنه، وهذا قول ابن عباس.(٢) يعني أن الله تعالى لوتقول عليه محمد صلى الله عليه وسلم لعاجله بالعقوبة دون تأخير.(٣) والقول الثاني: إن المراد باليمين يد محمد اليمنى وهو قول الحسن أي لأمرنا بأخذ يمينه ومعاقبته، وهذا مذهب اللغويين كما يقول ابن قتيبة،(٤) إذ يقال لمن يراد عقوبته خذ بيده، واسفع بيده وافعل به كذا وكذا. والذين يذهبون إلى هذا المعنى يقولون إن فيه معنى الإهانة، أي لأهنّاه كما يهان المعاقب حين يأمر السلطان بعقوبته.(٥) ويرى الزمخشري أن اليمين إنما خصّت هاهنا بالذكر لأن القتّال أي الجلاّد إذا أراد أن يضرب بالسيف قفا المأمور بقتله أخذ بيساره، وإذا قصد أن يضربه في نحره أخذه بيمينه، وهذا أشدّ عليه لأنـه ينظـر إلى السيف.(٦)

والقول بأن معنى اليمين في الآية القدرة والقوة محمول على الاستعارة،(٧) وأمّا القول بأن المراد باليمين يمين الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا من باب الكناية. وللشريف الرضي في هذا القول توجيه آخر تكون الباء فيه زائدة والمعنى لأخذنا يمينه، أي لسلبنا قدرته وانتزعنا قوته على حدّ قوله تعالى: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ .(٨) أي تنبت بالدهن في احد الأقوال.(٩)

---

(١) سورة الحاقة /٤٥.
(٢) التأويل ١٥٤.
(٣) ينظر تفسير الطبري ٤٢/٢٩.
(٤) ينظر التأويل ١٥٥.
(٥) ينظر تفسير الطبري ٤٢/٢٩.
(٦) ينظر الكشاف ٢٦٦/٣.
(٧) ينظر تلخيص البيان ٢٥٨.
(٨) سورة المؤمنون/٢٠.
(٩) تلخيص البيان ٢٥٨.

٢٧٦﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [(١)]

رهقه الأمر غشيه بقهر، يقال رهقته وأرهقته نحو ردفته وأردفته[(٢)] والصعود العقبة الشاقة، وكذلك الكؤود.[(٣)] والمعنى سأغشيه مشقة من العذاب لا راحة له منها، فهذا مثل لما يلقى من العذاب الصعب الشاق [(٤)]. وفي كتاب العين إنما اشتق من ذلك أي من الصعود، لأن الارتفاع في صعود أشق من الانحدار في هبوط[(٥)]. وقد اشتق منه قولهم تصعّدني هذا الأمر أي شقّ عليّ،[(٦)] وقيل إن الصعود جبل في النار يكلف أهل النار صعوده وهو من جمرة واحدة كلما وضع الكافر عليه رجله ذابت إلى أسفل وركه ثم تعود مكانها صحيحة.[(٧)]

٢٧٧﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴾ [(٨)]

اللف : الجمع "ولف الشيء يلفه لفّاً وقد التفّ[(٩)]." واختلف العلماء في معنى التفاف الساق بالساق في الآية، فمنهم من حمله على الاصل، فقيل هو التفاف ساقي الميت عند الموت أو عند لفّه بالكفن.[(١٠)] وهذا كناية عن الشدة أي التفّ أمر بأمر أو بلاء ببلاء،[(١١)] وقيل هو من التفاف ساقي

---

(١) سورة المدثر/١٧.

(٢) المفردات مادة رهق

(٣) ينظر التأويل ٤٣٢، والتفسير ٤٩٦، والكشاف ٣/٢٨٦.

(٤) الكشاف ٣/٢٨٦.

(٥) كتاب العين ١/٢٨٩، وينظر اللسان مادة صعد.

(٦) التأويل ٤٣٢، وينظر اللسان مادة صعد.

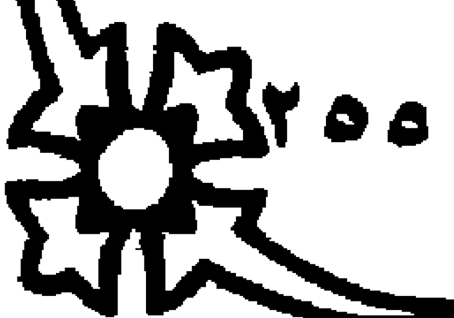
(٧) ينظر تفسير الطبري ٢٩/٩٧، واللسان مادة صعد.

(٨) سورة القيامة/٢٩.

(٩) اللسان مادة لفف

(١٠) ينظر تفسير الطبري ٢٩/١٢٢، والمفردات مادة ساق.

(١١) ينظر تفسير الطبري ٢٩/١٢٣.



الرجل عند السباق، وهذا مثل قولهم شمّرت عن ساقها.[1] والعرب تعبّر عن الأمر الشديد والخطب الفظيع بذكر الكشف عن الساق والقيام على ساق.[2] ومنهم من قال إنه من التفاف ساق الآخرة بساق الدنيا ورجحه ابن زيد،[3] والمعنى أتاه أول شدة أمر الآخرة وأشد آخر أمر الدنيا،[4] وهذا المعنى محمول على الاستعارة ولا ينفصل عن المعنى الأول، فعندما يموت الميت تجتمع عليه شدتان، شدة الدنيا والخروج منها، وشدة الآخرة ومواجهة الحساب.

٢٧٨- ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [5]

الأسر الشدّ بالقيد من قولهم أسرت القتب،[6] ومعنى شدّ الأسر في الآية إتقان الخلق وإتمامه من قولهم "أسره الله أحسن الأسر وأطره أحسن الأطر، وفلان شديد أسر الخلق غير مسترخ"[7]. ويقال ايضاً امرأة حسنة الأسر إذا كانت حسنة الخلق. قال ابن قتيبة: "وأصل هذا من الإسار وهو القدّ الذي يُشد به الأقتاب. يقال ماأحسن ماأسر قتبه أي ما أحسن ماشدّه بالقد".[8] وقيل الأسر المفاصل أي قد وثقناعظامه بعضها ببعض،[9] وهذا إشارةإلى حكمة الله تعالى في حسن خلقه للإنسان وتصويره إيّاه، كما قال:

---

(١) التفسير لابن قتيبة ٥٠١.
(٢) تلخيص البيان ٢٦٨.
(٣) ينظر تفسير الطبري ١٢٣/٢٩.
(٤) التفسير لابن قتيبة٥٠١.
(٥) سورة الإنسان/٢٨.
(٦) المفردات مادة أسر.
(٧) اللسان مادة أسر.
(٨) التفسير ٥٠٤.
(٩) ينظر تفسير الطبري ١٣٩/٢٩، والكشاف ٣٠٠/٣.

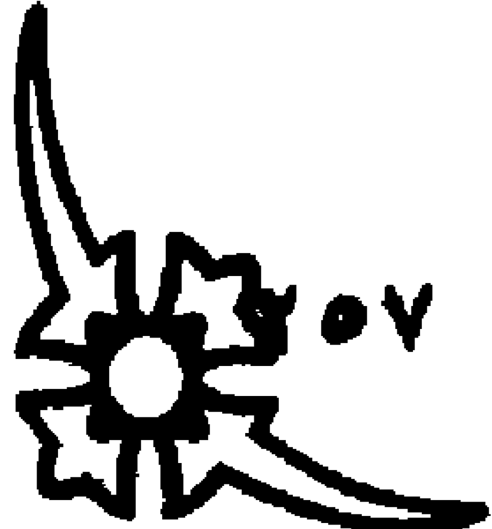
﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾،[1] وكما قال﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾.[2]

٢٧٩ - ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴾[3]

الكفت القبض والجمع، والكفات الطيران السريع وحقيقته قبض الجناح للطيران.[4] وعن أبي عبيد الكفات الأوعية، يقال للنحي كفت وكفيت لانه يحوي اللبن ويضمه.[5] وفي اللسان الكفات هو الموضع الذي يُضم فيه الشيء ويقبض،[6] ومعنى الآية أنّا جعلنا الأرض كفاتاً أي تضمكم فيها، لذلك سمي بقيع الغرقد في المدينة وهو مقبرتها (كفته)[7] فتكفت أحياءكم في المنازل أي تجمعهم فيها وتضمهم في القبور إذا ماتوا. وجوّز الطبري أن يكون المعنى أنها "تكفت أذاهم في حال حياتهم وجيفهم بعد مماتهم".[8] والكِفات عند اللغويين اسم إمّا للموضع الذي يكفت فيه كما مرّ، أو يكفت كالضمام والجماع لما يضم ويجمع.[9] وعند ابن سيده الكفات مصدر وقوله أحياءً وأمواتاً منصوب به.[10]

---

(١) سورة الذاريات/٢١.
(٢) سورة التين/٤.
(٣) سورة المرسلات/٢٥.
(٤) المفردات مادة كفت.
(٥) تفسير القرطبي ١٩/١٦١.
(٦) مادة كفت.
(٧) ينظر التفسير لابن قتيبة ٥٠٦
(٨) تفسير الطبري ٢٩/١٤٥.
(٩) ينظر الكشاف ٣/٣٠٢.
(١٠) اللسان مادة كفت.



٢٨٠- ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾[١]

عرّف الراغب (إلى) بأنه حرف يحدّ به النهاية من الجوانب الست، وعرّف (هل) بأنه حرف استخبار إما على سبيل الاستفهام وإما على التقرير.[٢] والمعنى هل لك إلى أن تتطهر من الشرك ودنسه،[٣] وقد تضمنت (الى) هنا معنى (في) لأنك تقول هل لك في كذا،[٤] لأن الآية فيها معنى الدعاء أي ادعوك إلى مايزكيك، وهو الإيمان بالله وترك الشرك. وعندي أن معنى الدعاء قد تحقق في عبارة (هل لك)، وهذه من أساليب التأدب في الخطاب، فقد أمر الله موسى أن يدعو فرعون بالخطاب الرقيق والقول اللين، فقال له ولهارون أخيه ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾.[٥]

٢٨١- ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[٦]

النَفَس الريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر.[٧] والتنفس إخراج النفس وإدخاله، وقد حُمل إسناد التنفس إلى الصبح في الآية على معانٍ كثيرة متقاربة، فعن سعيد[٨] نشأ،[٩] وعن مجاهد طلع، وعن الأخفش أضاء،[١٠] وقال الفراء: "إذا ارتفع النهار حتى يصير نهاراً بيّناً فهو تنفس

---

(١) سورة النازعات/١٨.
(٢) ينظر المفردات (إلى) و(هل).
(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٥/٣٠، والكشاف ٣٠٩/٣
(٤) ينظر اللسان والتاج مادة (إلى).
(٥) سورة طه/٤٤.
(٦) سورة التكوير/١٨.
(٧) المفردات مادة نفس.
(٨) أغلب الظن أنه سعيد بن المسيب.
(٩) تفسير الطبري ٥٠/٣٠.
(١٠) اللسان مادة نفس.

الصبح".[1] وعن اللحياني انتصف وبَعُد، وقال آخرون إذا انشق الفجر وانفلق حتى يتبين منه وكذلك امتد وطال.[2]

وهذه المعاني كلها وإن اختلفت أوقاتها محمولة على خروج شيء من وسط شيء آخر كما يخرج النفس من الجوف، وإنما يخرج الضوء الأول من النهار من جوف الليل. وواضح أن المعنى هنا من الاستعارة، وهـذا المعنى الاستعاري في التنفس بدا في معان أخرى كقولهم تنفس الإناء إذا انشق، وتنفست القوس إذا انصدعت، وكذلك في قولهم تنفس الغمر والموج.[3] ولذلك قال الشريف الرضي عن هذه الاستعارة إنها "من الاستعارات العجيبة. والتنفس هاهنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من عموم غسق الليل فكأنه متنفس من كرب أو مترَوح من همّ".[4] ومن العجيب أن يخرج الشريف الرضي المعنى من الاستعارة إذا حُمل على قولهم تنفست القوس إذا انصدعت، وهذه الاستعارات يصح أن يقال عنها استعارات متوالية. فانشقاق الإناء وتصدّع القوس مستعار من التنفس، وتنفس الصبح يحتمل أن يكون مستعاراً من تنفس الإناء والقوس.

وللزمخشري مذهب آخر في تأويل هذا المعنى، قال: "فإن قلت مامعنى تنفس الصبح؟ قلت إذا أقبل الصبح بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له على المجاز".[5]

---

(١) معاني القرآن ٣/٢٤٢، وفيه: "إذا ارتفع النهار فهو تنفس الصبح"، وينظر اللسان مادة نفس.

(٢) ينظر اللسان مادة نفس.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٩/٢٤.

(٤) تلخيص البيان ٢٧٢.

(٥) الكشاف ٣/٣١٧.

٢٨٢ - ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١)

عن ابن عباس "الران الذي يكون على الفخذين والساق والقدم وهو الذي يلبس في الحرب"،(٢) وفي الصحاح :"الرين الطبع والدنس"،(٣) وهو عند الراغب الصدأ الذي يعلو الشي الجلي.(٤) وقد تحوّل هذا إلى معنى التغطية وكل ما غطى شيئاً فقد ران عليه،(٥) ثم إلى الغلبة، ومنه رانت الخمر على عقله أي غلبت،(٦) والرسوخ يقال ران فيه النوم رسخ فيه(٧). وبهذه المعاني فسرت الآية، فعن الحسن هو "الذنب بعد الذنب حتى يسودّ القلب".(٨) وفي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ""إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب، ونزع واستغفر صقلت قلبه فإن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران".(٩) وعن أبي معاذ النحوي: "الرين أن يسود القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب وهو أشدّ من الرين والإقفال أشدّ من الطبع وهو أن يقفل على القلب".(١٠) وهذا كله مردود إلى معنى التغطية في الران والرين، وممن ذهب إلى أنه بمعنى الغلبة ابن قتيبة.(١١)

وقد جمع الطبري بين المعنيين أعني التغطية والغلبة. قال "غلب على قلوبهم وغمرها وأحاطت الذنوب فغطتها"،(١٢) ومثله قول الزمخشري:

---

(١) سورة المطففين /١٤.
(٢) تفسير القرطبي ١٩/٢٦٠.
(٣) الصحاح مادة رين، وينظر التاج نفس المادة.
(٤) المفردات مادة رين، وفيها الجليل والتصويب من التاج.
(٥) اللسان مادة رين.
(٦) التفسير لابن قتيبة ٥١٩، وينظر تفسير الطبري ٣٠/٦٢.
(٧) الكشاف ٣/٣٢٢.
(٨) المصدر السابق، نفس الموضع، وينظر اللسان والتاج مادة رين.
(٩) تفسير الطبري ٣٠/٦٢، والتاج مادة رين، والحديث في سنن ابن ماجه ٢/١٤١٨.
(١٠) التاج مادة رين.
(١١) التفسير ٥١٩.
(١٢) تفسير الطبري ٣٠/٦٢.

"ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها، وهو أن يصرّ على الكبائر، ويسوّف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل إليه".(١)

٢٨٣- ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ (٢)

السفع: الأخذ بسفعة الفرس أي سواد ناصيته،(٣) وحكى ابن الأعرابي "اسفع بيده أي خذ بيده".(٤) وقال الزمخشري: "السفع القبض على الشيء وجذبه بشدة".(٥)

وقد اختلف في تفسير الآية، فمن المفسرين واللغويين من قال إن المعنى لنأخذنّ به إلى النار. قال الأزهري حجّته قول الشاعر:

قومٌ إذا سمعوا الصريخ رأيتَهم   من بين مُلجِمِ مُهرِه، أو سافعِ

وكقوله تعالى : ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾. وبهذا المعنى فسرها الزمخشري.(٦) ومنهم من رأى فيه معنى الإذلال، أي لنقمئنّه ولنذلّنّه في الدنيا والآخرة.(٧) وإنما خصّ الناصية بالذكر على عادة العرب "فيمن أرادوا إذلاله وإهانته أخذوا بناصيته".(٨) ومنهم من ذهب إلى أن المعنى لنسودنّ

---

(١) الكشاف ٣/٣٢٢.

(٢) سورة العلق/١٥.

(٣) المفردات مادة سفع.

(٤) اللسان مادة سفع ،وينظر التفسير لابن قتيبة ٥٣٣، وتفسير الطبري ١٦٤/٣٠.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٠، وينظر اللسان مادة سفع.

(٦) الكشاف ٣/٣٥٠.

(٧) التأويل ١٥٥، وينظر تفسير الطبري ٣٠/١٤٦ واللسان مادة سفع.

(٨) تفسير القرطبي ٢٠/١٣٥.



وجهه وهو قول الطبري،[1] اعتباراً بسواد الناصية لأنها مقدمة شعر الرأس، ولذلك "قيل للأثافي: سفع لما به من لمع السواد".[2]

٢٨٤ - ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[3]

أصل التبب والتباب والتتبيب الهلاك،[4]وبهذا المعنى فسره ابن جبير،[5]" ومنه قولهم أشابّة أم تابّة أي هالكة من الهرم والتعجيز".[6]

ووجّه المفسرون معناه في الآية توجيهات متقاربة، فمعنى عند قتادة خسرت، وعند ابن عباس خابت، وقال عطاء ضلّت، وقال يمان ابن رئاب صفرت من كل خير.[7] والمراد باليد هنا النفس، أي هلك أبو لهب، لأن الأعمال في الأكثر إنما تكون بالأيدي، وقيل إن المراد باليد المال، وهذا معنى خسرانه، لأن الله سبحانه أخبر بهلاك ماله.[8] والعرب "تعبّر ببعض الشيء عن كله، تقول أصابته يد الدهر ويد الرزايا والمنايا، أي أصابه كل ذلك.[1] وعن الطبري أن "بعض أهل العربية يقول قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ دعاء عليه من الله."[2]

---

(١) تفسير الطبري ٣٠/١٦٤.

(٢) المفردات مادة سفع.

(٣) سورة المسد/ ١.

(٤) ينظر اللسان مادة تبب.

(٥) ينظر تفسير القرطبي ٢٠/٢٣٥.

(٦) الكشاف ٣/٣٦٥.

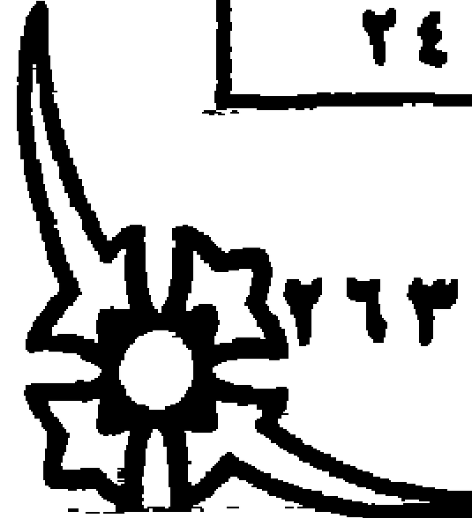
(٧) ينظر تفسير القرطبي ٢٠/٢٣٥.

(٨) ينظر تلخيص البيان ٢٨٥.

(١) تفسير القرطبي ٢٠/٢٣٦.

(٢) تفسير الطبري ٣٠/٢١٧.

فهرس المصطلحات اللغوية الواردة في الكتاب



اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
حرف الباء			
بال	أصلح بالهم	٥٣	٢٣٧
بخع	فلعلك باخع نفسك	١٩٨	١٩١
بدو	وما نراك اتبعك الاّ الذين هم أراذلنا بادي الرأي	١٥٨	١٦٣
برم	أم أبرموا أمراً فانّا مبرمون	٢٥٢	٢٣٥
بسط	اذ همّ قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم	٨٧	١١١
	بل يداه مبسوطتان	٩٦	١١٨
	يبسط الرزق	١٧٦	١٧٥
بسل	أن تبسل نفس	١٠٨	١٢٧
بصر،الأبصار	انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار	١٧٩	١٧٧
	واذ زاغت الابصار	٢٣٤	١٢١
	ليزلقونك بابصارهم	٢٧٤	٢٥٢
	فبصرت به عن جنب	٢٢٨	٢١٦
بغى	وابتغ بين ذلك سبيلا	١٩٧	١٩٠
بلد	لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد	٦٦	٩٥
بلغ	وبلغت القلوب الحناجر	٢٣٥	٢٢٢
بوء	وباءوا بغضب من الله	١٢	٤٦
بيض	يوم تبيض وجوه	٥٤	٨٣
بين	ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا	٨٥	١١١
	ربنا افتح بيننا وبين قومنا	١٢٠	١٣٦

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
	لقد تقطع بينكم	١٠٩	١٢٧
	واصلحوا ذات بينكم	١٣٠	١٤٤
	حرف التاء		
تبب	تبت يدا أبي لهب وتب	٢٨٤	٢٦٢
تبر	ان هؤلاء متبر ماهم فيه	١٢٣	١٣٩
تبع	ولاتتبع خطوات الشيطان	٢٥	٥٨
	واتبع ادبارهم	١٨٢	١٧٩
ترك	وتركنا عليه في الآخرين	٢٤٤	٢٢٩
تنر	وفار التنور	١٦٠	١٦٥
تاب	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه	٨	٤١
	حرف الثاء		
ثبت	وثبت اقدامنا	٣٤	٦٥
	نثبت به فؤادك	١٦٤	١٦٧
ثخن	حتى يثخن في الارض	١٣٧	١٤٨
	حتى اذا أثخنتموهم	٢٥٥	٢٣٧
ثقل	ثقلت موازينه	١١٧	١٣٤
ثنى	ثاني عطفه	٢١٦	٢٠٥
	حرف الجيم		
جأر	فاليه تجأرون	١٨٦	١٨٢



اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
جرح	اجترحوا السيئات	٢٥٣	٢٣٦
جرم	لا جرم	١٥٦	١٦١
جنب	فاذا وجبت جنوبها	٢١٩	٢٠٨
	فبصرت به عن جنب	٢٢٨	٢١٥
	ياحسرتا على مافرطت في جنب الله	٢٤٨	٢٣١
جنح	واخفض جناحك للمؤمنين	١٨٣	١٨٠
جنن	اتخذوا أيمانهم جنة	٢٦٩	٢٤٧
جوس	فجاسوا خلال الديار	١٨٩	١٨٤
جيء	لقد جئتِ شيئاً فرياً	٢٠٦	١٩٧
جيب	وليضربن بخمرهن على جيوبهن	٢٢١	٢١٠

حرف الحاء

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
حبط	فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة	٢٩	٦٢
حدب	وهم من كل حدب ينسلون	٢١٥	٢٠٥
حرف	من يعبد الله على حرف	٢١٧	٢٠٧
حرّف	يحرّفون الكلم عن مواضعه	٧٥	١٠٢
حصحص	الآن حصحص الحق	١٧٣	١٧٣

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
حنجر	وبلغت القلوب الحناجر	٢٣٥	٢٢١
حوط	والله محيط بالكافرين	٥	٣٩
حول	واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه	١٣٣	١٤٦
	حرف الخاء		
خبت	وأخبتوا الى ربهم	١٥٧	٦٢
خبل	لا يألونكم خبالاً	٥٩	٨٧
ختم	ختم الله على قلوبهم	١	٣٥
	اليوم نختم على أفواههم	٢٤٠	٢٢٦
خدد	ولا تصعّر خدّك للناس	٢٣٢	٢٢٠
خطو	ولا تتبعوا خطوات الشيطان	٢٥	٥٨
خفض	واخفض جناحك للمؤمنين	١٨٣	١٨٠
خفَّ	خفت موازينه	١١٨	١٣٥
خلد	اخلد الى الأرض	١٢٨	١٤٣
خلاف	أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف	٩١	١١٥
خمر	وليضربن بخمرهن	٢٢١	٢١٠
خوض	واذا رأيتَ الذين يخوضون	٨٤	١٠٩
خوف	أو يأخذهم على تخوّف	١٨٥	١٨١

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
خول	ما خولناكم	١١٠	١٢٨
خون	يعلم خائنة الأعين	٢٤٩	٢٣٢

حرف الدال

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
دبر، دابر	فقطع دابر القوم الذين ظلموا	١٠٥	١٢٥
	يولوكم الأدبار	٥٦	٨٥
	فنردها على أدبارها	٧٨	١٠٥
	واتبع أدبارهم	١٨٢	١٧٩
دهن	أفبهذا الحديث أنتم مدهنون	٢٦٨	٢٤٧
دور	ينظرون اليك تدور أعينهم	٢٣٦	٢٢٣
دار، دائرة	يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة	٩٤	١١٦
	ويتربص بكم الدوائر	١٤٦	١٥٤

حرف الذال

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
ذات	وأصلحوا ذات بينكم	١٣٠	١٤٤
	وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم	١٣١	١٤٥
	أن الله عليم بذات الصدور	٦١	٨٨
ذرع	وضاق بهم ذرعاً	١٦٢	١٦٦

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
ذل	ضربت عليهم الذلة	٥٧	٨٦
ذنب	فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم	٢٦٥	٢٤٥
ذهب	ذهب الله بنورهم	٤	٣٨
	وتذهب ريحكم	١٣٤	١٤٧
يذهبكم	إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتي بآخرين	٨٣	١٠٨
ذوق	ليذوق وبال أمره	٩٨	١٢١
حرف الراء			
رأس	ثم نكسوا على رؤوسهم	٢١٣	٢٠٣
رأى	أرأيتكم	١٠٤	١٢٤
راعنا	وراعنا ليًا بألسنتهم	١٩	٥٣
ربص	ويتربص بكم الدوائر	١٤٦	١٥٤
ربط	وليربط على قلوبكم	١٣٢	١٤٥
رحم	وتقطعوا أرحامكم	٢٥٧	٢٣٩
ردد	فردوا أيديهم في أفواههم	١٧٨	١٧٦
	لا يرتد اليهم طرفهم	١٨٠	١٧٧
ردف	عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون	٢٢٦	٢١٤
رزق	يبسط الرزق	١٧٦	١٧٥
رفق	ويهيىء لكم من أمركم مرفقا	٢٠٠	١٩٣

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
رقب	لا يرقبوا فيكم الاّ ولا ذمة	١٣٨	١٤٩
ركن	فتولى بركنه	٢٦٤	٢٤٤
رهق	سأرهقه صعودا	٢٧٦	٢٥٥
رود	وراودته التي هو في بيتها	١٦٧	١٧٠
	يريد أن ينقضَ	٢٠٣	١٩٤
روغ	فراغ الى آلهتهم	٢٤٥	٢٢٩
ريح	وتذهب ريحكم	١٣٤	١٤٧
رين	كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون	٢٨٢	٢٦٠
	حرف الزاي		
زلق	ليزلقونك بأبصارهم	٢٧٣	٢٥٢
زيغ	ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا	٤١	٧٢
	واذ زاغت الأبصار	٢٣٤	٢٢٢
	حرف السين		
سبب	وتقطعت بهم الأسباب	٢٤	٥٨
سبل، سبيل	ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا	٤٩	٧٧
	ولا يهتدون سبيلا	٧٩	١٠٦
	ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا	٨٥	١١٠

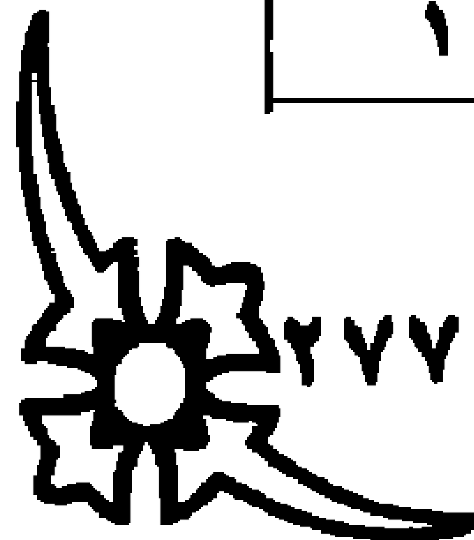
اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
حرف الشين			
شخص	انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار	١٧٩	١٧٧
شدّ	واشدد على قلوبهم	١٥٢	١٥٩
	حتى يبلغ أشدّه	١١٦	١٣٣
	اشدد به أزري	٢٠٨	١٩٩
	سنشد عضدك بأخيك	٢٣١	٢١٩
	وشددنا أسرهم	٢٧٨	٢٥٥
شرب	وأشربوا في قلوبهم العجل	١٧	٥١
شرح	يشرح صدره للاسلام	١١٣	١٣٠
شغف	قد شغفها حباً	١٦٨	١٧١
شفا	وكنتم على شفا حفرة من النار	٥٣	٨٢
شكل	قل كل يعمل على شاكلته	١٩٤	١٨٨
شوكة	وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم	١٣١	١٤٥
شيء	وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء	٢١	٥٥
	ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء	٤٤	٧٤
	لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً	٤٢	٧٢

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
حرف الصاد			
صبح	والصبح اذا تنفس	٢٨١	٢٥٨
صبر	قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا	٣٣	٦٥
صبو	أصب اليهن	١٧٠	١٦٢
صدع	فاصدع بما تؤمر	١٨٤	١٨٠
صدف	ثم هم يصدفون	١٠٦	١٢٦
صدق	أن لهم قدم صدق عند ربهم	١٤٨	١٥٦
صراط	ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم	١٠٣	١٢٤
صرف	ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل	١٩٦	١٩٠
صعد	سأرهقه صعودا	٢٧٦	٢٥٥
صعر	ولا تصعّر خدك للناس	٢٣٤	٢١٩
صغا	ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة	١١٢	١٣٠
صفح	أفنضرب عنكم الذكر صفحاً	٢٥١	٢٣٤
صفو	أفأصفاكم ربكم بالبنين	١٩٢	١٨٦
صكك	فصكّت وجهها	٢٦٣	٢٤٣
صلح	أصلح بالهم	٢٥٤	٢٣٧

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
صنع	ولتصنع على عيني	٢٠٩	٢٠٠
	واصطنعتك لنفسي	٢١٠	٢٠١
	حرف الضاد		
ضرب	لا يستطيعون ضرباً في الأرض	٣٩	٧٠
	أن يضرب مثلاً	٦	٤٠
	فضربنا على آذانهم	١٩٩	١٩٢
	أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً	٢١٢	٢٠٢
	وليضربن بخمرهن على جيوبهن	٢٢١	٢١٠
ضرب	أفنضرب عنكم الذكر صفحا	٢٥١	٢٣٤
ضرر	غير أولي الضرر	٨٢	١٠٨
	وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاّ هو	١٠٠	١٢٢
ضغث	قالوا أضغاث أحلام	١٧٢	١٧٢
ضيق	ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا	١١٤	١٣١
	وضاق بهم ذرعاً	١٦٢	١٦٦
	حرف الطاء		
طبع	بل طبع الله عليها بكفرهم	٨٦	١١٠
طرف	لا يرتد إليهم طرفهم	١٨٠	١٧٧
	قاصرات الطرف	٢٤٣	٢٢٨
طلق	ولا ينطلق لساني	٢٢٤	٢١٣
طمأن،طمن	ليطمئن قلبي	٣٦	٦٧
طمث	لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان	٢٦٧	٢٤٦
طمس	من قبل أن نطمس وجوهاً	٧٧	١٠٣
	ولو نشاء لطمسنا على أعينهم	٢٤١	٢٢٦

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
طوع	ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا	٤٩	٧٧
	فطوعت له نفسه قتل أخيه	٩٠	١١٤
طوبى	طوبى لهم	١٧٧	١٧٥
طيب	فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه	٦٩	٩٧
طير	وإن تصبهم سيئة يطيّروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله	١٢٢	١٣٨
	حرف الظاء		
ظهر	تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان	١٥	٤٩
	تظاهرون منهن	٢٣٣	٢٢١
ظهور	نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم	١٨	٥٢
	واتخذتموه وراءكم ظهرياً	١٦٣	١٦٧
	ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا	١٩٥	١٨٩
	حرف العين		
عبر	إن كنتم للرؤيا تعبرون	١٧١	١٧٢
عروة	فقد استمسك بالعروة الوثقى	٣٥	٦٦
عزز	وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالأثم	٢٨	٦١
عصم	ومن يعتصم بالله	٥١	٨٠
عصم	ولاتمسكوا بعصم الكوافر	٢٧٠	٢٤٩
عضد	سنشد عضدك بأخيك	٢٣١	٢١٩
عض	وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ	٦٠	٨٨
عطف	ثاني عطفه	٢١٦	٢٠٥

رقم الصفحة	رقم المصطلح	الآية	اللفظة
٥٦	٢٢	وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه	عقب
١٠٠	٧٢	والذين عقدت أيمانكم	عقد
١٩٨	٢٠٧	واحلل عقدة من لساني	
١٢٤	١٠٣	ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم	على
٤٩	١٤	أم تقولون على الله ما لاتعلمون	
١٢١	٩٩	ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها	
١٣٢	١١٥	اعملوا على مكانتكم	عمل
٢٣٠	٢٤٧	فطفق مسحاً بالسوق والأعناق	عنق
٧٨	٥٠	تبغونها عوجا	عوج
١٦٣	١٥٩	واصنع الفلك بأعيننا ووحينا	عين
٢٠٠	٢٠٩	ولتصنع على عيني	
١٩٦	٢٠٥	وقَرِي عيناً	
٢٢٣	٢٣٦	ينظرون إليك تدور أعينهم	
٢٢٦	٢٤١	ولو نشاء لطمسنا على أعينهم	
٢٣٢	٢٤٩	يعلم خائنة الأعين	
		حرف الغين	
٩٣	٦٣	نعاساً يغشى طائفة منكم	غشى
١٦٠	١٥٤	يستغشون ثيابهم	
٣٦	٢	وعلى أبصارهم غشاوة	
٢٤٢	٢٦١	فكشفنا عنك غطاءك	غطا
١٦٩	١٦٦	والله غالب على أمره	غلب
٩٤	٦٤	ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك	غلظ
٥٠	١٦	وقالوا قلوبنا غلف	غلف
٩٥	٩٥	يد الله مغلولة	غلل



اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
	حرف القاف		
قبض	ويقبضون أيديهم	١٤٤	١٥٤
قدم	أن لهم قدم صدق عند ربهم	١٤٨	١٥٦
قرر	وقَرِّي عينا	٢٠٥	١٩٦
قرض	من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً	٣٢	٦٤
قرف	وليقترفوا ماهم مقترفون	١١١	١٢٩
قسط	قائماً بالقسط	٤٣	٧٣
قصر	قاصرات الطرف	٢٤٣	٢٢٨
قضض	يريد أن ينقضَّ	٢٠٣	١٩٤
قضى	فقضى عليه	٢٢٩	٢١٧
	فمنهم من قضى نحبه	٢٣٨	٢٢٤
قطع	ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل	٧	٤١
	فقطع دابر القوم الذين ظلموا	١٠٥	١٢٥
	وتقطعوا أمرهم بينهم	٢١٤	٢٠٤
قطع	وتقطعوا أرحامكم	٢٥٧	٢٣٩
قطمر	ما يملكون من قطمير	٢٣٩	٢٢٥
قفل	أم على قلوب أقفالها	٢٥٨	٢٤٠
قفا	وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم	٩٣	١١٦
قفو	ولا تقفُ ما ليس لك به علم	١٩٠	١٨٥
قلب	وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه	٢٢	٥٦
	قد نرى تقلب وجهك في السماء	٢٣	٥٧
	ولو كنت فظاً غليظ القلب	٦٤	٩٤
	إنّا الى ربنا منقلبون	١٢١	١٣٧
	وقلبوا لك الأمور	١٤٢	١٥٢

اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
	فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها	٢٠٢	١٩٤
	انقلب على وجهه	٢١٨	٢٠٨
	وبلغت القلوبُ الحناجرَ	٢٣٥	٢٢٢
	ولا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد	٦٦	٩٥
قلم	إذ يلقون أقلامهم	٤٥	٧٥
قول	أم تقولون على الله ما لاتعلمون	١٤	٤٩
	أم يقولون تقوّله	٢٦٦	٢٤٦
قوم	ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلاّ ما دمت عليه قائماً	٤٦	٧٥
	فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً	٢٠٤	١٩٦
	وكان بين ذلك قواما	٢٢٣	٢١١
	فأقم وجهك للدين	١٥٣	١٥٩
قيض	وقيّضنا لهم قرناء	٢٥٠	٢٣٣
	حرف الكاف		
كشف	وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلاّ هو	١٠٠	١٢٢
كفت	ألم نجعل الأرض كفاتا	٢٧٩	٢٥٧
كفر	ويكفر عنكم من سيئاتكم	٣٨	٦٩
كفف	فأصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيهـا	٢٠٢	١٩٤
	ويكفوا أيديهم	٨١	١٠٧
كلل	وإن كان رجل يورث كلالة	٧٠	٩٨
كنن	وجعلنا على قلوبهم أكنّة	١٠١	١٢٣
كون	اعملوا على مكانتكم	١١٥	١٣٢

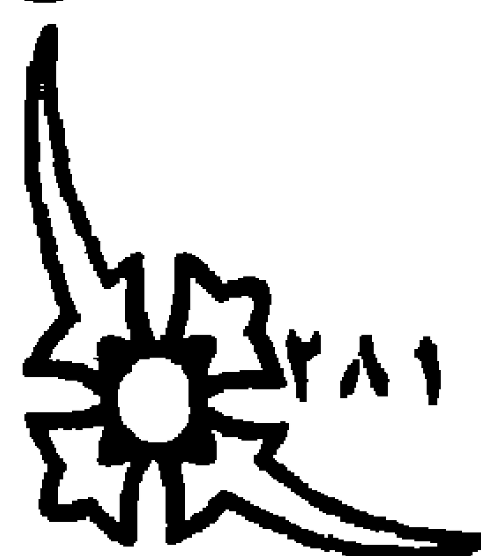


اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
	حرف اللام		
لبس	ولا تلبسوا الحق بالباطل	٩	٤٢
لحد	يلحدون إليه	١٨٨	١٨٣
	الذين يلحدون في أسمائه	١٢٩	١٤٣
	ولن تجد من دونه ملتحدا	٢٠١	١٩٣
لسن	واحلل عقدة من لساني	٢٠٧	١٩٨
	ولا ينطلق لساني	٢٢٤	٢١٣
	سلقوكم بألسنة حداد	٢٣٧	٢٢٣
لفت	أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا	١٥١	١٥٨
لفف	والتفت الساق بالساق	٢٧٧	٢٥٥
لقي	ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي	١٤٩	١٥٧
لقي	وألقوا اليكم السلم	٦٢	٨٩
لمز	ومنهم من يلمزك في الصدقات	١٤٣	١٥٢
لمس	أو لامستم النساء	٧٤	١٠١
لوى	لووا رؤوسهم	٢٧١	٢٥٠
ليّاً	وراعنا ليّاً بألسنتهم	١٩	٥٣
	يلوون ألسنتهم بالكتاب	٤٧	٧٦
	حرف الميم		
مثل	أن يضرب مثلاً	٦	٤٠
	ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل	١٩٦	١٩٠
مرح	ولا تمش في الأرض مرحاً	١٩١	١٨٦

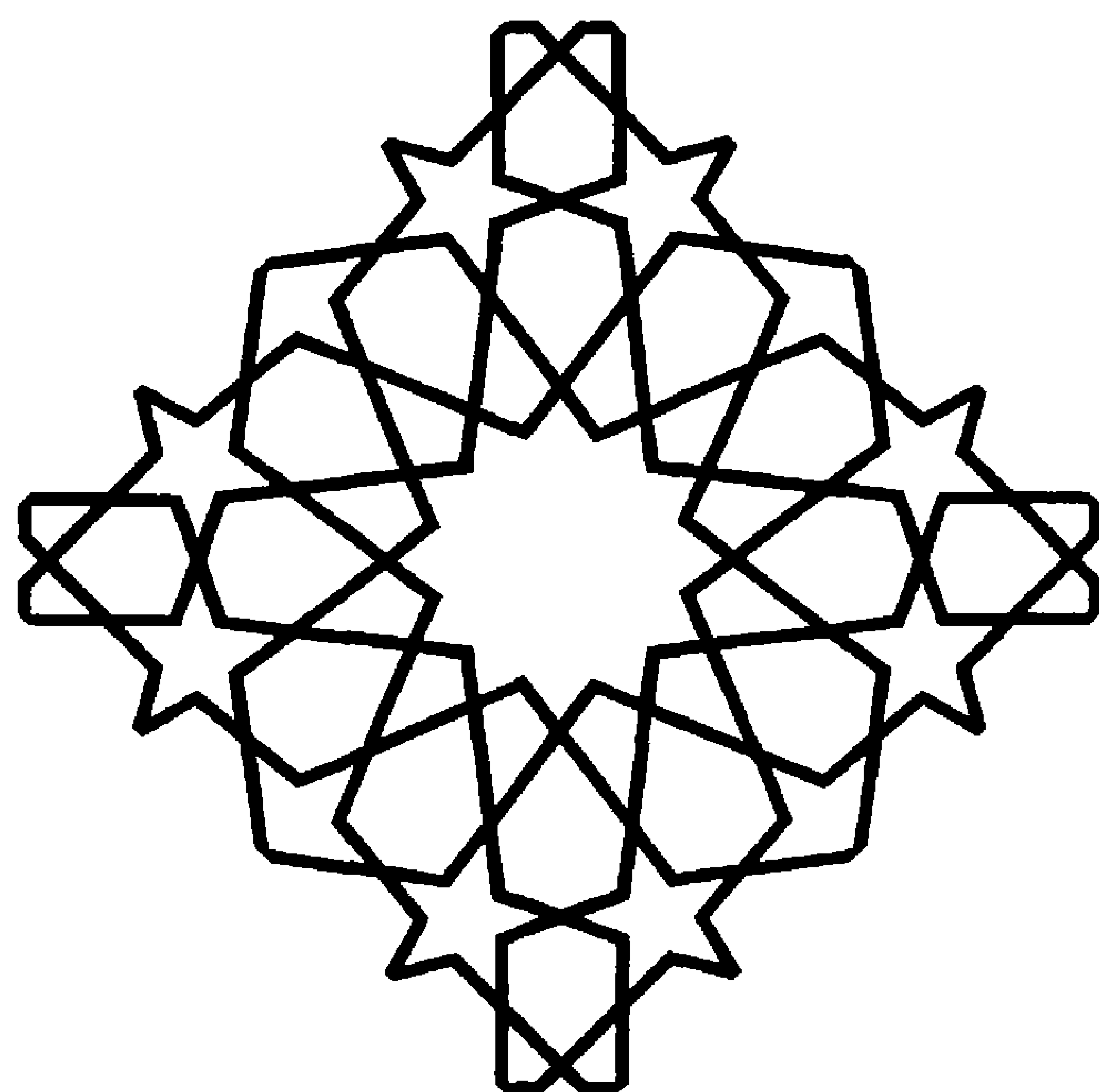
اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
مرد	مردوا على النفاق	١٤٧	١٥٥
مرض	في قلوبهم مرض	٣	٣٧
مسح	فطفق مسحاً بالسوق والأعناق	٢٤٧	٢٣١
مسّ	مالــم تمسوهنَ	٣١	٦٣
مشى	فامشوا في مناكبها	٢٧٣	٢٥١
مكن	اعملوا على مكانتكم	١١٥	١٣٢
ملك	قل فمن يملك من الله شيئاً	٨٨	١١٣
	أو ما ملكت أيمانكم	٦٨	٩٧
ملك	ما يملكون من قطمير	٢٣٩	٢٢٥
ملو	نملي لهم	٦٥	٩٥
مول	ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم	٦٧	٩٦
ميز	تكاد تميز من الغيظ	٢٧٢	٢٥٠

حرف النون

نبذ	نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم	١٨	٥٢
نحب	فمنهم من قضى نحبه	٢٣٨	٢٢٤
نزغ	من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي	١٧٥	١٧٤
نسل	وهم من كل حدب ينسلون	٢١٥	٢٠٥
نصا	ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها	١٦١	١٦٥
نغض	فسينغضون إليك رؤوسهم	١٩٣	١٨٧
نفس	فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه	٦٩	٩٧
	واصطنعتك لنفسي	٢١٠	٢٠١



اللفظة	الآية	رقم المصطلح	رقم الصفحة
وزع	فهم يوزعون	٢٢٥	٢١٣
وزن	ثقلت موازينه	١١٧	١٣٤
	خفت موازينه	١١٨	١٣٥
	فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا	٢٠٤	١٩٦
وسس	فوسوس لهما الشيطان	١١٩	١٣٦
وسل	وابتغوا إليه الوسيلة	٩٢	١١٥
وصل	ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل	٧	٤١
وضع	ولأوضعوا خلالكم	١٤١	١٥١
وقر	وفي آذانهم وقرا	١٠٢	١٢٣
	حرف الياء		
يد	ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة	٢٦	٥٩
	إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم	٨٧	١١١
	حتى يعطوا الجزية عن يد	١٤٠	١٥٠
	فردّوا أيديهم في أفواههم	١٧٨	١٧٦
	يد الله مغلولة	٩٦	١١٧
	بل يداه مبسوطتان	٩٦	١١٨
	تبت يدا أبي لهب وتبّ	٢٨٤	٢٦٢
	فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها	١٣	٤٧
يمن	وإن نكثوا أيمانهم	١٣٩	١٥٠
	أو ما ملكت أيمانكم	٦٨	٩٧
	قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين	٢٤٢	٢٢٧
	لأخذنا منه باليمين	٢٧٥	٢٥٤



المصادر والمراجع

١- إصلاح المنطق: أبو يوسف يعقوب بن السكيت، تحقيق احمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، طبعة ثانية مصر ١٩٥٦.

٢- البحر المحيط: أبو حيان، مصر ١٣٢٨.

٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي،جلال الدين عبدالرحمن، طبعة أولى مطبعة عيسى البابي الحلبي.مصر ١٩٦٤.

٤- تاج العروس: الزبيدي، دار مكتبة الحياة.بيروت.

٥- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، المكتبة العلمية- المدينة المنورة.طبعة ثالثة ١٩٨٠.

٦- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن): الطبري.

٧- تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة، تحقيق السيد احمد صقر، دار الكتب العلمية.بيروت.

٨- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٧.

٩- تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، مطبعة المعارف.بغداد ١٩٥٥.

١٠- تهذيب اللغة: الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.القاهرة ١٩٦٧.

١١- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): الجوهري، دار الكتاب العربي.مصر.

١٢- العباب الزاخر واللباب الفاخر: الصغاني،رضي الدين الحسن بن محمد، القسم الأول.طبعة أولى ١٩٧٨ مطبعة المجمع العلمي العراقي.
١٣- القاموس المحيط: الفيروز ابادي، مكتبة النوري دمشق.
١٤- الكتاب: سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، دار القلم مصر ١٩٦٦.
١٥- كتاب العين: الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي د. ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٠-١٩٨٥.
١٦- الكشاف: الزمخشري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٤٨.
١٧- الكشف عن وجوه القراءات السبع: مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة.بيروت، طبعة ثانية ١٩٨١.
١٨- لسان العرب: ابن منظور، مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١٩- مجمع الأمثال: الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة ثانية.المكتبة التجارية.مصر ١٩٥٩.
٢٠- المحتسب: ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، وبالدكتور عبد الحليم النجار،والدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، القاهرة ١٣٨٦.
٢١- مختصر في شواذ القراءات: ابن خالويه، نشره ج. برجشتراسر- دار الهجرة.
٢٢- المستقصى في أمثال العرب: الزمخشري، دار الكتب العلمية.بيروت طبعة ثانية ١٩٧٧.

٢٣- المصطلح اللغوي في القرآن الكريم: د. محيي الدين توفيق ابراهيم، مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٣٧، الجزء الرابع ١٩٨٦.

٢٤- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم: الأمير مصطفى الشهابي، طبعة ثانية ١٩٦٥.

٢٥- المصطلح النحوي نشأته وتطوره: عوض حمد القوزي، السعودية الرياض، طبعة أولى.

٢٦- معاني القرآن: الأخفش، طبعة أولى.دار الكتب العلمية.بيروت.

٢٧- معاني القرآن: الفراء، دار الكتب المصرية، طبعة أولى ١٩٥٥.

٢٨- معجم البلدان: ياقوت الحموي، مطبعة السعادة.مصر.

٢٩- معجم مصطلحات العروض والقوافي: د./ رشيد العبيدي، بغداد ١٩٨٦.

٣٠- المعجم المفهرس: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة ١٣٦٤.

٣١- مفتاح العلوم: السكاكي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، طبعة أولى ١٩٣٧.

٣٢- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصبهاني، مكتبة الأنجلو المصرية.

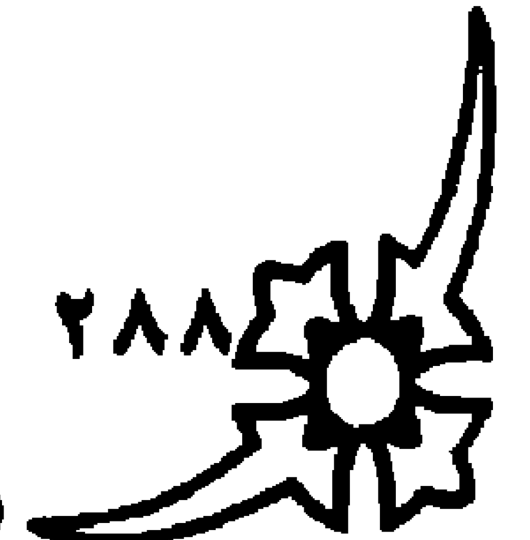
٣٣- مقاييس اللغة: احمد بن فارس، دار إحياء الكتب العربية، طبعة أولى القاهرة ١٩٦٦.

٣٤- Hockett: ACourse in Modern Linguistics.

هــذا الكتــاب

أمليت هذا الكتاب على ام ولدي السيدة حــسنية محمــد عطية بعد أن أطلعت على أصوله من المراجع والمصادر وقامت بتبييضه وطبعه كما هو الشأن فــي كــل كتبــي وبحوثي فلها من الله الجزاء الأوفى . وقد وهبت لها كل مايعود من كتبي من عوائد ماليــة وجزاهــا الله جــزاء الزوجات الصالحات في الدنيا والاخرة انه نعــم المــولى ونعم الوكيل.

(المؤلف)



Bibliotheca Alexandrina
0707912